يناير (كانون الثاني) ١٩٩٢ - رجب ١٤١٢

Reader's Digest

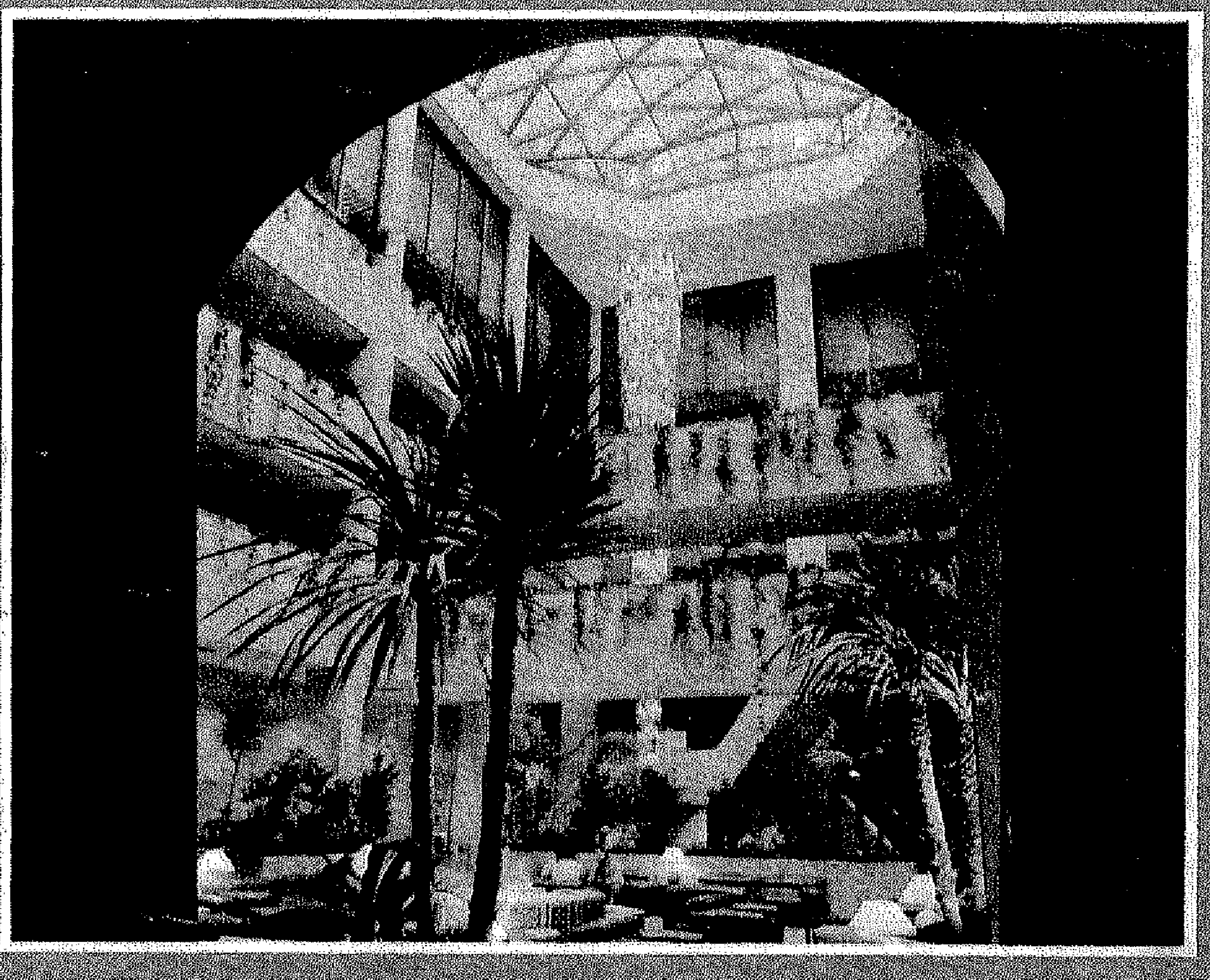
المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest January '92 N° 158

أوسع المجلات انتشاراً في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً



فندق الشام



أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . ولا تنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام - ص . ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد





مجـــلة شهـريـّـة

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف.

مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.

التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE. الهاتف: ٣٧٠٥٧٥/٣٥٠٧٦٠

الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف (١)٢١٦٠٥٨ - ٣٢٧٤٨٤

التلكس ٤٣٢٨٣ PRESSE LE - فاكس ٨٦٤٥٧٢ - ص.ب ٦٨٨ - ١١ بيروت - لبنان

التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. 350760 / 370575

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

January '92 N° 158 (New Series) Vol. 14

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والروسية والهنغارية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضا في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.

ن ١٥٠٠ل - سورية ٧٥ل - الأردن ١د - الكويت ١د - الامارات العربية المتحدة ١٠د - قطر ١٠ر - البحرين ١د
عودية ١٢ر - مصر ٢ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - الجمهورية اليمنية ٢٥ ر - مسقط ١ ر - قبرص ١،٥ ج
نس ١د - المغرب ١٠د - الجزائر ٧د - انكلترا ١،٥ج - اليونان ٤٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

دعوا التلفزيون يثقف أولادكم

احسنوا استخدام التلفاز فهو وسيلة نفيسة لتثقيف أولادكم



لكم حُذِّرنا من تأثير التلفاز في الاولاد، اذ ينسب اليه تدني علاماتهم المدرسية وتحويلهم آليات متحركة. ولكن الم يدهشنا جميعا في وقت ما ان نسمع ولدا يدلي بمعلومات غير مرتقبة تعلمها من التلفاز؟

كانت أليتا هيوستن، الاختصاصية بعلم النفس الانمائي في جامعة كنساس، تتكلم ذات يوم الى طفلة في الخامسة من عمرها تقرأ بسهولة أرقاما في منزلة المئات. فسألتها:

PHOTO: © AL FRANCEKEVICH / THE STOCK MARKET

"أين تعلمت كل هذه الارقام؟"

أجابت الفتاة: "من التلفاز." وسمّت لها برنامج ألعاب يعرض أسبوعياً.

وكانت ابنة هيوستن، وهي في السن السادسة، تتمرن على التهجئة من طريق مشاهدة مسابقات في تركيب الكلمات على التلفاز.

وشُده أحد الصحافيين ذات صباح حين جلس معه ابنه الصغير وراح يحدثه بطلاقة عن الطبع الهادىء للدينوصور "برونتو سورروس." وكان الصبي اكتسب "خبرته" من برنامج رسوم متحركة عن انسان العصر الحجري*.

ان مشاهدة التلفاز تخدر عقول الصغار... أو توسعها. وقد اكتشفت هيوستن، التي أجرت أبحاثاً مكثفة عما يتعلمه الاولاد من التلفاز، أن الصغار المتفوقين في المدرسة يقضون قرابة عشر ساعات أسبوعيا في مشاهدة التلفاز. أما الاولاد الذين يشاهدون برامج التلفزة أكثر من عشر ساعات أسبوعياً، أول أقل، فهم أقل نجاحا في دروسهم.

ولوفرة البرامج التي تعرض حالياً، يصعب ضبط ما يشاهده الصغار. لكن هذا الضبط ليس مستحيلا. هنا بعض ارشادات تتيح لكم التأكد من افادة أولادكم من التلفاز، لا التضرر منه:

١. **باشروا المراقبة باكراً.** يبدأ الطفل العادي مشاهدة التلفاز وهو في عمر السنتين ونصف السنة. وما ان يبلغ السن الرابعة حتى يصرف ثلاث ساعات أو أكثر يوميا في مشاهدته. وهذه السنوات الاولى هي الوقت الحاسم الذي يعمد فيه الاولياء الى ترسيخ مبادىء سامية في نفوس أولادهم، كالاستقامة والكرم والطموح واللطف. ويُخشى أن يبث التلفاز قيما أخرى مناقضة. لذلك دققوا في البرامج لكي تتبينوا المغازي التي تتضمنها. فاذا اكتشفتم فيها ما يناقض مبادئكم وقيمكم، وإن على نحو غير ملحوظ، انتقوا لاولادكم برامج أخرى.

في الواقع، لا يسعكم الحكم قبلا على كل مشهد في البرنامج، لكنكم تستطيعون الاطلاع جيداً على البرامج التي يشاهدها أولادكم بانتظام. لا تفترضوا أن البرنامج مفيد أو خال من الاساءة لمجرد أنه "مخصص للاولاد." فليست كل الرسوم المتحركة منزّهة عن الحاق أذى بالصغار وافسادهم.

٢. **ضعوا قوانين مبدئية.** اختاروا بعناية مكاناً مناسبا لوضع جهاز التلفاز، على ألا يكون في غرفة الاولاد حيث يمكنهم مشاهدة البرامج من دون رقيب، أو بالقرب من المائدة حيث يلهيهم عن الاكل. والمكان الافضل هو حيث يستطيع الوالدان القاء نظرة على الشاشة من وقت الى آخر.

حددوا عدد الساعات التي تسمحون لاولادكم خلالها بمشاهدة التلفاز. قد تكون عشر ساعات في الاسبوع كافية

(*) The Flintstones

لاولاد المدارس. وليكن هناك سبب وجيه لتمديد المشاهدة أكثر من ساعتين في يوم ما، كعرض برنامج تثقيفي أو توجيهي خاص أو فيلم رائع للاولاد. انما يتعين أن تظل الافضلية للفروض المنزلية والنشاطات العائلية. فاذا تضارب وقت التحضير لامتحان مع عرض برنامج مشوّق، فلا بد من التضحية بالبرنامج آنيا، وربما تسجيله على الفيديو لمشاهدته لاحقا.

بعد تحديد قوانين مشاهدة التلفاز، تأكدوا من احترامها والتقيد بها لدى جميع أفراد العائلة. وأبلغوها الى الحاضنات والانسباء الذين تعهدون اليهم في رعاية الاولاد في غيابكم.

يقول الباحث في شؤون التلفاز دونالد روبرتس من جامعة ستانفورد، ان الآباء هم حراس الاولاد، ولهم السلطة المطلقة في تحديد ما يجب أن يشاهدوا وما لا تجوز مشاهدته. ومثلما أنتم لا تسمحون لولد ذي سبع سنوات باختيار ما يشتهي للعشاء، جدير بكم وضع قوانين لمشاهدة التلفاز والتشدد في حمل الجميع على التقيد بها.

٣. لا تسمحوا للاولاد بمشاهدة التلفاز لمجرد التسلية. يلجأ كثير من الاولاد الى التلفاز لقتل الوقت... لأنهم يشعرون بضجر أو تعب أو فراغ. فيشاهدون ما تيسر من برامج، واحداً بعد آخر من دون تمييز.

لذا يتعين عليكم انتقاء البرامج المفيدة لاولادكم، كما فعل آل روبرتس. فهم في نهاية كل أسبوع يجلسون معا وينتقون البرامج التي تحسن مشاهدتها طوال الاسبوع التالي. ولدى انتهاء كل برنامج مُختار يطفئون جهاز التلفاز. ويقول روبرتس: "قلّت مشاهدتنا لبرامج التلفاز، ولكن ازدادت افادتنا منه، ولا يتذمر أحد منا. نحن نشاهد البرامج لأننا نريد أن نشاهدها، لا لانها معروضة على التلفزة."

لدى تحضير جدول البرامج، انتقوا منها ما يتيح للعائلة كلها الاجتماع والتمتع معا بالمشاهدة. شددوا على التنوع، ولا تدعوا مجالا لافراط الاولاد في مشاهدة الرسوم المتحركة وبرامج الالعاب والعروض الفكاهية.

٤. اربطوا بين التلفاز ونشاطات مفيدة. معروف أن القراءة والتلفاز ضدان لا ينسجمان. انما في الامكان، من طريق مشاهدة بعض البرامج، بث حبّ المطالعة في الاولاد وحفزهم على قراءة كتب مشوقة.

شجعوا أولادكم على قراءة روايات تعرفون أنها ستعرض على الشاشة. ليقرأوها قبل العرض أو بعده، فذلك ينمّي فيهم الرغبة في المطالعة والاستزادة من المعرفة.

واذا عرض برنامج عن الحيوانات البرية، أو مباراة في كرة القدم، فمن المفيد أن تصطحبوا أولادكم الى حديقة الحيوانات لمشاهدتها عن كثب، أو الى الملعب لمشاهدة اللاعبين شخصيا.

٥. اجلسوا مع أولادكم الى التلفاز. من اللافت أن أولاداً كثيرين يجلسون وحدهم أمام الشاشة لمشاهدة برامج، هي أكثر افادة اذا شاهدوها مع والديهم. فمشاهدة البرامج قد تكون مناسبة للتباحث في أمور شخصية وعائلية والتكلم الى الاولاد عن المحبة والاحترام اللذين يجب أن يسودا العلاقة بين أفراد العائلة.

بعد انتهاء البرنامج تناقشوا فيه مع الاولاد، واطلبوا منهم تعليقاً عليه. ما الذي بدا لهم حقيقياً؟ وما الذي وجدوه رائعاً او محبطاً؟ وما المغزى الذي استشفّوه؟

والمشاهدة المشتركة تتخطى النقاش. فالاولاد يكتسبون آداباً اجتماعية بمراقبة تصرفات والديهم. فيلاحظون، مثلاً، متى يليق الضحك ومدى تشكيك الكبار في الاعلانات التجارية الطنانة. فينشأون مطبوعين على الحذر في الشراء.

وحضور الوالدين يساعد الابناء على التمييز بين الجودة والتفاهة. تقول بيغي تشارن: "هكذا تتشكل الاذواق. الاولاد يستوعبون ما يعتقده آباؤهم سخيفاً أو رائعاً."

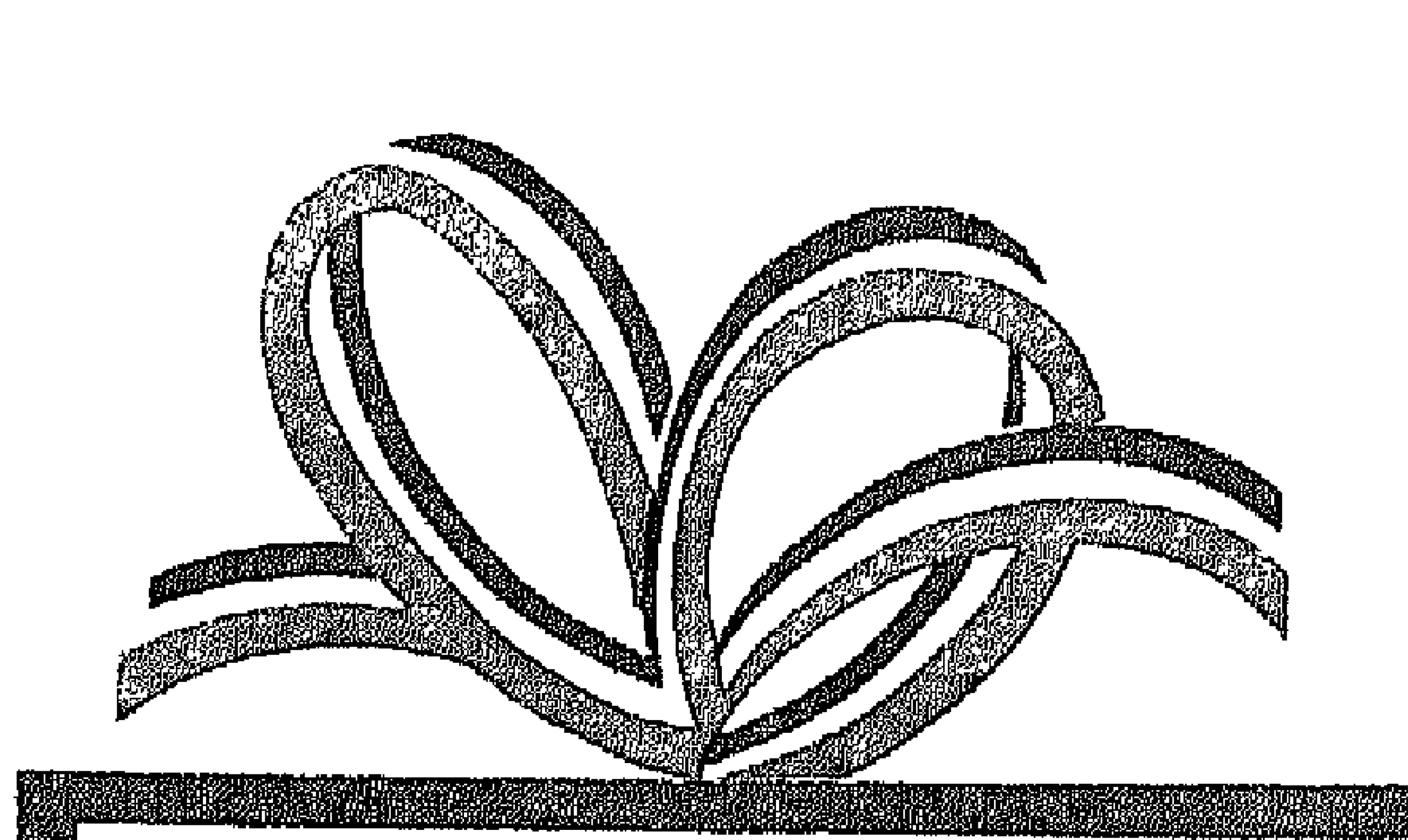
٦. نظّموا برامج خاصة. شعر أحد الآباء بخيبة إزاء البرامج التافهة التي يشاهدها ابنه، فنظم جدولاً بأفلام فيديو، وفي عشية عطلة نهاية الاسبوع يجلس مع زوجته وابنه لمشاهدتها. وكان ينتقي وزوجته أفلاماً كلاسيكية مختلفة ويقول لابنه: "هذه أفلام أحببتها قبل سنوات ونالت شهرة واسعة، وأعتقد أنك ستحبها انت ايضاً." وهي أعجبت الابن فعلاً، وتمتع الوالد بمشاهدتها ثانية.

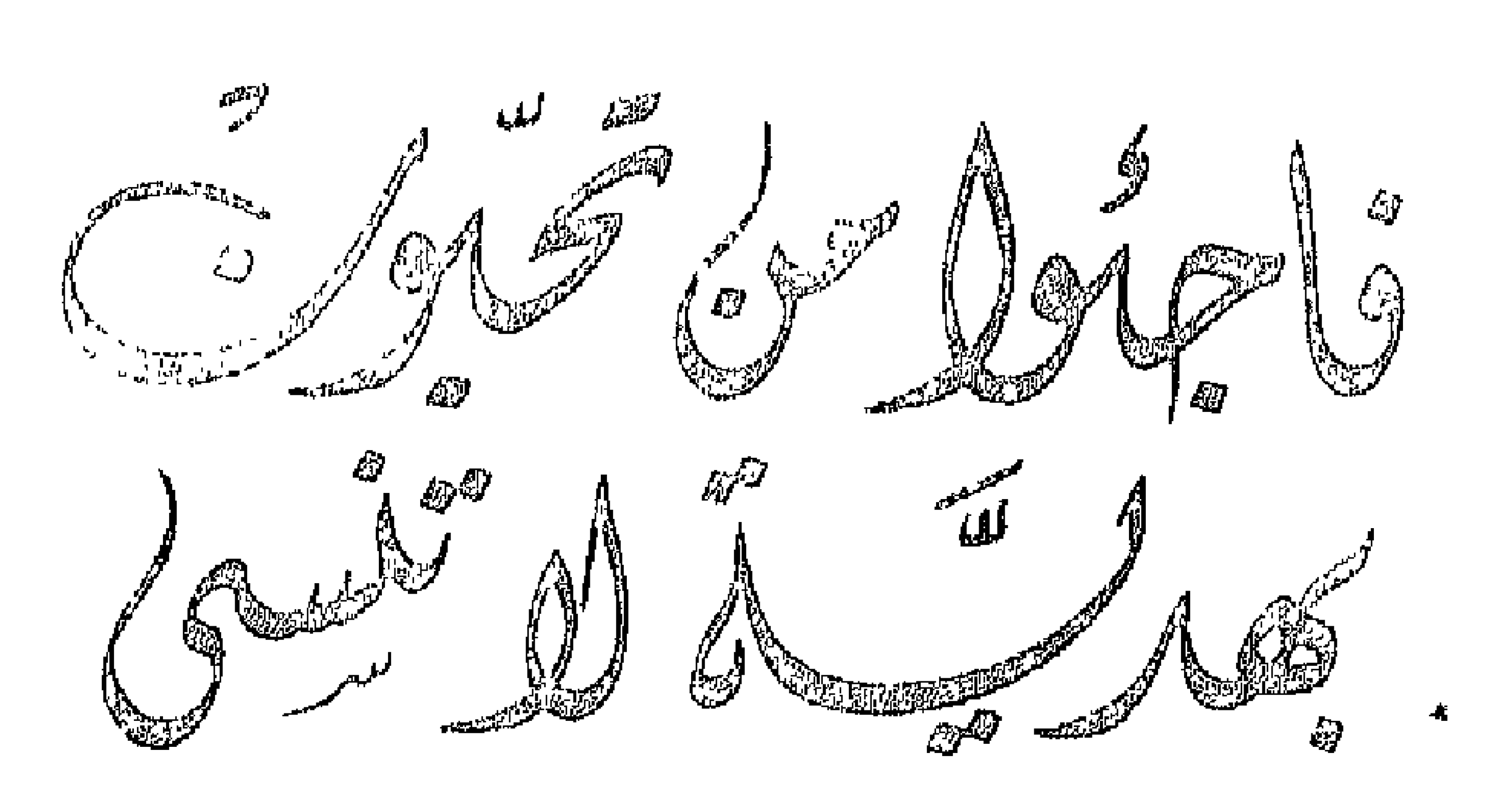
٧. اركبوا بساط الريح. قد يؤدي بكم البحث الى اكتشاف برامج تثقيفية رائعة تفتح لاولادكم آفاقاً واسعة على عوالم بعيدة. يتذكر أحد المسؤولين في حقل الاعلام خبرته الباكرة في التعلم. فهو نشأ في محلة معزولة في منطقة جبلية نائية، ويقول: "كانت المعلومات المتوافرة لدينا عن بلادنا وعن العالم محدودة جداً. فأدخل التلفاز الى منزلنا الأحداث الكبرى والرجال العظام."

لقد صار ممكناً لاولادكم، بواسطة "بساط الريح" هذا، التقاء أولاد في الصين والعودة الى قرون غابرة ورؤية حمر الوحش في افريقيا والكنغر في أوستراليا والاستماع الى وقائع حدث ما في مكان ما من العالم.

يقول جيروم سنغر أستاذ علم النفس في جامعة ييل والمؤلف المشارك لكتاب "استخدموا التلفاز لمصلحة أولادكم": "ان تعليم الاولاد حُسْن انتقاء البرامج المفيدة هو مسؤولية أبوية جلّى. وهي صنو تعليمهم اتقاء أخطار السيارات، كيف يقطعون الشارع وكيف يشدّون حزام المقعد. المسؤولية ذاتها تشمل التلفاز."

ادوين كيستر جونيور
وسالي فالنت كيستر ■





تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).

كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او عيد الحب...

فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟

فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٩٢/١/١ و١٩٩٢/١٢/٣١ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٠ دولارا امريكيا باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
c/o Aramex International Courier
P.O.Box 3814 Deira United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar B.P. 819
94549 Orly Aerogare France

اسم المهدى اليه ________________

____

عنوانه ________________

____

المناسبة وتاريخها ________________

توقيع المهدي ________________

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

مع أخلص تمنياتنا

Reader's Digest
المختار

يناير (كانون الثاني) ١٩٩٢
رجب ١٤١٢

السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة

مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر



هل يصبح السرطان في المستقبل القريب مرضاً "عادياً" يعالج بلقاح؟

عانت مارلين غيزي طوال ١٨ شهراً تعرُّقاً ليليا وغثيانا واعياء. وهي مديرة مدرسة ابتدائية في الحادية والخمسين من عمرها. وبحلول ربيع ١٩٨٨ لم تعد قادرة على العمل أكثر من ساعتين يوميا. وفي يوليو (تموز) شخّص طبيبها اصابتها بسرطان في الكلية. وبعد أسبوعين أجريت لها جراحة في المركز الطبي التابع لجامعة روشستر واستأصل الجرّاح ورما كبيرا التفّ حول كليتها اليمنى وملأ بطنها.

ولما أظهرت صور الاشعة السينية (إكس) ان السرطان امتد الى رئتها اليسرى والى غدّتها الكظرية،[1] قدر الأطباء أن أملها في العيش سنتين أو أكثر لا يتجاوز ٢٠ في المئة. وذات يوم عادها الدكتور كريغ ماكون أستاذ الطب وعلم الأورام في جامعة روشستر. وكان طور لقاحا ما زال في طور الاختبار، ولربما شاءت غيزي تجربته. قال لها: "لم يُجرَّب هذا اللقاح الا على ٥٠ مريضا.

(١) Adrenal gland

لكنه أوقف السرطان لدى ٢٠ في المئة منهم."

سألته غيزي: "ما هي خياراتي الأخرى؟"

فأجاب: "ليس هناك من علاج آخر ناجع."

خلافاً للقاحات التقليدية، لا تمنع لقاحات السرطان الاصابة به. إلا أنها، اذا ما أُعطيت بعد استئصال ورم رئيسي، قد تساعد في القضاء على الأورام الثانوية وتمنع عودة بعض الأنواع الأخرى من السرطان. وهذا أمر في منتهى الأهمية، لأن ٩٠ في المئة من وفيات السرطان تسببها انبثاثات سرطانية ثانوية[٢] مكونة من مجموعات خلايا بالغة الصغر تنجو من مبضع الجرَّاح أو من موقع العلاج الاشعاعي، وتروغ أحياناً كثيرة من العلاج الكيميائي، ثم تعود فتنتفض متحولة أوراما تقتل المصاب بعد أشهر أو سنوات على بدء العلاج.

والظاهر أن لقاحات السرطان تستحثّ جهاز المناعة على تدمير مجموعات الخلايا هذه قبل أن تنمو. ومتى انطلق الجهاز بفعل اللقاح، فانه يواصل تدمير أي تكتل جديد من الخلايا.

تلقت غيزي بعد شهر من لقائها الدكتور ماكون ثلاث حقن أولى من اللقاح، صبَّت كل منها في جسمها أكثر من ١٠ ملايين من خلاياها السرطانية المخمدة. وسرعان ما "استَنفر" جهاز المناعة في جسمها، وقضى في مطلع ديسمبر (كانون الاول) على الورم السرطاني في رئتها الذي اختفى كأنه لم يكن. وفي منتصف ذلك الشهر عادت الى عملها. وفي يوليو (تموز) ١٩٩٠ استؤصل الورم السرطاني من غدّتها الكظرية وخضعت لدورة أخرى من الحقن.

تقول غيزي انها اليوم في صحة جيدة على رغم وجود ورم صغير في كتفها اليسرى وآخر على عظمة في حوضها. وتضيف: "لم أجتز بعد عتبة الخطر، لكني عدت الى الحياة الطبيعية."

حلول آتية. ما تحقق مع مارلين غيزي هو في الواقع جانب من أفق جديد في معالجة السرطان. وتُختبر على نطاق واسع لقاحات جديدة لسرطاني الكلية والقولون والورم القتامي.[٣] ويعمل الباحثون مخبرياً على لقاحات لسرطان الرئة وعنق الرحم والثدي، ويستطلعون لقاحا لفيروس سرطان الدم من نوع الخلية «T».[٤] والغاية من كل ذلك اعداد ترسانة لقاحات يعتمدها الأطباء في منع تكوّن أنواع كثيرة من الامراض السرطانية. لكن سنوات كثيرة قد تمر قبل تحقيق هذا المرام.

ويحذر الدكتور ماكون من أن أي تقدم في هذا المضمار لن يأتي فجأة، ذلك لأن سنوات ستنقضي قبل تنقية اللقاحات على نحو يحقق فاعليتها القصوى. غير أن

---

(٢) Micrometastases
(٣) Melanoma
(٤) T — cell leukemia

كثيراً من العلماء البارزين واثقون بأن الحلول لا بد آتية.

لكنها حلول لن تأتي بالسرعة المطلوبة، لأن السرطان سيصيب ملايين الناس هذه السنة. ويقدر أن مليون شخص سيصابون بالسرطان هذه السنة في الولايات المتحدة وحدها، وسيموت نصفهم بالمرض. وتفيد الوقائع أن الاصابات زادت منذ العام ١٩٧٣ بنسبة ١٦،٢ في المئة، وأن السرطان قضى على نحو ٣٥١ الف أمريكي عام ١٩٧٣ بالمقارنة مع نحو ٥١٠ آلاف عام ١٩٩١.

يقول الدكتور لازلو: "بفضل العلاجات التقليدية، من جراحة وأشعة وكيمياء، تختفي نسبة كبيرة من الاورام السرطانية المتفشية أو البالغة مرحلة متقدمة، لسنة أو سنتين أو أكثر، لكنها تعود الى الظهور في جميع الحالات تقريبا. فلو استطعنا إزالة تلك الخلية السرطانية الأخيرة، لتمكنّا من اجتناب عودة السرطان. ولا شك في أن اللقاحات تتيح مثل هذا الامكان."

مهمة صعبة. تعمل اللقاحات كالآتي: عندما تهاجم الجسم مادة غريبة – مثل فيروس أو بكتيريا (جرثومة) أو غبار طُلع[٥] أو عضو مزروع – فانه يستجيب بانتاج أجسام مضادة[٦] للقضاء على المتطفل. ويعتقد بعض العلماء، ومنهم رالف ريسفلد من معهد سكريبس للأبحاث في لايولا بولاية كاليفورنيا، أن ثمة عملية مشابهة تحدث طبيعيا عندما تبدأ الخلايا السرطانية التكاثر. ويعلل ريسفلد اعتقاده قائلا: "لولا ذلك لازداد عدد المصابين بالسرطان. والمشكلة هي أن استجابة جهاز المناعة ليست دائما قوية كفاية للقضاء على جميع الخلايا الخبيثة."

وتؤدي لقاحات السرطان عملين: أولهما اطلاق دفاعات الجسم بفعل مواد مساعدة تضاف الى اللقاح، وهي تراوح بين بكتيريا غير ضارة ومحاليل كيميائية سامة. وثانيهما، وهو أهم، ارشاد جهاز المناعة الى ما تتوجب مهاجمته، لأن الخلايا السرطانية تنشأ من خلايا عادية، والفوارق بين النوعين طفيفة لا يميزها هذا الجهاز. وعمل اللقاح تحديد هذه الفوارق بحيث يميز الجسم الخلايا السرطانية كأجسام غريبة ويهاجمها.

ومفتاح تحديد هوية الخلية هو ما يكون على سطحها من "بطاقات تعريف" خاصة تدعى مولِّدات المضاد.[٧] وتحتوي كل خلية سرطانية على عدد غير معروف من مولِّدات المضاد الحافزة للمناعة. وتحديد المولدات الملائمة مهمة صعبة. ولكن متى اكتشف العلماء أيا من المولدات هي المرتبطة بنوع محدد من السرطان، فانهم يستطيعون عزلها واستنباتها وتحويلها لقاحات تستنفر جهاز المناعة.

وقد بدأ العلماء يتصورون مستقبلا تصبح فيه لقاحات السرطان علاجات

(٥) Pollen . وهو لقاح النبات.
(٦) Antibodies
(٧) Antigens . وهي مواد تنشأ عن حقنها في الجسم اجسام مضادة لها.

لقاح لسرطان الكبد

ذات يوم من العام ١٩٨١ دخلت امرأة حامل من شعب الاسكيمو مستوصفا قرب بلدة نوم في ألاسكا. كان جلدها أصفر بلون الخردل، وكانت تشكو من ألم حاد في أعلى بطنها الى اليمين، وهاتان علامتان تشيران الى سرطان متقدم في الكبد. وكانت شقيقتها الكبرى توفيت قبل أشهر بالمرض إياه. (وقضى شقيقها الأصغر لاحقا.) كان هؤلاء جميعهم حاملين فيروس التهاب الكبد «B» ،* وهو سبب معروف لسرطان الكبد.

لم يستطع الطبيب المداوم بريان ماكمهون شيئا للأم الشابة. غير انه عالج ابنتها، بعد ساعات من ولادتها، بلقاح لفيروس التهاب الكبد «B» أجيز حديثا، إذ غالبا ما يُنقل الفيروس بالتعرض للدم فيبتلى به، عند الولادة، أطفال كثيرون لامهات مصابات.

ولم تمض أسابيع حتى توفيت الأم. إلا أن الطفلة نجت، وهي اليوم في العاشرة من عمرها. ولولا اللقاح لأصيبت حتما بفيروس التهاب الكبد «B» وفاق احتمال موتها بالسرطان ٥٠ في المئة.

يلتقط نحو ٣٠٠ ألف شخص عدوى فيروس التهاب الكبد «B» في الولايات المتحدة وحدها، ويصبح ما بين ٢٥ و٢٨ ألفا منهم حاملين مزمنين تتطور اصابة ربعهم الى سرطان الكبد.

وقد توافر في الولايات المتحدة، منذ العام ١٩٨٢، لقاح يقي من هذا الفيروس ويمنع الاصابة بسرطان الكبد المتصل به. وتوصي مراكز مراقبة الامراض والاكاديمية الامريكية لطب الأطفال بتلقيح الاطفال عند الولادة. وتفرض القوانين الاتحادية على أرباب المصالح الخاصة الأكثر تعرضا للعدوى، كالمستشفيات، تلقيح عمالهم مجانا. ويستطيع آخرون الحصول على اللقاح من أطبائهم.

(*) Hepatitis

عادية. يقول الدكتور ادوارد كون أستاذ البيولوجيا المجهرية في جامعة ايلينوي بشيكاغو: "لن تحل اللقاحات محل الجراحة في معالجة أورام كبيرة راسخة مثل سرطان الثدي أو سرطان الرئة، الا أنها قد تصبح من الخيارات العلاجية اللاحقة للجراحة، سواء استُعملت وحدها أو بالترافق مع علاجات أخرى."

واليوم يفيد بعض المرضى من خيار العلاج اللقاحي.

نتائج ايجابية. في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧ أنبأ الأطباء جين كرشنر، وهي أرملة في الثالثة والسبعين من عمرها، أنها مصابة بسرطان القولون. وبعد إخضاعها للجراحة ذكر لها طبيبها الاختصاصي بالأورام أن ثمة لقاحا اختباريا قد يساعدها في تفادي العلاج الكيميائي وأعراضه الجانبية الموهنة. فوافقت جين على تجريب اللقاح. وهي تقول الآن: "لم أشعر يوما بحال أفضل."

تنجح جراحات استئصال سرطان القولون بنسبة ١٥ في المئة حين يكون السرطان موضعيا وفي المرحلة "أ" من خباثته. ولكن حين يهاجم جدار القولون (المرحلة "ب") أو ينتشر الى الغدد اللمفوية (المرحلة "ج") فان معدلات الشفاء تتدنى كثيرا.

وفي محاولات سابقة أجريت في عدد من المستشفيات ساعد لقاح طوَّره مايكل حنا، نائب رئيس مؤسسة أبحاث التكنولوجيا الحيوية في روكفيل بولاية ماريلند، ما يزيد على نصف المرضى الثمانين الذين عولجوا. ويخضع اللقاح اليوم لاختبارات ضمن دراستين واسعتي النطاق.

يقول الدكتور دوغلاس تورمي الذي يرئس مجموعة من باحثي علم الأورام تشرف على هاتين الدراستين: "قد تكون للنتائج الايجابية مفاعيل بعيدة الأثر بالنسبة الى المصابين بسرطان القولون."

ثمن زهيد. أواخر صيف ١٩٨٧ لاحظت أنجيلا روز - بريان (٣٥ عاماً) تحوُّل شامة صغيرة في كتفها اليمنى من لون بنّي داكن الى أسود قاتم. وعندما استأصل جراح الشامة وأرسلها للفحص المجهري، تبين أنها ورم قتامي خبيث.

لم تُظهر الجولة الأولى من الفحوص أي دلائل الى انتشار السرطان. ولكن في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ وجد الأطباء ثلاثة أورام، واحداً في الغدد اللمفوية تحت الذراع اليمنى واثنين قرب الشامة الأصلية. وفي إثر استئصال الأورام الجديدة انبأ الأطباء أنجيلا عن لقاح يختبره الدكتور مارك والاك رئيس قسم الجراحة في مركز سانت فنسنت الطبي في مدينة نيويورك. فكان ردها: "لن تضيرني التجربة."

بدأت أنجيلا تلقي اللقاح في مايو (أيار). وسببت لها الحقن كدمات مؤلمة تشبه لسع الحشرات، وغثياناً وألماً في المفاصل. لكن ذلك "كان ثمناً زهيداً" كما تقول أنجيلا روز - بريان وقد شفيت من السرطان قبل أكثر من ثلاث سنوات.

وتشفي الجراحة ٩٠ في المئة من حالات الورم القتامي الموضعي في مراحله الأولى، لكن الأمل في العيش طويلا ضئيل في حال المرضى الذين تفشى الداء في أجسامهم.

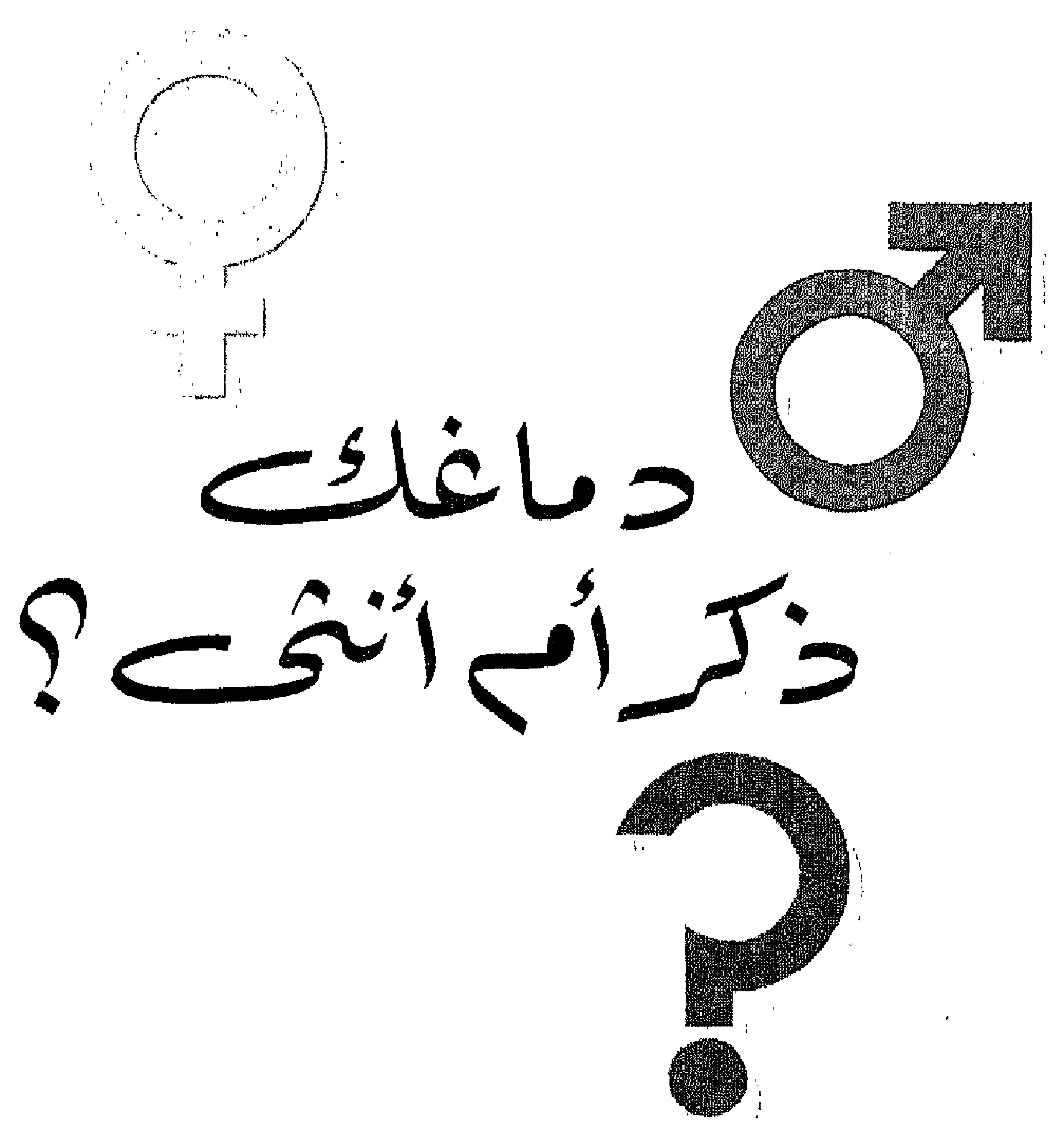
وهذا واقع قد يغيره اللقاح. فاستناداً الى معدل نجاح بلغ ٦٠ في المئة في تجربة سابقة، يجري الدكتور والاك تجربة كبرى على لقاحه تدوم ثلاث سنوات.

إن بزوغ عصر لقاحات السرطان يعني أن أناساً كثيرين باتوا يجدون أملا حيث كان الأمل مفقوداً.

ساندي هولي فارس ربح أكثر من ٥٠٠٠ سباق. عرف قبل أربع سنوات أنه مصاب بسرطان قتامي. وفي إثر استئصال ورمين صغيرين والغدد اللمفوية في عنقه وذراعه اليمنى، بدأ تناول لقاح اختباري للورم القتامي. فلم تظهر عليه أعراض السرطان مذذاك، وعاد الى ركوب الخيل. وهو تزوج في يونيو (حزيران) ١٩٩١ ويأمل أن يرزق أولاداً كثيرين. يقول: "اني أخطط لحياتي كأني لا أشكو من شيء."

قبل سماع هولي عن لقاحات السرطان، لم تكن له حياة يخطط لها.

باتريشا سكالكا ■



دماغك ذكر أم أنثى؟

أصحيح أن تركيبة الدماغ في الذكر هي غيرها في الانثى؟ أجيبوا عن أسئلة هذا الاختبار لتعرفوا جنس دماغكم

لماذا لا تستطيع المرأة أن تكون كالرجل؟

ما زال العلماء يبحثون عن جواب. وقد طلعوا باحتمالات تثير الاهتمام. هم ينظرون بأن الرجال والنساء مختلفون لأن الفارق الطفيف في بنية الدماغ يؤدي بالجنسين الى معالجة المعلومات بطرق شديدة التباين.

وقد يكون ذلك سبب تفوق الرجال على النساء في اختبارات القدرات المكانية، أي القدرة على تصوّر أشكال الاشياء ومواقعها وتناسبها بدقة أكبر في أذهانهم. كذلك ينزع الصبيان في المدارس الى تحقيق أداءات أفضل في الرياضيات المنطوية على المفاهيم المجردة للفضاء والعلاقات والنظريات.

في الجانب الآخر، تنطق البنات كلماتهن الاولى ويتعلمن استخدام الجمل

في وقت أبكر من الصبيان. وكشف بعض الدراسات أن النساء يستخدمن جملاً أطول وأكثر تعقيداً من تلك التي يستخدمها الرجال. كما أن عدد الصبيان يفوق عدد البنات في صفوف علاج قصور القراءة. ثم ان الفأفأة والتأتأة ومشاكل النطق الاخرى تظهر بنسب أكبر بين الذكور.

فما هي الفوارق البنيوية بين أدمغة الرجال وأدمغة النساء التي يمكن أن تسبب هذه الخلافات؟

اكتشف بعض الباحثين، استناداً الى فحوص أجريت على أدمغة بعد الوفاة، أن جزءاً من الجسم الجاسيء،* وهو كتلة الالياف التي تصل بين نصفي الدماغ، هو نسبياً، أكبر لدى النساء منه لدى الرجال (اذا اعتبرنا الوزن الاجمالي للدماغ)، مما قد يسمح بتبادل أوسع للمعلومات بين جهتي الدماغ اليمنى واليسرى.

اذا ثبت هذا الامر، فهو ربما يتوافق مع النظرية القائلة بأن النصف الايسر من أدمغة الرجال متخصص بالقدرات الكلامية أكثر منه لدى النساء. كما يبدو أن الرجال يستخدمون النصف الايمن من أدمغتهم عندما يعملون على مفاهيم مجردة، فيما تستخدم النساء النصفين.

لا يعرف العلم الى الآن طريقة تأثير هذا الامر في أسلوب تفكير الذكور والاناث، لكننا نعرف أن تطور الدماغ في الجنين يتأثر بالهرمونات كما يتأثر بالوراثة. فينشأ معظمنا مفكراً مثل الجنس الآخر، بنسبة بسيطة على الاقل.

قد يساعدكم الاختبار الآتي، المبني على دراسة تناولت ٢٠٠٠ شخص، في تحديد مدى تفكيركم كذكر أو كأنثى.

١. سمعتم مواء خافتاً. الى أي مدى تستطيعون تحديد مكان القطة من دون أن تتلفتوا حولكم؟

أ. اذا فكرتم في الامر، يمكنكم تحديد الموقع بالضبط.

ب. تستطيعون أن تدلوا الى القطة رأساً.

ج. لا تعرفون ما إذا كان في وسعكم تحديد موقعها.

٢. ما مدى قدرتكم على تذكر أغنية سمعتموها قبل دقائق؟

أ. ذلك سهل، ويمكنكم ترديد قسم منها مع اللحن.

ب. يمكنكم ذلك اذا كانت كلمات الاغنية بسيطة ولحنها ايقاعيا.

ج. تجدون صعوبة في التذكر.

٣. اتصل بكم شخص التقيتموه مرات قليلة. الى أي مدى يسهل عليكم التعرف الى صوته عبر الهاتف في اللحظات القليلة قبل أن يعرّف عن نفسه؟

أ. بسهولة فائقة.

ب. تتعرفون الى الصوت في ٥٠ في المئة من الحالات على الاقل.

(*) Corpus callosum

ج. في أقل من ٥٠ في المئة من الحالات.

٤. أنتم في رفقة مجموعة من الاصحاب. اثنان منهما (شاب وفتاة) على علاقة حب. هل تكتشفون ذلك؟

أ. في معظم الاوقات.
ب. في نصف الحالات.
ج. أبداً.

٥. تعرفتم الى خمسة أشخاص غرباء في حفلة جامعة. اذا ذُكرت لكم أسماؤهم في اليوم التالي، فالى أي مدى يمكنكم تصور وجوههم؟

أ. تذكرون معظمهم.
ب. تذكرون قلة منهم.
ج. لا تذكرون أحداً.

٦. كيف كنتم تجدون التهجئة وكتابة المواضيع الانشائية في سنوات دراستكم الاولى؟

أ. كلاهما سهل جداً.
ب. أحدهما سهل.
ج. كلاهما صعب.

٧. أنتم تقودون سيارة، وتلمحون موقفاً لها، ولكن عليكم أن تعودوا الى الخلف لايقافها، والمكان ضيق يكاد لا يتسع للسيارة، فماذا تفعلون؟

أ. تبحثون عن موقف آخر.
ب. ترجعون السيارة بتأن وحذر.
ج. ترجعونها من دون أدنى تردد.

٨. بعدما أمضيتم ثلاثة أيام في قرية غريبة، يسألكم شخص عن وجهة الشمال:

أ. غالب الظن أنكم لن تعرفوا الوجهة.
ب. لن تجيبوا بتأكيد، لكنكم، اذا فكرتم لحظة، تعرفون الوجهة المطلوبة.
ج. تدلون رأساً الى الشمال.

٩. أنتم في غرفة انتظار في عيادة طبيب أسنان. على أي مسافة يمكنكم أن تجلسوا بجانب شخص من جنسكم (ذكر أو أنثى) من دون أن تشعروا بضيق؟

أ. أقل من ١٥ سنتيمتراً.
ب. بين ١٥ و٦٠ سنتيمتراً.
ج. أكثر من ٦٠ سنتيمتراً.

١٠. أنتم في بيت الجيران تتحادثون. الماء يقطر من حنفية في مكان ما من المنزل، والغرفة في ما عدا ذلك هادئة.

أ. تلاحظون الصوت للحال وتحاولون تجاهله.
ب. اذا لاحظتموه، فغالب الظن أنكم تنبهون الجيران اليه.
ج. لا يسبب لكم الصوت أي ازعاج.

المستوى

للذكور:

١٠ علامات لكل اجابة "أ"
٥ علامات لكل اجابة "ب"
– ٥ علامات لكل اجابة "ج"

للاناث:

١٥ علامة لكل اجابة "أ"

٥ علامات لكل اجابة "ب"

– ٥ علامات لكل اجابة "ج"

وتُحسب ٥ علامات لكل سؤال لم تجيبوا عنه.

يسجل معظم الذكور بين صفر و٦٠ علامة، ويسجل معظم الاناث بين ٥٠ و١٠٠ علامة. ويشير التداخل (بين ٥٠ و٦٠) الى توافق بين الجنسين.

ومجموع دون الصفر لدى الذكور وفوق المئة لدى الاناث يدل على تركيب دماغي مختلف تماماً عما في الجنس الآخر. أما عندما يتجاوز المجموع لدى الذكور الستين وينقص لدى النساء عن الخمسين، فقد يدل ذلك على طريقة في التفكير منحازة نحو الجنس الآخر.

آن موير وديفيد جيسل ■



سيدة وآنسة

تزوّجتُ خلال العطلة الصيفية. وحين عدتُ الى المدرسة طلبتُ من تلميذاتي – وكنتُ علّمت معظمهنّ في العام الفائت – أن يدعونني "السيدة سليم" بدلا من "الآنسة حبيب."

وذات يوم سمعتُ احدى الامّهات تسأل ابنتها الصغيرة عن اسم معلّمتها، فأجابت: "تقول ان اسمها السيدة سليم، لكنها تشبه الآنسة حبيب تماماً."

ج.د.

سرّ أبيه

قدّم ابن احد رجال العصابات امتحاناً في المدرسة. ولدى عودته الى البيت سأله والده: "كيف كان الامتحان؟"

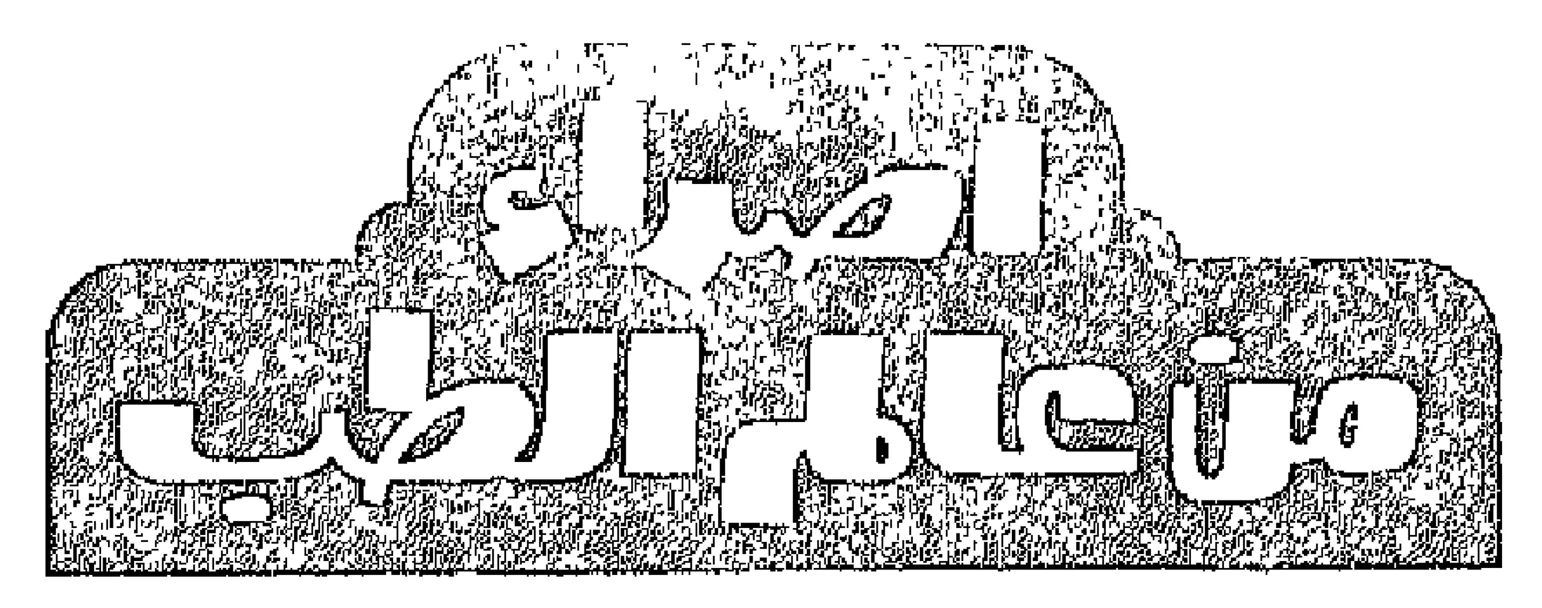
فأجاب الصبي: "ظلوا يطرحون عليّ أسئلة طوال ثلاث ساعات، لكنني لم أدلِ بشيء."

م.ك.

سن سمكري

مر زوجي، الذي يعمل سمكرياً، بطبيب اسنانه ذات مساء ليزرع له سناً "ملبَّسة." وحين عاد الى البيت ليلا شرح لي سبب تأخره: "لقد اقتضى الامر اكثر مما تصورتُ، اذ أوقعت مساعدة الطبيب السن في المغسلة، فتعين عليّ أن أفكك المغسلة قبل أن يتمكن الطبيب من بدء عمله."

ا.ا.



داء باركنسون تسمم عصبي؟

■ أعيت أسباب الاصابة بداء باركنسون (الشلل الرعاشي) العلماء لأكثر من قرن، اذ لم يظهر عامل واحد يؤدي، بمفرده، الى الارتعاشات والشلل التدريجي التي يبتلى بها ضحايا هذا المرض، ومعظمهم ممن تجاوزوا الخمسين.
أما الآن فقد كشفت فورة من الدراسات الحديثة رابطاً محتملاً. وتشير الدلائل الى أن داء باركنسون قد يتأتى من التعرض لمواد كيميائية في البيئة. ومع ان نتائج هذه الدراسات ليست نهائية، فان مراجعة أكثر من عشرة تقارير نشرت في السنوات الخمس الاخيرة (منذ ١٩٨٦) تشير الى أن الاشخاص الذين يقطنون في المناطق الريفية والمزارعين الذين يستخدمون مواد كيميائية زراعية قد يصابون بهذا المرض بمعدلات أعلى من فئات أخرى.
اللغز المتبقي هو: لماذا يتأثر بعض الناس بهذا التعرض فيما ينجو آخرون من دون أذى؟ يكمن السر - كما يؤمن بعض العلماء - في الكبد. فقد أظهر الباحثون في جامعة بيرمنغهام في بريطانيا أن مرضى باركنسون يعانون خللا في انزيمات (خمائر) تفرزها الكبد وتعمل عادة على ازالة السموم من المواد الكيميائية، فيتراكم السيستين والثيول، وهما مركبان يسممان الاعصاب، مما يمهد الطريق أمام الاصابة بعدد من الامراض العصبية. ويعتقد علماء آخرون ان خللا خلوياً قد يكون وراء عجز مرضى باركنسون عن تعطيل مفعول هذه الكيميائيات.
في أي حال، يبدو الباحثون متفائلين بتطوير اختبارات بسيطة قد تتيح يوماً انذار الافراد بأنهم يعانون خللا يجعلهم سريعي التعرض للمرض، فيتمكن هؤلاء من تفادي الخطر قبل وقوعه.

مجلة "نيوزويك"

مادة بقريّة تنقذ الاطفال الخدَّج

■ تبين للباحثين أن مادة تستخرج من رئات البقر وتستخدم في "طلي" رئات الاطفال الخدّج (المولودين بعد فترة حمل تقل عن ٣٧ أسبوعاً) تخفض خطر وفاتهم بنسبة ملحوظة. فقد كشفت دراسة أجريت متزامنة في عدة مراكز وشملت ٢٤٠ طفلا خديجاً، وفاة أقلّ من ١٢ في المئة من الذين عولجوا بهذه الطريقة خلال الساعات الثماني والاربعين الاولى بعد ولادتهم، وأن ٢ في المئة فقط من هؤلاء قضوا بسبب مصاعب في التنفس، بينما بلغ معدل الوفيات بين الاطفال غير المعالجين ٢٠ في المئة، قضى أكثر من ثلاثة أرباعهم بسبب مصاعب في التنفس.
وتعرف المادة بـ"الناشط السطحي البقري"* وتعمل على تخفيف التوتر السطحي في الرئتين مما يسمح لهما بالتمدد والتقلص بسهولة أكبر.
ويعاني نصف الاطفال الذين يولدون قبل الاوان بشهرين أو أكثر نقصاً في هذه المادة قد يؤدي الى اصابة بصعوبات في التنفس تشكل سبباً رئيسياً لوفاة الاطفال الخدّج.

نشرة جامعة لويولا

(*) Bovine surfactant

قصة من واقع الحياة

أمضى المتسلق الشجاع أسبوعاً يجر رفيقه الجريح عبر مسالك خطرة تتخللها حفر خفية وتتهددها انهيالات ثلجية مفاجئة

انعطفت الطائرة المزلاجية[1] نحو سلسلة جبال ألاسكا. فأجال ديفيد نيمن (٣١ عاما) بصره في القمم البيضاء المغمورة بنور الشمس وهتف لزميله المتسلق جيم سويني (٣٣ عاما): "الطقس رائع!" فابتسم جيم وأومأ برأسه موافقا.

وما لبثت الطائرة أن دخلت "المضيق العظيم"[2] الذي تحفّ بجانبيه قمم شاهقة ترتفع أكثر من ٣٠٠٠ متر، وأعمدة وجدران صخرية مكسوة بالجليد. وتراءى وسط المضيق منظر من أروع مناظر الارض، ألا وهو النهر الجليدي روث[3] الذي يمتد مسافة ٥٥ كيلومتراً. في هذا القفر العاصي المنعزل الذي يبعد ٨٠ كيلومتراً عن المدنية، أراد ديفيد وجيم تمضية عشرة أيام في التسلق.

كان جيم نجاراً أسمر البشرة رقيق القوام، غادر كاليفورنيا الى الاسكا عام ١٩٧٩ حيث انضم الى فريق لانقاذ المتزلجين، ومارس رياضة التسلق

---

(١) Ski Plane
(٢) Great Gorge
(٣) Ruth Glacier

PHOTO: © CHARLEY SASSARA / ALASKASTOCK



بشغف وتابع تمارينه من دون انقطاع.
أما ديفيد فيزيد جيم وزناً بنحو تسعة كيلوغرامات وإن يكن أقصر منه قامة. وهو مهندس وُلد في ألاسكا ومارس التسلق حباً بالمغامرة والتسلية. وقد سبق أن تسلق جبال كاسكيد وروكي والألب، لكنه لا يتمرن الا نادراً.

أنزلت الطائرة المتسلقَيْن على بعد خمسة كيلومترات من جبل جونسون حيث أقاما قاعدة من خيمتين وأمضيا الايام

ILLUSTRATION: BILL SCHMIDT



الخمسة الاول في شحذ مهاراتهما بتسلق القمم العمودية المرتفعة ثلاثة كيلومترات عن النهر الجليدي.

وبحلول صباح ١٩ ابريل (نيسان) ١٩٨٩ اتفقا على أنهما أصبحا مهيأين لتسلق "جونسون إليفايتور شافت"[٤] وهو مضيق جليدي ينعطف صعوداً ٧٥٠ متراً عن السفح الشمالي للجبل.

انطلق الزميلان وكل منهما يعتمر خوذة ويضع نظارتين واقيتين وينتعل جزمة تسلق ويرتدي بذلة من النايلون مقاومة للريح فوق ثياب داخلية طويلة. وعلّق كل منهما بمشبك الظهر حبلا طوله ٥٠ متراً وأوتدة لدقها في الصخر والجليد وحلقات وصل لربط الحبل بالاوتاد وحلقات مزدوجة يمرر فيها الحبل وتفيد في وقف السقوط.

شق الاثنان طريقهما منزلقين بمشقة عبر الثلوج الكثيفة الى جزء ناتىء من جدار الجبل. وهناك ربط جيم طرف الحبل الى المشبك على ظهره وناول ديفيد الطرف الآخر، فربطه هذا الى مشبكه. ثم باشر جيم التسلق وهو يهوي بفأسه الثلجي وكلاّبات جزمته على الجدار الجليدي، فيما ديفيد يمدّ له الحبل حتى تسلق ٥٠ متراً هي طول الحبل كاملا. فتوقف جيم ودقّ بضعة مرتكزات في صفحة الجدار ثبّت اليها جسده، ثم شرع ديفيد في التسلق للحاق به.

في غضون ثلاث ساعات تسلق الاثنان حوالى ١٨٠ متراً من الجدار المائل بانحناء ٧٥ درجة. وعلى هذا العلو ازداد الثلج رخاوة ولاحت الغيوم على بعد كيلومترات منذرة بالعواصف. وتابع جيم التسلق فيما وقف ديفيد على حَيْد منهكاً يتصبب عرقاً.

فجأة امتلأ الجو بدثار ثلجي هائل وسمع ديفيد رنيناً معدنياً، فشد حبل التثبيت غريزياً، ثم شاهد جسماً ضبابياً كبيراً يسقط عن جانبه تلاه سقوط صخور وكتل من الجليد والثلج. وما هي الا ثانية حتى شدُّه الحبل من قدميه، فارتطم بالجدار الجليدي.

شُدِه ديفيد اذ رأى نفسه يتدلى من المرتكز ولا يرى شيئاً سوى نثار الثلج المنجرف. فأدرك أن الجسم الضبابي الذي رآه يسقط لم يكن الا رفيقه. واذ حدق نزولاً شاهد جيم على مسافة ١٥ متراً تحته مقلوباً ومعلقاً بقدميه بطرف الحبل.

خفّ ديفيد هابطاً لنجدة رفيقه. واذ رأى اصاباته البالغة قال في نفسه: "يا

---

(٤) Mt. Johnson's Elevator Shaft مضيق يخترق جبل جونسون على شكل هاوية تشبه بيت المصعد.

الهي، انه ميت!" كانت خوذة جيم مصدّعة والدم ينزف بغزارة من أنفه وفمه وأذنيه، وكانت عيناه مغمضتين. فناداه ديفيد: "جيم!" ووضع اصبعه على شريان عنقه، فأنَّ جيم وأجال عينيه. فاطمأن ديفيد الى أنه لا يزال حيا. لكن ورك جيم وساقيه بدت مصابة بكسور، كما أدت به إصابة في رأسه الى حال من الهذيان.

زوابع ثلجية. خلال سبع سنوات من تسلق الجبال معا، أظهر جيم تفوقا تقنيا جعل ديفيد يقبل بقيادته عادة. والآن أدرك ديفيد أن عليه وحده أخذ القرارات التي يتوقف عليها مصيرهما.

ثبّت ديفيد ثلاثة براغي في صفحة الجبل الجليدية، ثم ربط جيم بأنشوطة جديدة وجعله في وضع وقوف. فحدق جيم الى جدار الجبل وسأل رفيقه: "ماذا حدث؟"

أجاب ديفيد: "لقد سقطتَ. وسأنزلك الآن."

فألحّ جيم: "ديفيد! علينا مواصلة التسلق!"

لم يعر ديفيد هذيان جيم اهتماما وهو يتسلق عائداً الى مرتكز الانقاذ. وبأقصى ما أوتي من قوة حوَّل الحبل الحامل ثقل جيم الى المرتكز الجديد تحته، ثم ربط الحبلين معا بواسطة حلقة شبك دقها في الجدار، وانزلق هابطا.

بدأ ديفيد انزال شريكه شبه الغائب عن الوعي متّبعا نهجا محددا. كان يهبط الى أقصى ما يسمح به طول الحبل (٥٠ متراً)، فيدق المرتكزات ويربط جيم الى الحبل الجديد، ثم يعود ويصعد لفك الحبل ويهبط ثانية.

كانت زوابع الثلج تضربهما وتعمي بصرهما بين حين وآخر. لكن ديفيد تابع العمل بثبات. وصار كل نصف متر يهبطانه بمثابة نصر جديد. وفي خمس ساعات استطاع ديفيد انزال جيم مسافة تزيد على ١٨٠ متراً. لكنه لم يستطع تتبع طريق صعودهما، فاضطر الى الهبوط برفيقه ١٢٠ متراً اضافية نحو منحدر جليدي الى جانب "إليفايتور شافت."

علم ديفيد أنه تجاوز حدود طاقته بحيث بات عاجزاً عن الامساك بالجدار الجليدي. وأنذره اندفاع الغيوم تحت قبة السماء الزرقاء بدنو العاصفة، ولمّا تبقَ الا ساعات قبل حلول الظلام، والموت يكاد يدرك رفيقه. وللحال دب فيه عزم جديد.

ولم يلبث أن أنزل جيم الى دثار الثلج الناعم الذي غطى النهر الجليدي، ثم هبط لاحقاً به. وهناك احتضن رأسه بحنان وخاطبه: "لقد نجحنا أيها العجوز."

هرع ديفيد الى حيث خيَّم ورفيقه صباحا لأخذ المؤن. وعند الغسق ولج الاثنان كيسي نومهما المبطنين بالفرو بعدما تناول ديفيد بعض الطعام الساخن والشاي. وبدا جيم بعد تناول حبتي أسبيرين أقل ارتباكا وتشوشا مما أحيا الامل في صدر ديفيد الذي كان يخشى أن يصاب رفيقه بصدمة وأن يتجمع سائل داخل جمجمته بفعل الاصابة في رأسه.

ومن دواعي القلق الاخرى هبوط الحرارة الذي يهاجم الجسم المبلل بالعرق بسرعة مميتة في مثل هذا الطقس. لذلك عمد ديفيد الى إلباس جيم سروالا ومعطفا من الفرو قبل إيوائه في كيس النوم. فأحس جيم بالدفء والجفاف على رغم آلامه المبرِّحة.

طلب النجدة. صباح اليوم التالي هبّت على المتسلقين عاصفة ثلجية كادت تدفنهما تحت طبقات الثلج التي راحت تتراكم فوق كيسي نومهما. وخوفا من انهيالات مفاجئة، سحب ديفيد شريكه مسافة ٣٠ مترا الى مكان امل أن يكون أكثر أمانا. وأعطاه مزيدا من الأسبيرين وجوربا جافا وقنينة ماء، وأدخله كيسا من نسيج واقٍ من العوامل الجوية، ولفه بكيس نومه المبلل مكونا بذلك عازلا حراريا.

حضَّر ديفيد فطورا ساخنا وهو يرتجف بردا في ثيابه المبللة، لكن جيم رفض الاكل وقال وعيناه مزججتان: "التسلق رائع الآن." فأدرك ديفيد أن العودة الى الهذيان دلالة على تدهور مريع في حال جيم، وأنه اذا لم يحظَ بمعالجة طبية فقد يموت تلك الليلة. فقال له: "سأذهب الآن في طلب النجدة!"

كان أمل ديفيد الوحيد هو في الوصول الى كوخ للمتسلّقين يبعد ١١ كيلومترا، وعليه التزلج عبر حقول ثلجية تزخر بصدوع عميقة وفجوات فاغرة تحجبها جسور ثلجية رقيقة. ولم يجد ديفيد من سبيل آخر. فانطلق لا يلوي على شيء. وكان بعض المنخفضات الثلجية يتهاوى بعد هنيهة من عبوره اياها.

شعر ديفيد بنشوة غامرة حين بلغ الكوخ ووجد فيه أربعة متزلجين في اجازة. كان الكوخ يفتقر الى جهاز اتصال لاسلكي، لكن قائد المجموعة أخبره أن طائرتهم ستعود بعد يومين، مضيفا أن له خبرة في عمليات الانقاذ الجبلية. ولما كان ديفيد منهكا ولا يقوى على العودة من فوره، عرض قائد المجموعة وأحد المتزلجين نقل الامدادات الى جيم وتأمين ما أمكن من سبل الراحة له. فدلّهما ديفيد الى الطريق التي سلكها عبر الصدوع، وحدد لهما موقع جيم قائلا: "سألحق بكما بعد أن أنام قليلا."

عندما استيقظ ديفيد فجرا انطلق من فوره. وسرعان ما التقى المتزلجَيْن عائدين. فجال في فكره أن جيم مات. وحين اقترب منهما أمطرهما بوابل من الاسئلة. فأخبراه انهما أخفقا في تسلق النهر الجليدي لشدة وعورته ولكثرة الانهيالات الثلجية.

صمت ديفيد وقد حزّ الالم في نفسه، ثم قال بهدوء: "إنني في حاجة الى العدة والى متطوع واحد." فناوله قائد المجموعة العدة والامدادات متجاهلا طلب متطوع، ثم قال بلهجة مرحة: "إنك ستنجح حيث أخفقنا نحن." ووعده بطلب المساعدة لاسلكيا فور وصول الطائرة.

وفي طريق العودة الى جبل جونسون راح ديفيد يردد: "انه على حق. سأنجح!"

ولما اقترب من المنحدر الجليدي انهال الثلج من جانب الجبل. فارتاع ديفيد وومضت في خياله تصورات مرعبة تراءى له فيها جيم ميتاً وجسمه متصلّب وملقى في هوة لا سبيل اليها. فأغمض عينيه وراح يصلي.

ثم سمع صوت جيم يترجع من الجدران الجليدية: "النجدة! النجدة!" فرد عليه صائحاً بفرح: "ها أنا قادم يا جيم!" وحين بلغ الموقع وجد أن أحد الانهيالات الثلجية حمل جيم مسافة ستين متراً الى حيث قبع مدفوناً في الثلج حتى صدره.

نصب ديفيد خيمة أحضرها معه وسحب جيم اليها وأعطاه قرصي أسبيرين وألبسه ثياباً جافة وحضّر له الشاي وطعاماً ساخناً. في هذا الوضع المريح نسبياً قبع الاثنان ينتظران وصول النجدة.

الانقاذ مستحيل. في ساعة مبكرة من صباح ٢٣ ابريل (نيسان)، بعد يوم نال الرجلان خلاله قسطاً من الراحة، ضرب الخيمة انهيال دفنهما وألزم ديفيد حفر الثلج بيديه. وفي المساء تدنّت الحرارة وسقط الثلج بكثافة. فخلد الرجلان الى كيسي نومهما صامتين ينتظران الخلاص ويصليان. وكانا يعلمان أن معظم الانهيالات الكبيرة يحصل أثناء سقوط الثلج بكثافة، أو بعده. وما لبثت المنطقة أن ضجّت بأصوات انفجارات رافقت سقوط كتل ضخمة من الثلج والجليد.

ثم راحت الخيمة تترجح كقارب في بحر عاصف، بفعل رياح عاتية بلغت سرعتها ١٢٠ كيلومتراً في الساعة. فأخذ ديفيد يتلو الصلوات تكراراً وهو يحاول جاهداً تثبيت أعمدة الخيمة الالمنيوم في وجه الريح. ولم يعترِ ديفيد خوف في حياته كالذي هيمن عليه في تلك اللحظة. فهو يعرف أن عمليات الانقاذ مستحيلة في مثل هذا الطقس الغاضب ووسط العاصفة التي استمرت عنيفة طوال الليل وفي اليوم التالي.

اضطر الرجلان الى نقل مخيمهما غير مرة. وفي الصباح طمرهما أحد الانهيالات، لكن ديفيد تمكن، مجدداً، من انتشال نفسه ورفيقه من تحت الثلج. وفقدا معظم مؤونتهما من الطعام، ولم يبق لهما الا كيس نوم واحد.

وفي ٢٥ ابريل (نيسان) قبيل الفجر بساعات، تجدد هبوب الريح بعنف زائد. فطارت الخيمة، ووجد ديفيد نفسه منقذفاً في الهواء كقنبلة مدفع. وما هي الا لحظات حتى ألفى نفسه ملقى على بعد ٢٠٠ متر من موقع المخيم. ثم سمع جيم يناديه من مكان قريب: "ديفيد! كيس النوم معي!" لكن معظم امداداتهما فقد، بما فيها الخيمة وجزمة جيم وفأس الثلج وقدر غلي الماء والحبال وما تبقّى من طعام.

بعد حين تكوما في حفرة على شكل نعش حفراها في الثلج، وراحا يصغيان برهبة الى هدير كتل الثلج والجليد والصخور المندفعة كسيل جارف من

رحاب الجبل. فجأة قال جيم: "اذا تركتني هنا فقد تنجو أنت." فرد ديفيد بحزم: "لن أتركك، فاما أن ننجو معاً واما أن نموت معاً."

ثم هيّأ مزلجة لجيم من قطعة لبّاد عازل ولفّه بكيس النوم وكيس عدة التخييم وشده الى اللبادة شداً محكما، ثم انطلق به مجتازاً المهاوي والمزالق وجسور الثلج السريعة الانهيار. مضت ١٧ ساعة وديفيد يجر رفيقه المصاب مخترقا القفار الجليدية الغادرة.

الهوة المظلمة. صباح ٢٦ ابريل (نيسان) سمع المتسلقان دمدمة مخيفة كهزيم رعد. واذا بانهيال هائل يقتلعهما ويقذفهما إلى هوة فاغرة ابتلعتهما. ففكر ديفيد: "هل أنا صائر الى الهلاك؟ هل دقت الساعة لمواجهة مصيرنا المحتوم؟"

في ظلام الهوة التي غرقا فيها، مد ديفيد ساقيه ضاربا بجزمته جدران الثلج الضيقة التي اكتنفتهما، فسقط على حَيْد صخري رقيق. وكان جيم ملقى في الطرف الآخر من الحَيْد ووجهه الملتحي المكسو بالثلج يكاد لا يرى. واذ أدرك كلاهما أنهما سالمان، راحا يقهقهان ارتياحاً.

وضع ديفيد رفيقه في ملجأ يشبه الكهف، وراح يزحف بحذر على الحَيْد وهو مدرك أن مثل هذه النتوءات قد تنسلخ في أي لحظة، لكنها تقود أحيانا الى السطح. وفعلاً، بان له على بعد عشرة أمتار منحدر يفضي صعوداً الى سطح النهر الجليدي. فانكفأ عائداً ليجر جيم.

سحب ديفيد رفيقه عبر المنحدر. فأمسك رباط المزلجة بأسنانه، وثبّت جيم بيد وراح يحفر بيده الاخرى درجات في الجليد والثلج. واخذ يتقدم بمشقة خطوة خطوة حتى تمكن بعد كفاح دام نصف ساعة من جر رفيقه الى سطح المنحدر الجليدي. ومن هناك راح يتحرك بحذر، اذ تعين عليه اجتياز مزيد من الصدوع الخطرة. ولدى بلوغه احدى النقاط طالعه سدّ من الثلج أوقف تقدمه. فاضطر الى حفر نفق جرَّ جيم عبره.

مرّت ساعات وديفيد يكافح آملا انقاذ رفيقه. ولم يفُتّ عزمه الضنك والارهاق وضراوة الكفاح وقسوة الطبيعة.

فجأة ظهرت فوقهما طائرة مالت بجناحيها دلالة على أن المنقذين عاينوهما. فانهمرت الدموع على خدي ديفيد. لقد انتهت محنتهما أخيراً!

نُقل المتسلقان في الطائرة الى مستشفى بروفيدنس في أنكوريج حيث عولج جيم من ارتجاج دماغي حاد وأخضع لجراحة لمعالجة كسر في وركه. أما ديفيد الذي خسر ١١ كيلوغراماً من وزنه خلال أسبوع المحنة، فعولج من قضمة صقيع في يديه.

في أبريل (نيسان) ١٩٩٠ منح ديفيد وسام كارنيغي للبطولة الاستثنائية. لكن المكافأة الحقيقية جاءته قبل حين، حين قال له جيم سويني لدى مشاهدتهما طائرة الانقاذ: "أنت حقاً بطل يا ديفيد. لقد انقذت حياتي."

شلدون كيلي ■

كلنا الى زوال، لكن الخصال الحميدة تبقى الى الابد

كان مارك إكلند تلميذي في السنة الابتدائية الثالثة. وكان جميع تلاميذي الاربعة والثلاثين عزيزين على قلبي، الا أن مارك كان مميزاً. فمظهره بالغ الترتيب، وله نظرة مشرقة مستبشرة جعلت حتى شقاواته النادرة أحداثاً محببة.

كان مارك يتكلم على الدوام فأضطر الى تذكيره بأن الكلام من دون اذن غير مقبول. لكنني كنت أتأثر كثيرا برده الصادق كلما أنبّته على سوء تصرفه: "شكراً على هذا التأنيب يا آنسة." فأحار في الاجابة.

وذات صباح بدأ صبري ينفد من ثرثرة مارك، فارتكبتُ خطأ معلمة مبتدئة اذ نظرت اليه مهددة: "ان تفوهت بكلمة أخرى فسأقفل فمك بشريط لاصق!"

ولم تمض عشر ثوان حتى صاح تشارلي: "لقد عاد مارك الى الثرثرة." ولم أكن طلبت من تلاميذي أن يساعدوني في مراقبة مارك، لكنني اضطررت الى تنفيذ العقاب بعدما أعلنته أمام الصف.

وما زلت أذكر ذلك المشهد كأنه حدث اليوم. خطوت الى طاولتي، وفتحت الدرج بتأن بالغ، وتناولت لفة من الشريط اللاصق. ثم تقدمت الى طاولة مارك من دون أن أنبس بكلمة، ونزعت قطعتين من الشريط ألصقتهما في شكل × على فمه. ثم عدت الى طاولتي.

ILLUSTRATION: CYNTHIA WATTS CLARK

وعندما استرقت نظرة عجلى الى مارك لكي أرى حاله، غمزني. فشرعت أضحك. وهتف كل من في الصف عندما عدت الى طاولته ونزعت الشريط عن فمه.

في السنة التالية طلب مني تعليم مادة الرياضيات لصفوف أعلى. ومرت ست سنوات خاطفة، وسرعان ما وجدت مارك في صفي مجدداً. كان مهذباً كعادته، ولكن أكثر وسامة.

وذات يوم لم تجر الامور في الصف على ما يرام، فقد عملنا على نظرية جديدة طوال أسبوع، وشعرت بأن التلاميذ محبطون وقد بدأوا يتأففون ويتذمرون بعضهم من بعض، فوجدتني مضطرة الى وضع حد لهذا النزق قبل أن يفلت زمام الأمور من يدي. لذلك طلبت من تلاميذي اخراج ورقة بيضاء ووضعها أمامهم، وكتابة أسماء رفقائهم عليها مع ترك فسحة بعد كل اسم. ثم طلبت منهم أن يفكروا في أجمل ما يمكن أن يصفوا به كلا من رفقائهم، فيدونوه.

استهلك هذا "الفرض" الوقت المتبقي من الحصة. وعندما غادروا الغرفة ناولني كل منهم ورقته. ابتسم لي تشارلي، وقال لي مارك قبل أن ينصرف: "شكراً على تعليمك إياي يا آنسة. أتمنى لك نهاية أسبوع سعيدة".

في عطلة نهاية الاسبوع تلك سجلت اسم كل تلميذ على ورقة ودونت كل ما كتب رفقاؤه عنه. وفي اليوم الاول من الاسبوع التالي ناولت كل تلميذ قائمته. ولم ألبث أن رأيت كل من في الصف يبتسم. وسمعت همسات: "حقاً؟" "لم أدرك يوماً أن هذا يعني شيئاً لأحد!" "لم أكن أعرف أن الآخرين يكنون لي كل هذه المحبة!"

لم يأتِ أحد على ذكر هذه الأوراق في الصف مرة أخرى. ولم أعرف أبداً إن كان تلاميذي تبادلوا آراء حولها بعد الحصة أو مع ذويهم. لكن ذلك لم يكن مهماً، فالتمرين حقق غايته، وعاد التلاميذ راضين عن أنفسهم وعن رفقائهم.

ومضت سنوات. ولدى عودتي من اجازة لاقاني والداي في المطار. وفي طريقنا الى المنزل طرحت علي أمي الاسئلة المعهودة عن الرحلة، عن الطقس وعما رأيت. ثم نظرت الى أبي نظرة ذات معنى، فتنحنح كعادته قبل التفوه بأمر مهم، ثم قال: "لقد أتصل آل إكلند البارحة."

قلت: "حقاً؟ لم أسمع أخبارهم منذ سنوات. كيف حال مارك؟"

رد أبي بهدوء: "لقد قتل مارك في حرب فيتنام. المأتم غداً، ويتمنى والداه أن تتمكني من الحضور."

حين رأيت مارك في نعشه لم أصدق أنه ميت. فهو بدا بالغ الوسامة والنضج. وكل ما استطعت التفكير فيه تلك اللحظة كان: مارك، أنا مستعدة للتضحية بكل الشرائط اللاصقة في العالم في مقابل كلمة منك.

ازدحمت القاعة بأصدقاء مارك ورفقائه في الجندية. ومشى محبوه قرب نعشه للمرة الأخيرة. وكنت آخر الماشين وإذ

وقفت هناك تقدم مني أحد الجنود وسألني: "هل علَّمت مارك مادة الرياضيات؟"

أومأت برأسي وقد تسمرت عيناي على النعش.

قال: "لقد تحدث مارك عنك كثيراً."

بعد الجنازة توجه رفقاء مارك في الدراسة الى منزل تشارلي لتناول الغداء. وكان والدا مارك هناك، في انتظاري. بادرني أبوه وهو يخرج محفظة من جيبه: "نود أن نريك شيئاً. لقد وجدوا هذه مع مارك عندما قتل."

فتح المحفظة وسحب بعناية ورقة بالية مُزقت من دفتر وأُلصق نصفاها بشريط لاصق، وبدا واضحاً أنها طُويت وفُتحت مرات كثيرة. أدركت للحال أنها الورقة التي دونت عليها كل الصفات الجميلة التي كتبها رفقاء مارك فيه.

قالت لي والدة مارك: "شكراً جزيلا لك على ما فعلته. كانت تلك الورقة غالية على قلب مارك، كما ترين."

وتحلق أصدقاء مارك حولنا. ابتسم تشارلي بخجل وقال: "ما زلت احتفظ بقائمتي أنا أيضاً. انها في درج طاولتي." وأضافت زوجته: "لقد طلب مني تشارلي أن أضعها في مجلّد صور زواجنا."

وقالت مارلين: "أنا أيضاً أحتفظ بقائمتي. وهي في دفتر يومياتي."

عندئذ تناولت فيكي حقيبة يدها وسحبت منها محفظتها، ثم عرضت قائمتها البالية قائلة: "أنا أحملها معي في كل الأوقات. أعتقد أننا جميعاً احتفظنا بها."

إذذاك جلست وبكيت.

هيلين ب. مروسلا ■

سقطة طويلة

وصل الموظف متأخراً الى المكتب وعلى وجهه ويديه كدمات وضمادات، فصرخ به رئيسه: "أين كنت حتى الآن؟"

- لقد سقطت عن السلّم.

"واستغرقت سقطتك ساعة كاملة؟"

ج.ا.

صبي كبير

أمضيت طوال فترة العشاء وانا أعلم ابني الصغير آداب المائدة. أخيراً التفتّ الى زوجتي سائلا: "أليس لتدريب الاولاد نهاية؟"

أجابت: "ان تدريب الصبيان لا ينتهي أبداً. فالصبي يكبر ويتزوج وتتابع زوجته المهمة. أرجوك يا عزيزي، لا تتكلم والطعام في فمك."

م.س.



- لا أسرار للنجاح. انه ثمرة تحضير واجتهاد وتعلُّم من الاخطاء.

كولن باول، جنرال أمريكي

- اذا تكلمنا باختصار استطعنا سرد أخبار أكثر.

ش.ش.

- من أراد معرفة قيمته فليحصِ أصدقاءه.

م.ب.

- يخلط كثيرون بين خيالهم وذاكرتهم.

ج.ب.

- تمر بنا أحياناً لحظات خالية من القلق تماماً، هذه هي لحظات الذعر.

ك.هـ.

- الرجل الذي يزيح جبلا يبدأ بنقل حجار صغيرة.

مثل صيني

- الدجاج برهان حي على أن الحيوان قادر على العيش من دون ذكاء.

ك.

- يستطيع أي شخص امساك دفة المركب حين يكون البحر هادئاً.

بوبليليوس سيروس، كاتب وممثل لاتيني من القرن الاول للميلاد

- يبدو ثناء البعض طالعاً من جيوبهم.

ك.هـ.

ان لتوقيت الاكل ونوعيته تأثيراً مدهشاً في الذكاء وصفاء الذهن. فماذا نأكل صباحاً وظهراً ومساء؟

العقل السليم في الأكل السليم

تقول أمي: "كل السمك، انه مغذ للدماغ." وهي لم تدرس يوماً علم التغذية، لكنها تردد كلاما شعبيا متناقلا منذ أجيال.

جوديث ورتمان، من ناحية ثانية، متخصصة بعلم التغذيـة في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا «.M.I.T» . وهي نصحت ابنتها، حين كانت تحضـر لامتحان في المحاماة، أن تأكل سمك التن لكي "تحافظ على تيقظها الذهني." وجوديث ورتمان ذاتها تحمل في أسفارها علبا من سمك التن لوجبات خفيفة.

عملت جـوديث وزوجها الـدكتـور ريتشارد ورتمان، مديـر مركز الابحاث السريرية في «.M.I.T» على قياس ردود فعل الـدماغ على أطعمـة مختلفـة. فـاكتشفـا، وباحثين آخرين، أن الطعام يؤثر في الدماغ بطرق مدهشة وقوية. فما نأكله قد يغير مزاجنا وتيقظنا وصفاء ذهننا.

قال الدكتور ريتشارد ورتمان: "ما زلت أستغرب خضوع الدماغ في وظيفته وكيميائه لتناول وجبة غذاء ولنوع ما يؤكل."

لكن ما عرفه العلماء عن الدماغ قد يكون ذا قيمة كبرى لنا.

فلئن طبقتم في يوم عادي من حياتكم ما اكتشفه العلماء، لوجدتم أن قواكم العقلية تزداد نفاذا:

ILLUSTRATION: DON WELLER

الفطور. يعمد كثيرون كل صباح الى التهام أطعمة غنية بالكربوهيدرات مثل الفطائر المحلاة. لكن السكاكر والنشويات ترفع مستوى مادة السيروتونين المهدئة في الدماغ، وهي ناقلة لاوامر الجهاز العصبي[1] مما قد يحول دون بلوغنا ذروة النشاط الطبيعي في فترة الصباح.

ويحتوي اللحم المدهن والبيض على مقادير مرتفعة من الدهن والكولسترول يؤدي هضمها البطيء الى تحويل الدم عن الدماغ والتسبب تالياً في انخفاض حدة الذهن. تقول جوديث ورتمان: "لكم اتوق الى زجر من أراهم في الصباح يتناولون لحماً وبيضاً وفطائر حلوى مدسَّمة بالزبدة والقطر. أريد أن أصيح فيهم: لماذا تأكلون هذا الطعام؟ ألا تعلمون إلام سيؤدي بكم؟"

يعتقد العلماء اليوم أن الفطور الجيد يتميز بأطعمة تحتوي على نسبة منخفضة من الدهن. وهذا يعني انتقاء اللحم الهبر بدلا من الدهني، والجبن الابيض القليل الدسم بدلا من الزبدة، والفاكهة النضرة او العصير الطازج بدلا من الشراب المحلَّى والأطعمة السكَّرية. (يُهضم سكر الفركتوز المحتوى في الفاكهة ببطء، ولا يطلق التفاعل الذي يطلقه سكر المائدة والعسل.)

وماذا عن الكافيين؟ بعد تناول فنجان أو فنجانين من القهوة أو الشاي يزداد تنبهكم وتتحسن ردود فعلكم وتحققون نتائج أفضل في بعض اختبارات الاداء. ولكن بعد ارتشاف ثلاثة فناجين أو أربعة يؤدي التنبُّه المفرط الناجم عن الكافيين الى اضعاف حدة الذهن وصفائه.

الغداء. يدرك معظم الناس الاخطار الناجمة عن تناول الكحول وما يسببه من خمول للعقل. الكحول هو ما تصح تسميته "طعاما مضاداً للدماغ." ويؤدي ادمانه الى تلف بنيوي ووظيفي.

لكن قلة تدرك أخطار "غداء الكربوهيدرات الثلاثي" المؤلف من أطعمة كالخبز والبطاطا والمعجنات. كشفت دراسة قادتها العالمة النفسانية بوني سبرنغ أن مثل هذه الوجبات تبعث النعاس في النساء وتسبب للرجال كسلا وخمولا. الى ذلك، تقول سبرنغ: "اكتشفنا أن الرجال والنساء الذين تجاوزوا السن الأربعين يبقون طوال أربع ساعات بعد تناولهم وجبة كربوهيدرات أقل قدرة على التركيز ممن تناولوا وجبة غنية بالبروتيين."

فما هو السبب؟ أن الاطعمة الغنية بالبروتيين، كالدجاج والسمك، تشحن الدورة الدموية بالاحماض الأمينية، ومنها التيروسين[2] الذي يعبر المصفاة الواقية المدعوة "حاجز الدم الدماغي"[3] ويتحول موادَّ كيميائية منبِّهة هي الدوبامين والنوريبينفرين.[4] فاذا ما استنفد الارهاق مؤونة الدماغ من هذه المواد الناقلة

---

(١) Neurotransmitter serotonin
(٢) Tyrosine
(٣) Blood — brain barrier
(٤) Dopamine and norepinephrine

لاوامر الجهاز العصبي، فقد ينتج من ذلك ارتباك وتردد وقلق وانحطاط.

ويُحمل عبر حاجز الدم الدماغي مغذٍ رئيسي آخر هو الكولين[٥] المتوافر في السمك واللحوم وصفار البيض (المح) ومشتقات الصويا والشوفان والرز والفول السوداني والجوز الامريكي. والكولين مادة كيميائية تتشكل منها مادة الأسيتيلكولين[٦] الناقلة لاوامر الجهاز العصبي والاساسية في نشاط الذاكرة.

العشاء. ما لم تكونوا في حاجة الى التيقظ والطاقة للعمل أو للدراسة ليلاً، فتجنّبوا أطعمة العشاء الغنية بالبروتيين مثل شرائح اللحم الدسمة والسمك. وانتقوا بدلا منها أطعمة غنية بالكربوهيدرات تغير كيمياء الدماغ على نحو غير مباشر بإطلاقها دفقاً من هرمون الانسولين يتيح لخلايا العضلات استيعاب معظم الاحماض الأمينية في مجرى الدم. وهناك حمض أميني اسمه تريبتوفان[٧] لا تستوعبه العضلات، وهو مادة كيميائية نادرة "تتبارى" مع احماض أمينية أخرى للانتقال عبر حاجز الدم الدماغي. فاذا ما خفّت المنافسة، دخل مزيد من التريبتوفان الى الدماغ حيث يتحول الى مادة السيروتونين المهدئة الناقلة لأوامر الجهاز العصبي.

وماذا عن كوب الحليب الساخن الذي أخبرتكم أمهاتكم أنه يجلب النعاس؟ كانت أمهاتكم على خطأ. صحيح أن الحليب يحتوي على التريبتوفان، لكن علماء التغذية اكتشفوا حديثاً أن البروتيين في الحليب يلغي مفعول هذا الحمض الأميني. فالكربوهيدرات هي فضلى الوجبات الخفيفة قبل النوم: كعك محلّى أو فطائر بالمربى.

قد يكون للكربوهيدرات تأثير في الدماغ أعمق مما كان يظنه العلماء. يقول الدكتور صموئيل سلتزر من كلية طب الاسنان في جامعة تمبل بفيلادلفيا، إن التريبتوفان، الى كونه مسببا للنعاس، يخفض الاحساس بالألم.

يعتقد الزوجان ورتمان أن كثيرين منا يتناولون الحلوى وغيرها من الاطعمة الغنية بالكربوهيدرات على نحو غير متعمد ليشعروا بحال أفضل. وحين تقصر نهارات الشتاء يغرق بعضنا في حال تدعى "الاضطراب العاطفي الموسمي"[٨] الذي يتميز بانحطاط القوى الحيوية، والنزوع الى النوم ساعات اضافية ليلا من دون اكتفاء، وازدياد الوزن. ويتأتى معظم هذه الزيادة الموسمية في الوزن من أكل الاطعمة الغنية بالكربوهيدرات استجابة لتوق شديد يتجلى على أشده في الظهيرة أو المساء.

وخلال أيام الشتاء الاكثر قصراً، تنتج الغدة الصنوبرية[٩] مزيداً من هرمون الميلاثونين[١٠] المعنيّ بدورة النوم

---

(٥) Choline
(٦) Acetylcholine
(٧) Tryptophan
(٨) Seasonal Affective Disorder «SAD»
(٩) Pineal gland . وهي غدة صغيرة في الدماغ.
(١٠) Melatonin

واليقظة. يقول الدكتور ريتشارد ورتمان: "قد يكون لهذا الهرمون بعض التأثير في سيروتونين الدماغ." ولمعادلة شعور الانزعاج وحدّة الطبع وانحطاط القوى الحيوية والاكتئاب، ينزع المصابون بالاضطراب العاطفي الموسمي الى الافراط في تناول الأطعمة الغنية بالكربوهيدرات لزيادة مستوى السيروتونين في الدماغ، فيشعرون اذذاك براحة ترفعهم موقتا من وهدة كآبتهم.

وغالبا ما يلجأ المدخنون المنقطعون عن السيجارة الى تناول السكاكر وغيرها من الكربوهيدرات طلبا للراحة والعزاء. ففي دراسة حديثة، وجدت العالمة النفسانية سبرنغ أن التريبتوفان يمنع أعراض الانقطاع عن النيكوتين بزيادته كمية السيروتونين في الدماغ.

من المهم أن يتذكر ضحايا الاضطراب العاطفي الموسمي والمتوقفون عن التدخين وغيرهم أن تناول مقدار ٥٠ غراما فقط من الكربوهيدرات كفيل باطلاق التفاعل اللازم لانتاج مادة السيروتونين المهدئة. أما تناول مقدار أكبر فقد يزيدكم بدانة لا هدوءا، وهو يؤخر المفعول الايجابي، اذ قد تمر ساعة بعد العشاء قبل أن تهضم الحلوى وتشرع في تهدئة ذهنكم وتخفيف شهيتكم.

وتناول الطعام الصحيح في الوقت الصحيح من اليوم قد يحدث تغييرا كبيرا في حالكم العقلية. لكن بعض الناس يلجأون، بدلا من تعديل أغذيتهم، الى تناول "أقراص الذكاء"[١١] التي يُزعم أنها تحسّن أداء الدماغ. بعض هذه الاقراص عادي، مثل الكولين الذي يسوَّق منه نوع غير نقي يدعى ليسيتين.[١٢] وثمة أقراص أخرى تحتوي على الكارنيتين[١٣] الذي يحمل جزيئات مرتبطة بأيض الاحماض الدهنية،[١٤] والتيروسين[١٥] الذي يسبب في حاله النقية - أي بمعزل عن الأحماض الأمينية الأخرى المتوافرة معه في المكملات الغذائية - تغيرات خطرة في ضغط الدم. وكانت أقراص التريبتوفان تباع كمكمّلات غذائية، لكنها حُظرت لاحداثها ما يزيد على ٢٨ وفاة بسبب الغش.

ويحذّر العلماء من تناول مثل هذه المواد المنبهة، لأن كيمياء الدماغ تعمل وفق توازن دقيق بحيث تؤدي أي زيادة في احدى المواد الكيميائية الحيوية الى نقص في مادة حيوية أخرى. فوجود مقادير كبيرة من التيروسين، مثلا، قد يخفض كمية التريبتوفان التي تعبر حاجز الدم الدماغي.

تعلمنا في السنوات الأخيرة انتقاء الاغذية التي تساعد القلب وتلك التي تساعد في تلافي السرطان. والآن يتعين علينا ان نتعلم انتقاء الاغذية التي تقوي أدمغتنا.

لويل بونتي ■

(١١) Smart pills
(١٢) Lecithin
(١٣) Carnitine
(١٤) Fatty — acid metabolism
(١٥) Tyrosine

أوتو فون هابسبورغ



أوروبا حلمه الكبير

وارث تاج امبراطوري كرس حياته لتوحيد أوروبا

PHOTO: HINTERLEITNER / GAMMA

بدا الرجل مميزاً بقامته الناحلة وصلعته وبذلته الرمادية وهو يسير برشاقة في بهو فندق "باليه دو لوروب" في ستراسبور، حيث انعقد البرلمان الاوروبي بأعضائه الـ ٥١٨ الذين يمثلون ٣٢٥ مليون مواطن، للبحث في سبل توطيد العلاقات مع دول أوروبا الشرقية. وكان كلما سار بضع خطوات يجد نفسه محاطاً ببرلمانيين يسألونه الرأي أو يهنئونه على خطاب حديث أو يرغبون في مصافحته.

فمن هو هذا الرجل الذي كان فرنكلين روزفلت يناديه "أوتو" وكان ونستون تشرشل يناديه "صاحب السمو"؟ زملاؤه اليوم ينادونه "السيد هابسبورغ" لكن

بعض معاصريه القدامى ما زالوا يصرون على مناداته "صاحب الجلالة." وعندما ناولني بطاقته الشخصية قرأت فيها "أوتو فون هابسبورغ، عضو في البرلمان الاوروبي."

جلست وإياه على مقعد وسألته: "ألست أسفا لانك لست أمبراطورا؟" فاتّسعت عيناه خلف نظارتيه وقال: "أسف؟ إني أشكر الله عز وجل على ذلك. تصور ما كانت حياتي آلت إليه بين جدران قصر. أنا الآن قادر على تسمية الاشياء بأسمائها."

ينتسب أوتو الى أعرق سلالات أوروبا التي تعود ذريتها الى رودولف الأول، ملك ألمانيا المتوفى عام ١٢٩١. وُلد في النمسا عام ١٩١٢، وكان كبير أولاد الأرشدوق كارل الذي أصبح امبراطور النمسا وملك هنغاريا، والأميرة زيتا بوربونبارما الشهيرة بجمالها.

ربي أوتو هابسبورغ ليكون حاكما، وطُبع على حس الواجب الطاغي. فأكب على الكتب المدرسية ينهل من عبابها ثقافة مركّزة على أيدي أساتذة نمسويين ومجريين، فيما أترابه يلعبون تحت سماوات مشرقة. فنشأ انسانا متواضعا رفيع التهذيب خبيرا بالحياة والناس عاملا من غير كلل. وهو يتقن الالمانية والمجرية والفرنسية والانكليزية والايطالية والاسبانية والبرتغالية. وذات يوم ألقى عضو ظريف في البرلمان الاوروبي كلمة باللاتينية، فنهض هابسبورغ ورد عليه باللغة إياها وببلاغة شيشرونية.[1]

هارب من هتلر. تحدث إليَّ أوتو عن رحلة العمر التي جاءت به الى ستراسبور، بنبرة هادئة بدأ معها "مشواره" الشاق كأنه نزهة في يوم عطلة. عاش آل هابسبورغ في سويسرا والبرتغال واسبانيا وبلجيكا، بعد إبعادهم عن النمسا عام ١٩١٩ ومصادرة أملاكهم ونكبتهم بوفاة الامبراطور المفاجئة عام ١٩٢٢. وكان أوتو في الأيام الأولى من العام ١٩٣٣ يعمل في برلين على رسالة دكتوراه عندما أبلغ اليه أوغست فيللم البروسي، نجل آخر قياصرة ألمانيا، أن هتلر يرغب في رؤيته. كان واضحا أن انخراط نبيل من آل هابسبورغ في صفوف النازيين أمر بالغ الاهمية.

جاء رد أوتو على الدعوة "لا" قاطعة أشعلت الغضب في نفس هتلر. ولم تمضِ فترة وجيزة على وصول النازيين الى السلطة في شهر يناير (كانون الثاني) ذاك، حتى زار هابسبورغ ضابط في الغستابو[2] أعلمه بأن الفوهرر[3] أمر بتوقيفه.

يتذكر أوتو: "ركبت القطار الى بلجيكا. وعندما اجتاحت جيوش هتلر بلجيكا المحايدة بعد سبع سنوات كانت أوامرهم تقضي باطلاق النار عليَّ فور مشاهدتي. لكني تمكنت من الهرب الى باريس قبل ساعات من الاجتياح."

ابتلع هتلر النمسا في مارس (آذار)

(١) شيشرون سياسي وخطيب روماني تعتبر خطبه اية في البلاغة اللاتينية.
(٢) الغستابو هي الشرطة السرية النازية.
(٣) "الفوهرر" لقب هتلر، وهي كلمة المانية تعني القائد.

١٩٣٨ مخلفا طوفانا من اللاجئين. فاعتبر هابسبورغ نفسه مسؤولا عنهم. يقول: "كان ذلك عملا نابعا من القلب، فهم شعبي." وراح يتنقل بين فرنسا وبلجيكا "عائشاً على الديون،" فأحدث داراً موقتة لاجلاء النمسويين الهاربين. واستناداً الى اسم هابسبورغ ذي الوقع الجليل، تمكن من عرض قضية أبناء وطنه على رؤساء الدول، بمن فيهم "بعض أناس أشرار،" كما يقول بمرارة ساخرة. فأقنع، بعد إلحاح، رجل اسبانيا القوي آنذاك أنطونيو سالازار بمنح رعاياه تأشيرات دخول الى اسبانيا، ووافق ديكتاتوران آخران هما فولجنسيو باتيستا الكوبي ورافايل تروپلو الدومينيكي، على استيعاب ٤٥٠٠ لاجيء. وتدبر هابسبورغ، بالحيلة، تأشيرات مرور عبر الولايات المتحدة.

لم يخامر هابسبورغ أدنى شك في أن هتلر عنى كل كلمة وردت في البرنامج المروِّع الذي مهد له في كتابه "كفاحي."[٤] وفي أبريل (نيسان) ١٩٣٩ أتاه أحد مخبريه العاملين في أوروبا الوسطى بنسخة عن كلمة ألقاها هتلر في اجتماع سري لاركانه وكشف فيها خططاً لغزو بولونيا. وللحال توجه هابسبورغ الى مقر السفارة الأمريكية في باريس حيث عرض النسخة على صديقه السفير وليم بوليت الذي أبرقها بدوره الى الرئيس فرنكلين روزفلت. وبعد أشهر من غزو بولونيا في سبتمبر (أيلول) ١٩٣٩، تلقى هابسبورغ دعوة الى زيارة البيت الأبيض حيث استقبله روزفلت متأثراً بما لهذا الشاب من إلمام بالشؤون الدولية واتِّساع بالعلم وثبات في الموقف المناهض للنازيَّة. ودام لقاؤهما ساعتين، وكان بداية علاقة طويلة. وقد نُقل عن الرئيس الأمريكي قوله: "إن اكثر الرجال اطِّلاعا في أوروبا هما أوتو فون هابسبورغ والبابا."

وما إن عاد هابسبورغ الى باريس في ربيع ١٩٤٠ مع انتشار رقعة الحرب، حتى حُذِّر من أن اسمه ما زال مدرجا على لائحة "المطلوبين" نازيا. وبفضل متابعته تقدم القوات الألمانية، تمكن من الارتحال قبل يوم واحد من وصولها الى العاصمة الفرنسية. وكان فندقه أول الامكنة التي أغار عليها رجال الغستابو.

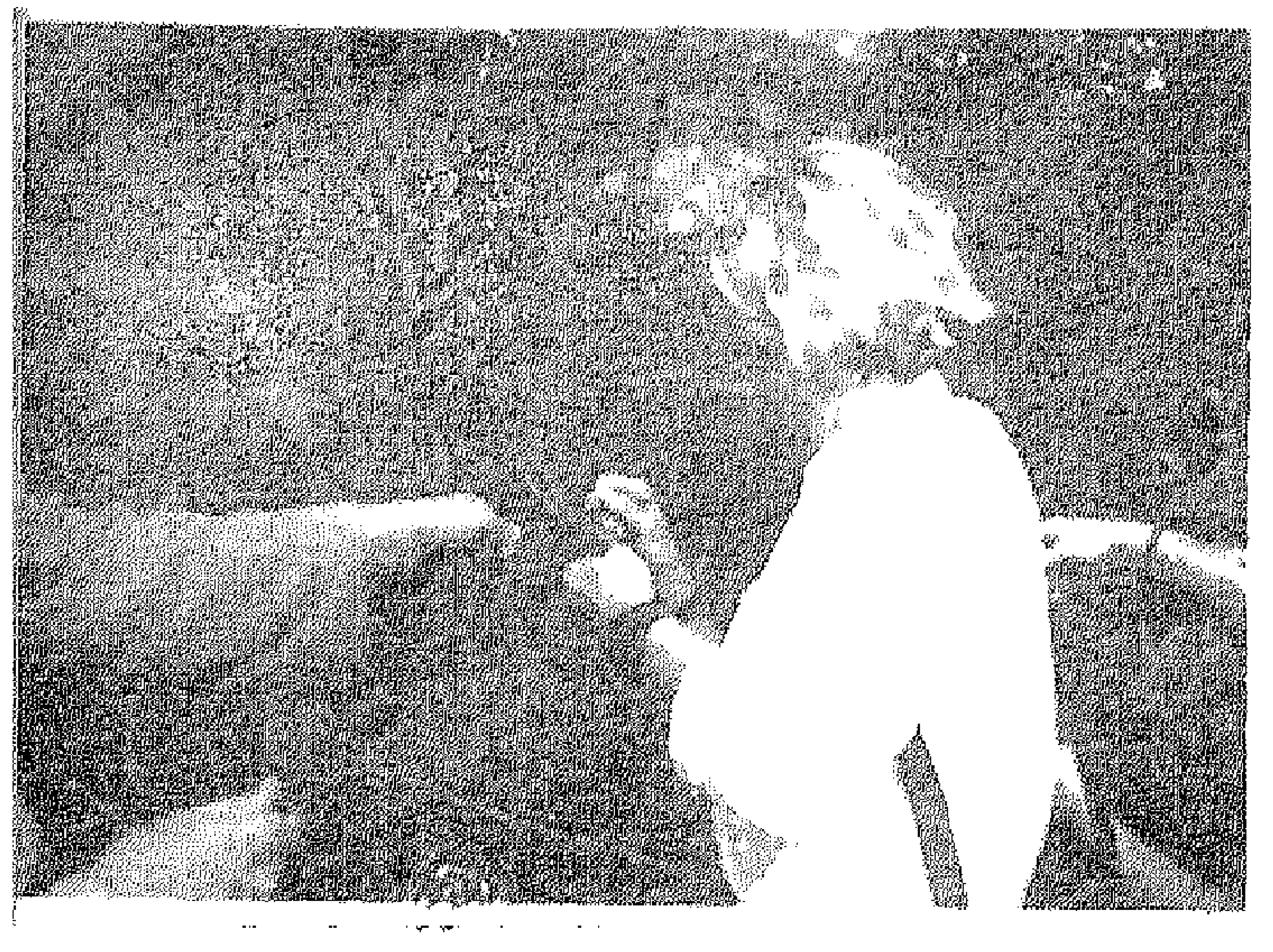
أوروبا واحدة. اعتمد هابسبورغ العاصمة الامريكية واشنطن قاعدة تالية لاعماله حيث أدار "قنصلية نمسوية غير رسمية." وأفاد من ودّ المسؤولين والصحافيين والسفراء لاقناع الحلفاء باعادة اعتبار مواطنيه السيئي الطالع من "غرباء أعداء" الى "مواطنين حلفاء." وكانت لهذا القرار أهمية كبرى بالنسبة الى مستقبل النمسا.

وذات يوم من سبتمبر (أيلول) ١٩٤٤، خلال اجتماع روزفلت وتشرشل في كيبيك بكندا، كشف الرئيس الأمريكي لهابسبورغ الخريطة المقترحة لنمسا ما بعد الحرب، وهي قسَّمت البلاد قطاعَي

(٤) Mein Kampf

احتـلال بحيث يقع نصفهـا الشرقي، بما فيه العاصمة فيينا، تحت إدارة الاتحاد السوفييتي. فلفت هابسبورغ الرئيس امريكي الى أن إعطاء الاتحاد السوفييتي مثل هذا النفوذ الراجح في البلاد سيشكل خطأ تاريخيا. فوافق روزفلـت علـى وجـهـة نظـر هابسبورغ، لكنه لم يكن قادراً على التفرد بالرأي، فارتأى استشارة تشرشل قائلا: "انه هنا، في القلعة، فإن وافق فقد استطيع القيام بعمل ما." اذذاك ارتقى هابسبورغ السلم بسرعة الى الطبقة الاولى وأيقظ تشرشل وأفضى إليه بمضمون حججه. فما كان من تشرشل إلا أن وافقه الرأي. وفي العام ١٩٤٥ قُسِّمت النمسا أربع مناطق احتلال – واحدة سوفييتية وثلاثا غربية – بحيث لم يسيطر الاتحاد السوفييتي إلا على ربع فيينا. وبعد عشر سنين استعادت النمسا سيادتها الكاملة.

كرس هابسبـورغ السنوات التي امضاها في واشنطن للاهتمام بمصير وطنه النمسا، لكنه يقول: "غدوت أوروبيا حقا في أمريكا." وهو شاهد في تجواله كيف تتراصّ الولايات الامريكية على رغم الفوارق بينها. أفلا يستطيع الأوروبيون تأليف اتحاد مماثل بدلاً من التذابح في ما بينهم؟ يقول: "حين نزلت من الطائرة مرة لألقي خطابا في بلدة يوما بولاية أريزونا، سـألني أحد الصحـافيين: ما هي جنسيتك؟ فأجبت بعفوية: أوروبية."



فالبورغا ابنة فون اوتو هابسبورغ تقص شريطاً شائكا من مخلفات "الستار الحديد" في "نزهة" على الحدود النمسوية – المجرية.

PHOTO: EUROPRESSE VIENNA

تبلورت أفكار هابسبورغ في مناقشاته مع ريتشارد كودنهوف كالرغي الذي عرف كتابه الرائد "بانوروبا" رواجا عالميا بعد نشره للمرة الاولى عام ١٩٢٣. وعمل الاثنان معا على وضع نظام لاتحاد (فديرالية) أوروبي. وبعد وفاة كودنهوف عام ١٩٧٢ خلفه هابسبورغ رئيساً للاتحاد البانوروبي.[٥]

"الجد أوتو." بعد انتهاء الحرب عاد هابسبورغ الى وطنه النمسا حيث أُبعد مجـدداً، وهذه المـرة بضغوط من السوفييت. وإذ وجد نفسه "مهجَّراً" قرر التجوال حول العالم كمحرر صحافي، وأخذ يرسل مقالاته من أماكن نائية الى صحف في بريطانيا والولايات المتحدة. وهو حقق في مهنته هذه نجاحا كبيراً، بيد أن الدعامة الاساسية في حياته الترحُّلية كانت جولة محاضرات سنوية في الولايات

(٥) Paneuropean Union

المتحدة حيث كان يلقي نحو ٨٠ محاضرة في السنة. وهو ما زال يكتب زاوية أسبوعية في السياسة العالمية تنشرها ١٦ صحيفة. كما الف ٢٦ كتاباً في السياسة والتاريخ.

قرر هابسبورغ في منتصف السبعينات أن يضطلع بدور فاعل في المجموعة الاقتصادية الأوروبية، وكان آنذاك تجاوز الستين من عمره. غير أنه كان مواطناً نمسوياً في وقت لم تكن النمسا - التي سُمح له بالعودة إليها عام ١٩٦٦ - عضواً في المجموعة الأوروبية. وفيما اعتزم أن يبقى مواطناً نمسوياً، قدّم طلباً للحصول على الجنسية الألمانية الغربية. وبمساعدة فرانز جوزف شتراوس، الذي كان آنذاك رئيس الاتحاد الاشتراكي المسيحي في بافاريا، حصل على الجنسية الألمانية في الوقت المناسب لخوض انتخابات البرلمان الأوروبي باسم الاتحاد.

كانت الحملة الانتخابية قاسية ودامت ستة أشهر، فللمرة الاولى ينتخب البرلمان الأوروبي بالاقتراع الشعبي المباشر. وقد هاجم الديموقراطيون الاشتراكيون "الجد أوتو" زاعمين أنه ديكتاتوري النزعة ولا يصلح لعضوية البرلمان لتقدمه في السن. غير أنه جال في أنحاء دائرة بافاريا الانتخابية متحدثاً الى المواطنين في أكثر من ٢٠٠ مناسبة. ونال في الاقتراع المركز الثالث بين عشرة مرشحين مثلوا الاتحاد الاشتراكي الذي استقطب ٦٢,٥ في المئة من الأصوات.

ويعود الفضل في هذا الانتصار المبين الى قاعدة هابسبورغ الشعبية. وقد أعيد انتخابه مرتين.

وطوال السنين العشر الماضية بات البرلمان الأوروبي موئل هابسبورغ. فثابر على حضور جميع جلساته، وارتبط اسمه بنحو ٥٠٠ قرار راوحت بين حماية البيئة في الأمازون وإرسال الامدادات الطبية والغذائية الى المجاهدين الأفغان. وقلة من حاملي جواز السفر الأوروبي ذي اللونين الأحمر والذهبي، يعرفون أن الفضل في إقرار هذا الجواز يعود الى مبادرة هابسبورغ. وفي العام ١٩٩٠ عمل على احباط مشروع لاقامة المعرض العالمي "إكسبو ٢٠٠٠" في البندقية، مبرراً ذلك بأن تدفق أعداد ضخمة من الزائرين سيشكل خطراً مميتاً على المدينة الغارقة. ويقول زميل هابسبورغ في البرلمان الأوروبي الرئيس الفرنسي السابق فاليري جيسكار ديستان: "يسعى الجميع، بمن فيهم أنا، الى استشارته لما يتصف به من خبرة عميقة الجذور ولما له من إيمان لا يتزعزع بأوروبا."

عاش الملك! يسعى هابسبورغ داخل البرلمان الاوروبي وخارجه الى مد جسور بين المجموعة الاوروبية وبلدان أوروبا الشرقية والوسطى. تقول عضو البرلمان الأوروبي باتريشيا رولنغز: "كان أوتو، خلال الحرب الباردة، الصوت الصارخ في ستراسبور للشعوب المناضلة في تلك البلدان الأسيرة، وهو بقي بطلها

المقدام." وذات يوم سبت من أغسطس (آب) ١٩٨٩، في بقعة على الحدود النمسوية - المجرية، رعى هابسبورغ "نزهة أوروبية" غايتها الايذان بأوروبا بلا حدود. ولأجل ذلك، وُزعت منشورات بالألمانية والمجرية في النمسا وفي المجر (هنغاريا) التي كانت آنذاك أكثر بلدان الكتلة الشرقية حرية، تدعو الناس الى الحضور. فاستجاب مئات من مواطني ألمانيا الشرقية الذين سافروا الى المجر آملين الهرب الى الغرب. وعندما قصت ابنة هابسبورغ، فالبورغا، الشريط الشائك في "الستار الحديد" اندفع ما يزيد على ٦٠٠ شخص الى الحرية خلال الساعة الأولى، فيما أشاح حراس الحدود المجرية بوجوههم. وفي الأسابيع اللاحقة عبر ألوف الى النمسا. ولم تمضِ ثلاثة أشهر حتى خُرق جدار برلين ذاته. وبذلك نجحت "نزهة" هابسبورغ.

وكان هابسبورغ، قبل أشهر، استُقبل في المجر استقبال الأبطال. وفي فيينا، شيَّع عشرات الألوف جثمان والدته التي توفيت وهي في السادسة والتسعين من عمرها، وواروها في ضريح العائلة. وبعد يومين هتف ألوف في بودابست "عاش الملك!" فيما هابسبورغ يغادر قاعة تلقى فيها التعازي بوفاة أمه. لقد عاد "الملك" الى دياره بعد نفي دام سبعة عقود.

يتدفق على مكتب هابسبورغ خارج ميونيخ (ألمانيا) سيل رسائل من المجريين. وعندما أجريت الانتخابات الحرة الاولى في المجر عام ١٩٩٠، حضَّه مناصروه على الترشح لرئاسة الجمهورية، لكنه لم يفعل لاعتقاده أنه يستطيع تقديم خدمات أكبر للمجر كعضو في البرلمان الأوروبي.

أحب اللحظات الى قلب أوتو هي تلك التي يقضيها في مناقشة مواضيع تاريخية وسياسية مع أولاده السبعة وأحفاده الاربعة عشر في منزله في بافاريا. غير أن حبه الأعظم هو توحيد أوروبا و"العيش الأخوي لجميع شعوبها في مجتمع يكون القوة العظمى الثانية في العالم،" كما أعلن أخيراً في فيينا. وهو يتوقع أن تنضم دول أوروبا الشرقية الحرة الى الدول الاثنتي عشرة المكوِّنة للمجموعة الأوروبية. ولربما انضمت دول البلطيق أيضاً. والى أن يتم لها ذلك، سيبقى أوتو المدافع الأول عن قضاياها.

أنهى هابسبورغ حديثه الي قائلا: "إننا نعيش في زمن رائع."

ثمة هالة منيرة حول هذا المواطن الذي خسر عرشا وربح قضية.

ارنست هوسر ■



النجاح من دون شرف كطبق غير مملَّح. انه يشبع جوعك، ولكن لا لذة فيه.

جو باترنو، مدرب كرة قدم



يوميات طفل

ترى ما الذي يجول في ذهن طفل عندما يحدق الى وجهك؟ وكيف يشعر عندما يجوع؟ وكيف يتأثر بمزاج أمه؟

لقد تأملت مليا مثل هذه المسائل طوال عقدين من منظار الأب والباحث والطبيب النفساني. ففي الماضي كان الأولياء والعلماء يخمِّنون ما يجول في ذهن الطفل. لكن التقدم الذي أحرزته المراقبة العلمية أتاح لنا فرصة الاطلاع على دقائق السنوات الاولى في حياة الانسان.

تحققت هذه الانجازات، جزئياً، لأننا تعلمنا أن نطرح على الأطفال أسئلة يستطيعون الاجابة عنها بأنفسهم. مثلا، هل يستطيع طفل في يومه الثاني التعرف الى أمه من خلال رائحتها؟ لمعرفة الجواب، وضعنا قماشة مبللة بحليب الام على وسادة الى يمين رأس مولودها. ثم وضعنا قماشة ثانية مبللة بحليب أم أخرى الى الجانب الأيسر. فأدار المولود رأسه نحو اليمين. وعندما بدَّلنا موضع

القماشتين أدار الطفل رأسه الى اليسار. فهو، إذاً، لم يتعرف الى رائحة أمه فحسب، بل فضلها على غيرها وأجاب عن السؤال بتحريك رأسه.

يمتص الأطفال حليب أمهاتهم بدفعات قصيرة، ويستريحون بين مصة وأخرى. وهم قادرون على التحكم بطول المصّة وبمدة الاستراحة. ولمعرفة ما يحبّ الأطفال مشاهدته، توضع داخل فم طفل مصّاصة تحوي جهازا الكترونيا خاصا، وتوصل بآلة لعرض الشرائح المصورة. فالطفل في شهره الثالث يتعلم بسرعة أن يمصّ كلما أراد مشاهدة صورة جديدة. وهو يقلِّب الصور بسرعة تعكس مدى اهتمامه بكل صورة. وهكذا، يتسنى، من خلال عرض صور موفَّقة، اكتشاف الذوق البصري لدى الأطفال.

كما يمكن وصل المصاصة المجهزة الكترونيا بآلتي تسجيل، يُسجِّل صوت الام على إحداها ويُسجَّل على الاخرى صوت امرأة تتفوه الكلمات ذاتها. اذذاك يمضي الطفل في المص لكي يتسنى له الاستماع الى صوت أمه وقتاً أطول.

وصقلت تسجيلات الفيديو قدراتنا على مراقبة الأطفال والاهل في آن. وبات في مقدورنا تجميد الصورة وعرض حركات الوجه وتعابيره مرارا وتكراراً. وقد تبين لنا أن الكاميرا أداة مهمة للتعرف الى السلوك البشري، مثلما كان المجهر أداة مهمة في إظهار كائنات حيّة غير مرئية.

اليوميات الآتية في حياة الطفل وليد تجمع بين النظرية والواقع، وقد انبثقت من معرفتنا الحاضرة بالأطفال. وهي تتابع نمو وليد في خمس مراحل، من الطفولة الباكرة الى السن الرابعة حين يصير قادراً على رواية قصته بنفسه.

الاسبوع السادس. أفاق وليد قبل لحظات. في هذا العمر يكون الطفل في أول عوالمه حيث لا يهتم الا بالمشاعر... مشاعره هو.

ها هو يحدق الى بقعة من الجدار غمرتها أشعة الشمس. لم يستأثر باهتمامه في الغرفة سوى هذه البقعة، لأن بريقها فتان آسر. وبصره جيد في هذا العمر، وان يكن لم يكتمل بعد. وهو بات يعي اختلاف الألوان والأشكال وحدَّتها، وتمتع منذ ولادته بأفضليات واضحة، تتصدرها حدة اللون.

كيف يعرف وليد أن هذه البقعة المتوهجة بعيدة وليست في متناول يده؟ في هذا العمر يبدأ احتساب المسافات. وقريبا يتمكن من قسمة المدى المحيط به منطقتين مختلفتين: عالما قريباً في متناول اليد، وآخر بعيداً.

وغالبا ما يحدق الأطفال في هذا العمر الى الأشياء كأنهم مسمَّرون اليها. اجتذبت رقعة الضوء على الحائط اهتمام وليد كأنها مغنطيس فرآها صفراء على الحائط الابيض الذي بدا ضاربا الى الزرقة حيث لم يصل الضوء. وبدت الألوان الدافئة والحادة، كالأصفر، كأنها تدنو، فيما بدت الألوان الفاهية، كالأزرق،

كأنها ترتدّ الى الوراء. وهكذا تراءى لوليد أن البقعة المشمسة تتقدم منه والفسحة المحيطة بها تتراجع. واستأثر عرض الاضاءة هذا بجهازه العصبي.

قد يشعر الأولياء بخيبة وانزعاج في مثل هذه اللحظات من حياة الطفل. تصوروا أنكم تحملون طفلة في الاسبوع السادس وتنظرون اليها وجها لوجه. أنتم تريدون اللعب وهي شاخصة الى نقطة معينة كبقعة مشمسة أو كخط التقاء جبينكم وشعركم. فتبتسمون لتحوّلوا نظرها من دون جدوى. وقد يحاول بعضكم إلهاءها بهزها أو برسم تعابير مضحكة على الوجه. ويعتقد كثيرون ان هذه النظرات المسمَّرة تنم عن كراهية أو رفض. لكن هذا غير صحيح.

سئم وليد النظر الى البقعة المشمسة على رغم افتتانه بها، وراح ينظر الى أماكن أخرى بحثا عن "تجارب" مختلفة.

مرت ساعات منذ تلقى وليد رضعته الاخيرة. وتنامى الجوع في جهازه العصبي كما العاصفة. اتسم جوعه في البداية بالضعف والتقلب، ثم بدأت وخزاته تنعكس حدة في طباعه وتؤثر في حركاته وتنفسه وأحاسيسه.

ومع تحول اهتمامه الى ما يجري داخله بات غير قادر على رؤية العالم المحيط به الا نُتَفا. وفيما ازداد جوعه تسارعت أنفاسه وازدادت زخما وخشونة. وسرعان ما راح ينشج. لكن تنفسه وبكاءه كانا غير متناسقين، إذ كان بكاؤه يطول أحيانا ويكاد يخطف أنفاسه. ولم تعد حركات ذراعيه ورجليه متزامنة ولا متناسقة مع بكائه وتنفسه. وراح العالم يتفكك في نظره.

أخيراً بدأ الجوع يتمركز داخله في مكان أحس كأنه "الوسط." وسرعان ما دفع الالم جهازه العصبي الى تغيير أدائه، فتحول الى ايقاع من البكاء هو أقوى ما تستطيعه حنجرته. فالبكاء، على ما يبدو، يريح وليداً وقتياً من الالم، تماما كما "يريح" الصراخ والقفز من ألم اصبع مسحوقة. والبكاء أيضا مؤشر خطر لتنبيه ذويه الى محنته. (وهو مؤشر حسن التصميم استوحيت منه صفارات الشرطة والاسعاف.)

أتت أم وليد فتناولته وراحت ترضعه وهي تمسِّد شعره وتربِّت جسمه وتتكلم اليه برقة لتهدىء باله. عندما يرضع طفل جائع في مثل هذا العمر، فان كمية قليلة من الحليب تخفف غائلة جوعه. ولكن ما لا تعرفه أم وليد (الا حدسا) هو أن حملها اياه وضمه اليها هما الاقدر فعلاً في تهدئته.

الشهر الرابع. يجلس وليد في حضن أمه ووجهه اليها. ويبقى الاثنان غارقين طويلا في نظرات صامتة. تبتسم الام، فيرد وليد الابتسامة للحال. ثم تلامس أنفه بأنفها وهي تبتسم وتصدر أصواتا محببة. ويتكرر التناغم الثنائي، وفي كل مرة يزداد وليد ابتهاجا.

يجتاز وليد في هذا العمر مرحلة مهمة من النمو تظهر خلالها ابتسامته ويبدأ

نطقه وتطول فترة اتصاله البصري.

والوجه، بالنسبة الى وليد، هو الآن الموضوع الأكثر تشويقاً. فبصره مفطور على مفاضلات معينة. فهو، مثلا، يفضل الخطـوط المنحنيـة (كـالـوجنتيـن والحاجبين) على الخطوط المستقيمة. وتفتنه الحركة داخل إطار معين (كالشفاه المتحركة في الوجه).

بات وليد قادراً على التحكم بنظرته المحدقة على غرار البالغين، بحيث يقرر أين ينظر وإلامَ ينظر ومدة التحديق. وهو يستطيع، بمجرد النظر الى أمه، بدء اتصال معها لأنها غالبا تبادله النظرة بمثلها. ويستطيع أيضاً تمديد الاتصال بابتسامة كبيرة أو انهاءه باشاحة وجه. لقد بات خبيرا في استهلال التفاعلات الوجهية أو وضع حد لها.

يتصرف الأطفال كأن العيون هي فعلا مرآة الذات، فبعد بلوغهم الاسبوع السابع ينظرون اليها كمركز جغرافي للوجه ومركز نفساني للمرء. عندما تلعبون "الغمّاضة" مع طفلكم فانه يبدي ابتهاجه فور ازاحتكم الغطاء عن شعركم وجبينكم. لكنه حين يرى عينيكم يطير فرحاً.

يستمر هذا التفاعل البصري الحاد طوال الحياة كامنا، عموماً، في خلفية السلوك البشري. لكنه، في لحظات معينة، يعود ويظهر على نحو طاغٍ. وعندما يبلغ وليد سن المراهقة، سينظر الى عيني فتاة لدقائق من دون أن ينبس بكلمة. وسيقتصر اتصالهما عندئذ على لغة الوجه والتنفس.

وللتواصل البصري بين الام وطفلها أهمية سريرية كبرى، ذلك لأن لوجه الام وجوداً طاغياً في عالم الطفل الذي يغدو على معرفة تامة بملامح أمِّه وحركاتها. فاذا انحرفت الام عما ألفه الطفل منها، راوده القلق. واذا امَّحت التعابير عن محياها لانشغالها بمشاكل مع زوجها أو في عملها، ماتت ابتسامة الطفل وحل مكانها عبوس. وقد يكرر الطفل محاولة استدرار عاطفة أمه من خلال التبسم والايماء، لكنه إن أخفق انكفأ حزيناً مربكاً.

وقد ينزع الطفل الى تقليد مزاج أمه. وربما نشأت لديه مشاكل نفسية من جراء محاولته التعايش مع أولياء مصابين بانهيار عصبي او اضطراب عقلي أو جنوح الى العنف أو نزوع الى القلق.

ويراود وليد في هذا العمر أيضاً احساس بأنه قادر على افتعال بعض الامور في عالمه، وبأنه وسيلة فاعلة في ذاته. فهو حين يدير رأسه يتغير المشهد، وحين يغمض عينيه يظلم العالم.

ويتعلم وليد كذلك انه كائن منفصل عن أمه. لكن توقيت هذه المعرفة وطريقة حصولها مسألتان ما زالتا موضوع تضارب حاد بين النظريات المتداولة في علم النفس. فلقد اعتقد الباحثون زمناً طويلا أن الأطفال يعيشون في حال انصهار لاتبايني مع أمهاتهم حتى الشهر السابع أو التاسع، بحيث لا يميزون بين تصرفاتهم ومشاعرهم وتصرفات أمهاتهم ومشاعرهن. لكننا اكتشفنا حديثاً أن قدرة

الطفل على التمييز بينه وبين الآخرين تبدأ قبل بلوغه شهره الثالث أو الرابع.

يشهد وليد في عمره هذا تكوُّن ثلاثة أنواع من الاحداث البشرية: أحداث الذات وأحداث الآخرين وأحداث الذات مع الآخرين. وهذا يعني، باختصار، أنه بدأ ينظم عالمه الاجتماعي الذي بات يضم أناساً مختلفين: وليد وأمه وأبوه على الاقل، ثم بقية الوجوه الوثيقة الصلة بحياته اليومية.

ولئن فوَّت الطفل إحدى القدرات المتوقعة خلال هذه المرحلة، فقد يؤثر نقصها في تفاعلاته الاجتماعية. فالأطفال المتوحِّدون الساهون عن الواقع، مثلاً، لا يتصلون بصريا بالآخرين. ويبدو أنهم يجدون الاتصال كريها.

الشهر الثاني عشر. يحقق وليد في هذا العمر اكتشافين كبيرين، أولهما أن له عقلاً، وللآخرين أيضاً، وأن له في تصوره الذهني الخاص رغبات وأحاسيس وخواطر وذكريات ونيات لا يراها الآخرون ما لم يحاول إظهارها. وثانيهما أنه قادر على مشاركة شخص آخر في تصوره الذهني.

فكيف نتحقق من أن وليداً اكتشف التصور الذهني؟

الجواب غاية في البساطة. فإذا أراد وليد الحصول على لعبة وُضعت في الجانب الآخر من الغرفة، فقد ينظر الى أمه مستعينا بها. وإن كانت أمه لا تراها فسيبدأ، وهو في شهره التاسع، الاشارات الى اللعبة وذراعه ممدودة وسبابته منتصبة، الى أن تدير أمه رأسها وتنظر الى اللعبة. ويفوز وليد بانتباه أمه. والانتباه حالة فكر ذاتية، أي صورة ذهنية.

بدأ وليد في الأشهر القليلة الماضية يتصرف كأنه يعلم أن لديه نيات وأن طرق كشفها متعددة. فان أمسكت أمه بقطعة حلوى ورغب هو فيها، مد ذراعه وفتح يده في اتجاهها ونقَّل نظره بين قطعة الحلوى ويده التي يفتحها ويطبقها أمام أمه. ثم ينطق. وإنْ لم يُجدِ النطق وجد وسيلة أخرى للافصاح عما يجول في فكره، الى أن تتنبه أمه لأمره. وقد يشد فستانها لبرهة ويتلفظ بنبرات صوتية ملحَّة تعلو تدريجا، وعيناه لا تبارحان قطعة الحلوى. فما يريده واضح، وهو يطلب من أمه أن تقرأ نياته.

الشهر العشرون. يغلب الهدوء على غرفة وليد. فهو وحيد ويود الانضمام الى ذويه. فينزل من سريره ويذهب الى غرفتهما ويندسّ بينهما. وبعد برهة يقول له والده مداعبا: "يا بطتي الصغيرة." فيجيب وليد: "بطة!" ويضحك والده مضيفا: "أجل، أنت بطتي الصغيرة."

حين شارف وليد شهره الثامن عشر حقق قفزة رئيسية أخرى الى عالم الكلمات. والقدرة على الكلام كائنة في الجينات* البشرية. وكما تتفتح الزهرة،

(*) الجينات او المورثات هي حاملات الخصائص الوراثية في الخلايا.

تتفتح القدرة على الكلام، التي يتفرد بها الانسان، في الوقت المناسب.

نجح وليد الى الآن في إدراك موسيقى الكلام، أي الصوت البحت، مع قليل من المعنى. فلقد برزت كلمة "بطة" هذا الصباح، فتعرف وليد اليها وبدأ يستكشفها متلاعبا بوقعها. ثم بدأ التحكم بالصوت والاحتفاظ به عوض تركه يمر مرور الكرام.

أخذ وليد وأبوه يتقاذفان الكلمة محاولين تحسينها كل مرة.

قال وليد: "أنا بطة" على رغم أن والده هو الذي أطلق عليه هذه التسمية، لانه هو اكتشف العلاقة بين الكلمة الجديدة وتجاربه السابقة (نظرته الى نفسه من خلال الرابط العاطفي بوالده). وهو لم يسمع عبارة "أنا بطة" من قبل لان ما نطقه والده كان عبارة "يا بطتي الصغيرة." لقد ابتكر وليد بمفرده عبارة "أنا بطة" عاكسا حب والده له ونظرته اليه.

السنة الرابعة. سأله صديق: "ماذا فعلت هذا الصباح؟" فأجاب وليد: "دخلت غرفة أمي وأبي لألعب. ولعبنا جميعا لعبة المركب في السرير."

فسأله الصديق: "كيف لعبتم هذه اللعبة؟"

أجاب: "نحن نعيش في مركبنا. كدت التقط سمكة كبيرة، لكنها فرت ثم عادت. إنها سمكة فريدة اسمها بطة، قد تكون مستديرة. وهي تستطيع الوثب فوق سطح الماء. صديقي جوجو يستطيع الوثب أيضا، وكذلك سامي، لكن سوسو لا تستطيع. وأنا أتعلم الوثب. لم أشاهد سمكة البطة أبدا، لذا لا أحد يعرف شكلها. لكنها سمكة مميزة جداً. لم نأكل سمكاً اليوم، لكننا نأكله أحياناً."

لقد خطا وليد خطوة كبيرة في نموه وبات قادراً على سرد قصة تتناول أحداثا حصلت، وربطها بشخص آخر. لقد أصبح وليد راوي قصص بسيطة.

إن معظم الأولاد الذين تراوح أعمارهم بين سنتين ونصف وأربع سنوات يبدأون فهم قصص تتناول حياتهم ويؤلفونها. وهو شأن يعتمده البالغون أيضا للتعبير عن معتقداتهم ومهنهم بقالب قصصي. فالقصة هي من أقوى أشكال التعبير عن الذات في كل حضارة، ومن أفعل القدرات في الحفاظ على استمرارية الحضارة.

لقد بات وليد قادراً، من خلال نسج قصة عن نفسه، على تفسير حياته وإعادة تفسيرها. ولم يعد يحتاج الى مترجم مثلي، لأنه سيتكلم اليكم مباشرة من الآن فصاعداً.

الدكتور دنيال ن. سترن ■

أهم العلوم التي يمكن أن يتقنها المرء، بل يجدر به أن يتقنها، أن يأتي أقل مقدار ممكن من الشر ويحقق أكبر مقدار ممكن من الخير في حياته.

ليو تولستوي

خبرات من واقع الحياة تفيدكم كي تبقوا هادئين في عالم محموم

الصبر مفتاح الفرج

وقفت أراقب أصابع الرجل العجوز المرتبكة وهو يعد النقود ببطء أمام صندوق الدفع في المتجر وأنا في طابور الانتظار أرقص مللا وأتنهد حنقا.

سمعني فابتسم ابتسامة اعتذار لكونه رجلا ضعيفا يقوم بعمل يفوق طاقته.

ندمت. وإذ تصورتني مكانه أدركت أن الناس سيدوسون قدمي يوما وأنني سأصبح معتمدا على لطف الغرباء. ربت على يده المرتجفة وقلت: "خذ وقتك، فليس ثمة من عجلة."

كثيرا ما تصرفت بفروغ صبر. نافخا في بوق سيارتي لحظة تبدل الاشارات الضوئية، ومتكلما بحدة مع شخص بطيء الفهم. هل هذا أمر مهم؟ أجل، إنه مهم. فمتى كنتَ فارغ الصبر أصبحتَ عرضة لأن تغدو عنيفا. ومثل هذا التصرف غير مثمر ويجعل الناس غضابى أو عنيدين أو غير متعاونين.

صممت على أن أصبح أكثر صبرا وأن انمي أساليب متنوعة تؤول الى تهدئة نفسي في الأوضاع الضاغطة. ولا أدعي أن تلك "التقنيات" حولتني مثالا في الصبر، لكنها ساعدتني على ابعاد الملل عن حياتي والتحكم في معظم نفاد صبري.

ILLUSTRATIONS: THOMAS PAYNE

دعوا هامشاً للخطأ. ترك صديق لي انطباعاً حسناً في عدة مقابلات أجريت معه حين تقدم الى وظيفة جديدة مهمة، وكل ما تبقى كان لقاء رئيس الشركة.

في السادسة صباحاً انطلق صديقي الى المدينة لمقابلة الرئيس في السابعة. لكنه علق في زحمة خانقة وراء جرار مقطور. وحين وصل أخيراً الى الفندق الذي نزل فيه رئيس الشركة كان هذا غادره من دون أن يترك رسالة. وفي اليوم التالي لم يقبل أي اعتذار، بل قال: "كان عليك أن تتحسَّب لأي عائق."

ان الناس غير الصبورين يكرهون اضاعة الوقت، فيبيّتون الامور في وقت محدد جداً. انهم يعدون الدقائق التي تستغرقها الرحلة أو المهمة غير سامحين بامكان التأخر أو حصول غير المتوقع. لذا يستحسن احتساب هامش للخطأ، وكلما زادت أهمية الموعد زاد الوقت المقتطع هامشاً. ومتى كان ثمة موعد لا يجوز تفويته فلا بأس باهدار وقت طويل.

اعتبروا الامور وفقاً لاهميتها. ان عدم الفوز بالوظيفة المنشودة أمر مؤسف. لكن نتائج تأخيركم واهدار وقتكم في الانتظار قد لا تكون خطيرة وهي لا تستحق فروغ صبركم.

تعلمت أن أسأل نفسي: "ما أسوأ ما يمكن حدوثه؟" فاذا كان الجواب أنني قد افوّت البرنامج الوثائقي الذي يعرض قبل الفيلم السينمائي، أو قد أتأخر على بداية المباراة، هدأت. ترى أأذكر في الأسبوع المقبل أنني تأخرت اليوم عشر دقائق؟ ان وضع الامور وفقاً لاهميتها يخفف من قلة صبرك.

والبشاشة تساعد. فكر في طرق تحوِّل بها الوضع الصعب قصة مضحكة تسلّي أسرتك وأصدقاءك. حاول أن تجعل من نفسك مراقباً، فذلك يوفر لك البعد الذي تحتاج اليه للجم مللك ونفاد صبرك فيما أنت تنتظر.

احتاطوا للطوارىء. ذات مساء كانت احدى معارفي ذاهبة في رحلة في عطلة نهاية الأسبوع. لكن محرك سيارتها لم يدُر. وكانت ثلاث من صديقاتها ينتظرنها في زاوية الشارع لذا لم تستطع الاتصال بهن. وحين وصلت بعد ساعة كان قد تملكهن البرد والبؤس والقلق. ومنذ أخبرتني بما حصل بتُّ أحرص على ملاقاة الأشخاص في أماكن حيث يمكن أن أتصل بهم أو يتصلوا بي في حال التأخر. وهذا يجعلني أكثر صبراً عندما تتعثر الامور.

ازدحام السير قلما يغيظ حين لا يكون المرء جائعاً أو عطشاً أو في حاجة الى دخول بيت خلاء. كانت لي عمة لا تنطلق في سيارتها الى أي مكان من دون صندوق بسكويت. وقدرت حكمتها عندما انطلقت في الصيف الفائت، أنا وصديق لي، لتمضية يوم عطلة مع أصدقاء آخرين في منزل لهم على الشاطىء.

انطلقنا في الحادية عشرة صباحاً،

والمكان المقصود يبعد ساعتين في السيارة. لكننا لم نصل الا في السابعة ليلا، لأن شاحنة محملة "مايونيز" تدهورت على الطريق فاندلقت المادة البيضاء وباتت الطريق غير سالكة. فاذا ما كان الصبر مطلوبا، ففي ذلك النهار. ولحسن الحظ كان معنا خبز محلي وكعك هدية الى أصدقائنا. فأغرنا على هذه اللذائذ.

تحضّروا لتمضية الوقت. الانتظار في مطار هو من أتعب المواقف في الحياة العصرية. كنت ذات صباح في قاعة الانتظار أراقب المطر الهتون يرسم خطوطا على النوافذ. فإذا برجل يتقدم مني ويخرج من جيبه "لعبة كلمات" ويسألني هل أرغب في اللعب معه. لعبنا بسرور طوال الساعات الأربع التي تأخرتها طائرتنا. وجلس قربنا رجل يلهو بآلته الحاسبة الصغيرة.

أما أكثر الاشخاص مللا فمضوا يذرعون قاعة الانتظار ويعربون عن تذمرهم بصوت عال ولا عمل لهم سوى وضع قطع نقدية في آلات بيع السجائر والمرطبات.

أنا اليوم أفترض على الدوام أنني سأواجه تأخيراً. لذلك أحمل دائما كتابا أطالعه. ولي صديق يعمل على حل الكلمات المتقاطعة في ساعات الانتظار.

شغّلوا مخيلتكم. كنت يوما أنتظر في أحد المطاعم، فأحسست توترا، فتذكرت قولا مأثوراً: "بصبركم املكوا أنفسكم."

عدت بالذاكرة الى سن المراهقة. فتذكرت مسبحا كثير الضوضاء مكتظا بالناس حيث كنت أملأ رئتي هواء وأغوص الى العمق وأجلس تحت الماء حيث الهدوء والاخضرار والسكون. وهكذا، ذلك اليوم في المطعم، غصت في أعماق نفسي حيث الهدوء والسكون.

واذا ما كنتم منفعلين جدا وعاجزين عن التفكير بوضوح فانتقلوا بمخيلتكم الى مكان عزيز عليكم. يقول صديق لي: "عندما أشعر بتوتر أتخيل نفسي في موضع هادىء على ضفة نهر، فهذا يساعدني دائما على تنفيس التوتر."

عيشوا الساعة الحاضرة. أعرف رجلا كان دائما في سباق محموم الى المستقبل. فإذا ما التقينا على فنجان قهوة بعد العمل فأول ما يتكلم عنه هو أين نذهب لتناول العشاء. وبعد العشاء يلتهم الحلوى في ثوان كي لا يفوتنا موعد السينما. وفي السينما ينتصب على قدميه قبل أن تتوارى الصورة الاخيرة. وفي السيارة، في طريقه الى المنزل، يرسم خططا لليوم التالي، والاسبوع التالي، والسنة التالية.

انه لم يعش مكانه وزمانه ابدا. فلم يتسنَّ له التمتع بحياته.

هناك أمر أقدره حق قدره وهو أن للحياة جدولا زمنيا: تسعة أشهر لاكتمال نمو الجنين، واحدى وعشرون سنة لبلوغ

سن الرشد. يحتاج المرء الى وقت طويل ليصبح عازفاً جيداً أو متزلجاً محترفاً. ويحتاج الى وقت لينجح، والى وقت أطول ليصبح انساناً ناجحاً.

قد يكون السبيل الاخير لضبط نفاد الصبر هو تفحص مساهمتك الشخصية فيه. هل أنت غير مستعد لمنح الطفل وقتاً للتعلم، أو المرء البطيء وقتاً لاكمال مهمته؟ اذا كان نفاد صبرك عرضياً فتبرُّمك يمضي، أما اذا كنت دائماً منفعلاً ومتسرعاً فربما أنت تشعر بأنك مهم جداً ولا يجدر بك أن تنتظر شخصاً أو شيئاً.

أنت لست كذلك، ولا أحد هو كذلك. فإذا سلّمنا بأن الدنيا لنا لنتمتع بها لكنها لم تخلق على هوانا، فسنكون أقدر على التحرك فيها برصانة وبمزيد من الصبر على تقلبات الحياة اليومية، كما سنكون رفقاء صالحين لانفسنا ولأخوتنا في الانسانية.

جو كودير ■

مدير بروتوكول

تولى مدير البروتوكول في البيت الابيض جوزف فرنر ريد مسؤولية الاهتمام بمراسم زيارة ملكة بريطانيا اليزابيث الثانية للولايات المتحدة في مايو (أيار) ١٩٩١. وشملت مهمته تنسيق كل شيء، من حمل الامتعة الى تنظيم مواعيد المروحيات الى تحديد أماكن الوقوف لالتقاط الصور التذكارية، وغير ذلك كثير. وكانت للموسيقى أيضاً مكانتها في لائحة الاهتمامات البروتوكولية، اذ لا يزال كثيرون يتذكرون الهفوة الكبرى التي ارتكبها الرئيس الأسبق جيرالد فورد في الزيارة الاخيرة للملكة الى العاصمة الامريكية، حين أخذته نشوة الموسيقى المرحة فراح يدور بصاحبة الجلالة على حلبة الرقص.

وتعود صداقة جوزف ريد والرئيس جورج بوش الى أيام الطفولة. وهو يسعى جاهداً الى تجنّب حدوث امور غير متوقعة اثناء استقباله قادة الدول او اتصاله بنحو ٢٠٠ الف ديبلوماسي أجنبي منتشرين في البلاد. ويعود نجاحه الى ثلاث ميزات: لباقة لامتناهية، وصبر لامتناه، واهتمام لامتناه بالتفاصيل الدقيقة. ولعله اول مدير للبروتوكول في التاريخ بادر، بعيد تسلمه مهماته، الى الاتصال بالسفراء المعتمدين في واشنطن عوض أن ينتظر اتصالهم به. ويتذكر: "فاجأتهم بادرتي، لكنهم قدروها حق تقدير، لأن فيها اشارة واضحة الى احترام أسبقيتهم."

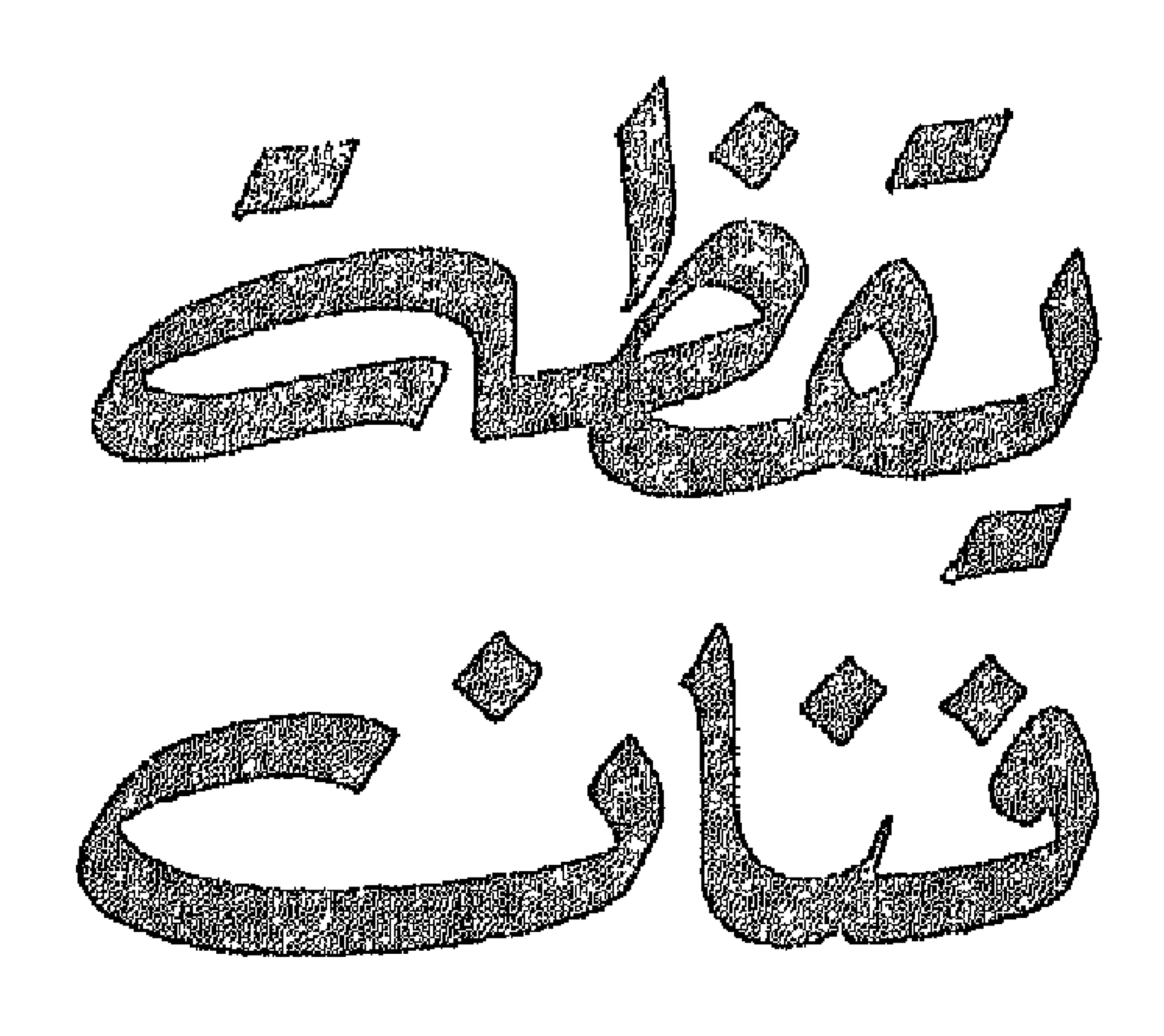
د. م.

جذور الموهبة

يتحدث مغني الاوبرا الايطالي لوتشيانو بافاروتي عن جذور موهبته: "كانت أمي تقول اني ورثت صوتي عن ابي وورثت عنها قلب موسيقاي ورومانسيتها. كنتُ ألج غرفتي وأغلق بابها وابدأ الغناء بأعلى صوتي الطفولي، فيتعالى زعيق الانزعاج من أربع عشرة شقة من أصل ست عشرة في المبنى."

ل.ب.

غرق الرجل في صمت مطبق دام عشرات السنين... الى أن أيقظ الحب ما كان كامناً



لن تنسى أول مرة رأته. كان يمشي في رواق المصح متثاقلا مطأطأ الرأس باحثاً عن أعقاب سجائر، وخصلات شعره الأشيب تتدلى من صلعته اللماعة. ولما رفع نظره بانت عيناه الزرقاوان محدقتين من تحت حاجبيه الكثّين.

تأثرت آن واتس بالمشهد وسألت الممرضة عن حال الرجل. فعلمتْ أن جون انغلهارت، ابن الحادية والثمانين، أمضى معظم حياته في مصحات عقلية، وأنه بات في السنوات الخمس عشرة الأخيرة عاجزاً عن الاتصال إلا نخيراً أو بكلمات قصيرة.

وللحال توجهت آن الى انغلهارت وقالت له: "أعلمُ أنك ستتحدث إليَّ يوماً."

فنظر إليها مندهشا، وأشاح بوجهه.

لم يعرف أحد متى انقطع انغلهارت عن الناس ولماذا. وتعتقد إحدى العاملات في "إنز أوف إفرغرين ساوث" وهي دار للعجزة في بالتيمور تؤوي انغلهارت، أن الأمر قد يكون نتيجة قرار واعٍ أخذه. وتقول المساعدة الاجتماعية كارين جنسن: "كنا نعرف أنه حين يحدق الى شخص فنظرته ليست فارغة، ولا بد أنه يفكر في أمر ما."

وُلد انغلهارت، كما جاء في صفحة وحيدة من سجلات "إفرغرين"، في ٣ أبريل (نيسان) ١٩٠٧، وتخلت عنه أمه وهو في الخامسة من عمره. وأُدرج على أنه "متخلف عقلياً" و"مصاب بالحبسة الفصامية"[١] التي تعني أن ذهانه[٢] أعاق قدرته على الكلام.

أُدخل انغلهارت مصحا عام ١٩٢٨ في وقت كان التخلف العقلي ما زال من الشؤون التي يُساء فهمها. وكانت المصحات العقلية آنذاك تشكو اكتظاظا بحيث امتلأت الأروقة بأصداء صرخات المرضى المقيدين.

واحة ظليلة. في يوليو (تموز) ١٩٨٨، بعد ثلاثة أشهر على لقاء أنغلهارت، عملت آن واتس (٢٨ عاماً) في "إفرغرين" اختصاصية بالمعالجة الاستجمامية.[٣] وكانت من خين الى آخر تترك واجباتها لتتبع انغلهارت في أنحاء الدار.

---

(١) Aphasiac schizophrenic

(٢) الذهان (psychosis) اضطراب عقلي يتسم باختلال الصلة بالواقع او انقطاعها.

(٣) Recreational therapy



جون انغلهارت يرسم.

وهي وصفت محاولاتها الوصول اليه في دفتر يومياتها أواخر ديسمبر (كانون الاول): "إني ألاعبه وأصفق معه. ليتني أعرف ما جرى له."

وبعد شهرين أنهت آن احدى جولاتها اليومية ولم تجد انغلهارت في غرفته. لكنها لاحظت أن باب الحمام مفتوح جزئياً. وهي تذكر: "ناديت: جون! فصاح: نعم! فدهشت إذ تأكد لي، للمرة الاولى، أنه قادر على الكلام."

ضاعفت آن جهودها وتابعت توجيه الاسئلة الى انغلهارت ومكافأته ببادرة حنان كلما حصلت منه على جواب.

كتبت في يومياتها: "جلس جون وحيداً في غرفته ممسكاً بقدمه التي بُترت منها إصبعان بسبب الغنغرينا. دخلتُ لرؤيته، وإذ رآني طبع على وجنتي بضع قبلات سريعة. ولمَّا سألته عن حاله رد: سيئة."

شفيت قدم انغلهارت وتحسنت صحته ومعنوياته وبدأ يُسرّ برفقة الناس. فأذنت إدارة المصح لآن باصطحابه في رحلات "ميدانية" أشعرته بطعم الحياة الاجتماعية للمرة الاولى منذ سنين.

وكتبت آن بعد رحلة الى السوق: "جرَّبتُ وجون نظارات شمسية. وفي متجر للآلات الموسيقية، أجلسته الى أُرغن الكتروني عملاق. فعزف بيسر ناقراً المفاتيح بأظافيره الطويلة. ولمَّا انتهى من العزف صفق له البائع والزبائن اعجاباً."

لم يتلقَّ انغلهارت دروساً في البيانو من قبل، لكنه أظهر حساً فطرياً باللحن والايقاع. وكان ذلك أول دليل لمسته آن عن المقدرات الفنية الكامنة فيه.

وبدأت ثقة عميقة تتنامى بينهما على رغم متطلبات انغلهارت المرهقة أحياناً. كان يغضب إن تأخرت آن في الوصول الى دار العجزة. وكانت هي تخشى أن ينتهي به الأمر في مستشفى إن ذهبت في إجازة. لكنها شعرت بأن الايجابيات تفوق السلبيات كثيراً. تقول: "كنت حين أراه مبتسماً أشعر كأني تلقيت هدية قيِّمة. وغدوت قادرة على المكوث معه من دون أن يشغل تفكيري شاغل، كأني في واحة ظليلة."

فنان عظيم! على نحو غير متوقع، استيقظ الفنان في انغلهارت. فذات يوم

من مارس (آذار) ١٩٨٩ ناولته آن، وهي مستغرقة في مكالمة هاتفية، ورقة وقلماً. ولمّا فرغت من المكالمة أدهشها ما رسمه. وعندما سألته ما ذلك، أجاب الرجل الذي لا ينطق الا كلمات قصيرة أحادية المقاطع: "طاحونة هواء." كانت بضعة خطوط تشكل طاحونة هواء وشكلا جانبياً لوجه رجل، وقد أطلت عين سوداء كبيرة من مبنى قائم على ركائز متقلقلة. ويطالعك الرسم، في مجمله، كصورة لطائرة أخفقت في الاقلاع.

وسرعان ما تحوّل انغلهارت الى رسم صور ملونة. وتذكّر أشكاله وألوانه الزاهية بالرسامين التعبيريين أوائل القرن العشرين الذين استعاضوا عن الرسم المنضبط بآخر يعتمد التعابير الخام.

واذ راح انغلهارت يتحدث عن فنه، زادت مفرداته اتساعاً، مع أنه بقي يجد صعوبة في الكلام لتورّم لسانه وشفتيه نتيجة سنوات من العلاج بالعقاقير. الا أنه كان يصغي بانتباه الى الأسئلة التي تطرح عليه ويجيب عنها، متى أراد، بهمس خشن كأنه يغوص عميقاً في ذاكرته وروحه.

وفي يوليو (تموز) تبين أن انغلهارت مصاب بسرطان غدّة البروستات. وكاد يموت على طاولة العمليات، فلم يتمكن الأطباء من استئصال الغدة كاملة. وبعد أيام غادر المستشفى وهو في حال لا تدعو الى الاطمئنان. ولأسباب عدة، بينها عمره، قرر الأطباء ألا يخضعوه لعلاج كيميائي.

وفي إثر ذلك زخرت أعماله الفنية بألم وارتباك يعرفهما من يخشى دنو أجله. لكن حاله تحسنت على نحو لم يتوقعه الأطباء، فارتفعت ثقته بنفسه وازداد تصميما.

كتبت آن واتس في ١٠ أغسطس (آب) ١٩٨٩: "اليوم تسلقتُ وجون تلّة فدرال هيل، ورفعنا أذرعنا الى السماء قائلين معاً: أنا فنان عظيم! أنا عظيم! قالها جون أول الأمر همساً، ثم رفع صوته تدريجيا."

الفرح يقهر السرطان. أخيراً كشف انغلهارت أعمق التفاصيل الحميمة عن حياته الخاصة. فذات يوم جلس مع آن في حقل وراحا يحدقان الى السماء الزرقاء وقد خلعا حذاءيهما. وعندما همّا بالرحيل سألته آن: "من علمك ربط حذائك؟"

فأجاب: "أمي."

ثم روى قصة تختلف عما جاء في السجلات:

عاش انغلهارت مع أمه واخوته وأخواته. وعندما اندلعت الحرب التحق إخوته بالجيش ولم يُعرف عنهم شيء بعد ذلك. فأرسلته أمه المحزونة الى عمته التي حولته الى مصح للمتخلفين عقليا لعجزها عن حمل مسؤوليته. ولم يذكر انغلهارت شيئاً عن والده.

روى كيف جعله القيِّمون على المصحات يعمل بالتحطيب وجرف الفحم، وكيف غسلوه بخراطيم المياه وقيدوه ليلا. وهو زعم لآن أنه كان شابا مشاكسا تورط

في متاعب بسبب مشاجراته الكثيرة، وأنه حظي بصديقات كثيرات. كان من الصعب معرفة الحد الفاصل بين الحقيقة والخيال.

ومذ بدأ انغلهارت الرسم جال بفكر آن واتس أن تعرض أعماله الفنية. وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٩ تلقت دعماً من أوساط فنية فبدأت تنظيم معرض لأعماله في أبريل (نيسان) التالي. وقررت دار فنية تدعى "بوهاوس" عرض ٧٠ من رسومه.

وفي حفلة الافتتاح اكتظ المعرض بالمدعوين وأزدهت الجدران بلوحات انغلهارت ذات الألوان النارية والخطوط المتذبذبة الحادة. وجال انغلهارت وآن وسط المدعوين، يداً في يد، والابتسامة تعلو شفاههما. وبدا الفنان أنيقاً ببذلته القاتمة وقبعته السوداء.

وسرعان ما لاحظ النقاد موهبة انغلهارت. فكتب لينل سميث في صحيفة "إيفيننغ صن": "يعكس كثير من أعماله إدراكاً فطرياً للشكل والمضمون." وكتب جون دورسي في الصحيفة ذاتها: "أفضل امتحان لأعمال انغلهارت هو أنها تلاصقك." وقد بيعت ست من لوحاته خلال المعرض.

بعد المعرض بات انغلهارت رجلا شهيراً. وتوقف السرطان الذي أصابه عن النمو كما أظهر فحص الأنسجة. تقول آن: "إن تحوُّل جون فناناً معروفاً لأمر قابل للتصديق. ولكن ما لا يمكن تصديقه هو ما يفعله الحب والفرح بداء السرطان."

تركت آن واتس عملها عام ١٩٩٠، لكن صداقتها لانغلهارت استمرت. وذات يوم تملقته لكي يفسر لها رسماً لرجل يعتمر قبعة والى جانبه امرأة، وسألته مشيرة الى المرأة: "من هذه؟ أهي واحدة من صديقاتك؟"

فلم يجب.

فتابعت: "ألا تود إخباري؟"

فغمغم شيئاً.

فسألته: "ماذا؟ أهذه أنا؟" ثم ضحكت مضيفة: "آه، هذا لطيف حقاً. انه لأمر لم تفعله قبلا، أن تضعنا معاً في صورة واحدة."

ساره تانغي ■



هوس الكمبيوتر

كان الموظف الجديد في شركتنا مهووساً بالكمبيوتر. وفي محاولة لتوسيع أفق اهتماماته، اصطحبه زميلاي الطيّاران في رحلة صغيرة بالطائرة. وحين عادا سألاه عن رأيه في الرحلة، فأجاب: "رائع. اني أتحرّق شوقاً لتجربة برنامج الطيران على شاشة الكمبيوتر عندي في البيت."

ر.م.

حاولتُ أن أساهم في انقاذ الارض لكن التضحية فاقت احتمالي

اعترافات فاعل خير

تبدي زوجتي معظم الآراء القيمة التي ندرسها أو ننفذها في منزلنا. لذلك لم أفاجأ عندما أعلنت قبل مدة أننا "من الآن فصاعداً سنعيش حياة بيئية مسؤولة." واذ كنت راغباً في أن أصير شخصاً أفضل، وافقت على اقتراحها من كل قلبي.

بدأنا التنفيذ بالتسوّق على نحو أكثر مسؤولية. فنبذنا أكياس النايلون وصرنا نلقي الخضر عارية في عربة السوبرماركت، وعند صندوق الدفع نطلب أكياس ورق أو نضع مشترياتنا في كيس قماش نحضره معنا. وكنا نرى رواد السوبرماركت يحدقون إلينا باستغراب، لكننا صممنا على التعالي فوق سخافات الناس.

غير ان تصميمنا على العيش بيئياً ولّد بيننا خلافات ومشاحنات بلغت ذروتها قبيل العيد، اذ أحضرت زوجتي كتيِّباً للهدايا بعنوان "أنقذوا هذا الكوكب" واختارت منه مجموعة جديدة وفريدة من الهدايا: لابننا مستحضرات تنظيف خالية من الفوسفات، ولابنتنا مصباح فلوريسنت، ولأخي سدّادة لخزان المرحاض (للاقتصاد في استهلاك الماء). ثم اقترحَتْ: "أما والداك فقد يحبّان لفَّة أوراق مكرَّرة ومصنَّعة للفّ الشطائر."

وما ان أدليت برأيي الخجول لافتاً الى أن هذه الاشياء لا تبدو هدايا عيد، حتى ثارت زوجتي وردَّت غاضبة: "أنت لم تنوِ مطلقاً مجاراتي في هذا النظام."



ILLUSTRATION: PAUL MEISEL

أجبت محتجا: "لا قدرة لي على تحمل هذه الضغوط."

فقالت بلهجة الآمر: "اكبر اذاً."

قررت بذل محاولة ثانية لاتباع برنامج زوجتي. وتدخل لاوَعْيي هذه المرة، فحلمت أني في بيتنا الذي بدا مركز عمل بيئي احتشد فيه أناس عرفتهم وهم يأتون أموراً مستغربة وسامية. كانت صديقة لنا تفكك خيوط كنزات صوفية قديمة لكي تعيد حياكتها، وربط صديق دراجته الثابتة بدولاب مطحنة لكي يطحن دقيقَهُ، ورمت سيدة فتات مائدتها للديدان في كومة تسميد النفايات في حديقتها.

وما ان وصلتُ في أحلامي الباطنية الى هذا الحد حتى تملكني دوار. وضحكت زوجتي حين عرضتُ أن نستحمَّ معاً توفيراً للماء. ولكن عندما اقترحت الذهاب الى عملي في منطاد منعاً للتلوث، أدركت زوجتي أن كلامي أخذ منحى ساخراً، ورمقتني بنظرة غضبى فلم أجد بداً من الاعتراف بما اعتلج في صدري. قلت لها: "كفى، أعذريني، لا يسعني تحمل هذا العبء الثقيل من عمل الخير. تتملكني رغبة جامحة في الهرب من هذا الجو الخانق، فألتهم شطيرة همبرغر ضخمة ثم أرمي لفافاتها من نافذة السيارة في الشارع العام."

بعد هذه الثورة اللابيئية قررت زوجتي العزيزة تركي وشأني ليأسها من اصطلاح أمري. وتكفيراً عن عجزي وخطأي، أعمل الآن على وضع كتاب عنوانه "١١٦ طريقة مسلّية لمساعدة الطبيعة الأم ان كنت عاجزاً حالياً عن تقديم تضحيات كبيرة." وتوخياً للاقتصاد البيئي، أكتب المسودة على ورق تواليت مصنوع من نفايات معالجة، وأستعمل وجهَيْ كل ورقة في الكتابة.

دونالد ديل جاكسون ■



جدّة من الجبال

سافرت وزوجي لزيارة حفيدتنا التي تقطن في مدينة بعيدة، فعرَّفتنا الى اطفالها للمرّة الأولى. وحاولَتْ أن تشرح لابنها الصغير من أكون بالنسبة اليه، قالت: "هذه السيّدة هي جدّة أمك. وهي تعيش بعيداً في الجبال."

فاختلط الأمر على الصغير، ثم قال: "وهل تملك السيدة عصا سحرية؟"

م.ب.

حاسة سادسة!

سأل باحث زميله: "ما رأيك في الحاسة السادسة؟"

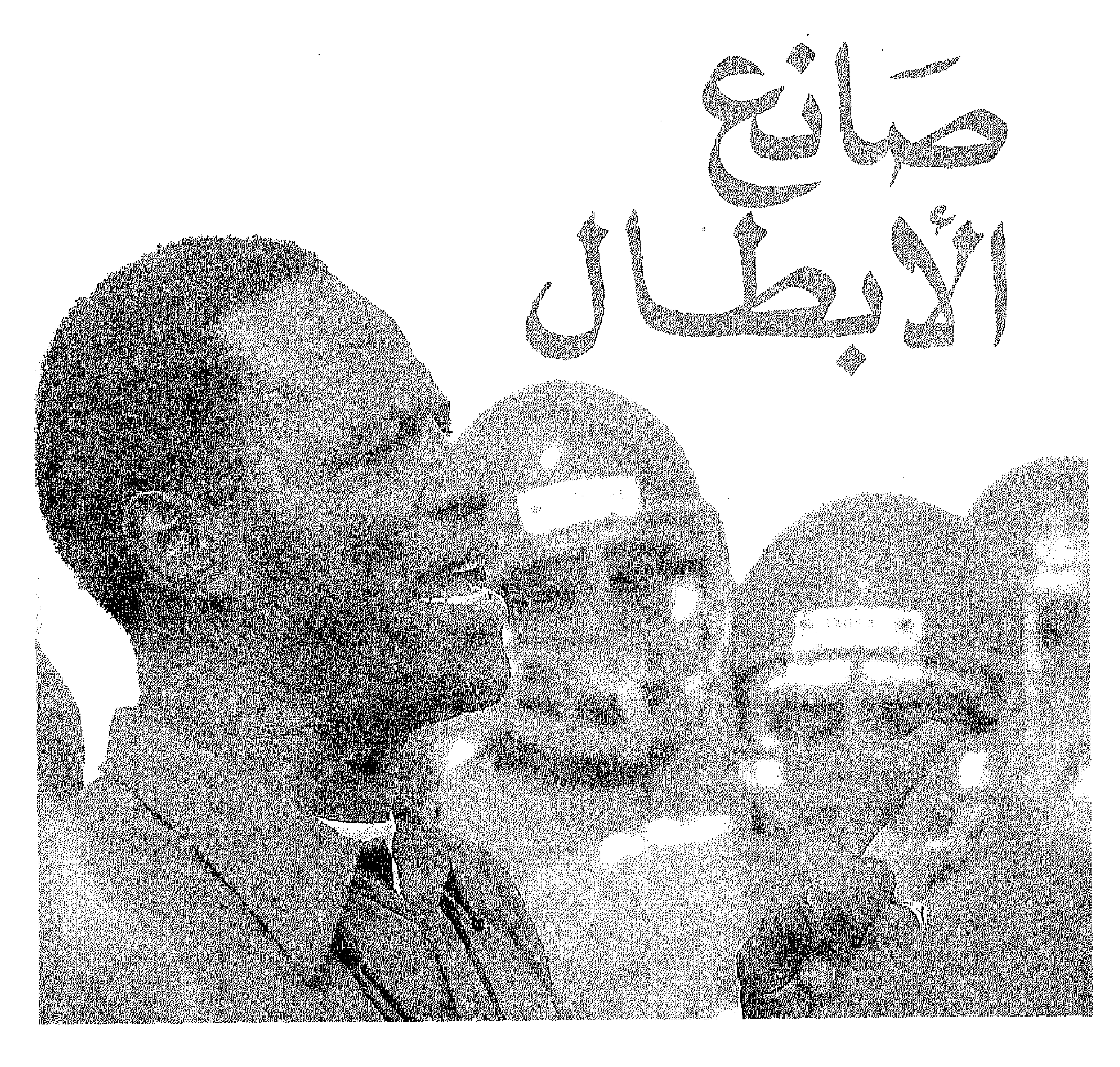
فردّ هذا: "ها! عرفت أنك ستطرح عليّ هذا السؤال!"

ف.ت.

مدرب فذّ يتعهد شباناً فوضويين فيصنع منهم أبطالا

يواجه بوب شانون مشكلة، وهو مدرب فريق كرة القدم (الامريكية) في مدرسة إيست سانت لويس بولاية ايلينوي. فظهيره الموهوب جايمس هاريس يتغيب عن التمارين لاعتقاده أن موهبته كافية. لكن شانون يتوقع من ظهرائه في فريق "فلايرز" أن يكونوا مثالا للانضباط والتضحية داخل الملعب وخارجه. ومع أنه لم يملك بديلا يحل مكان هاريس، فهو واجه الشاب بقرار مبدئي مفاجىء قائلا له: "لن تلعب كظهير بعد الآن. وإذا بقيت لاعباً في الفريق فسيكون دورك تلقي التمريرات لا قذفها."

فتحوَّل الشاب، وقد تملَّكه الغضب، الى فريق "لنكولن هاي" المنافس. فما كان من شانون إلا أن اختار كروين برايس، وهو لاعب واعد، لتوجيه هجوم الفريق. وبعد اسابيع، سحق الـ"فلايرز" منافسه بـ٦١ نقطة في مقابل ٧.



يقول شانون: "التزمنا مبادئنا. والآن نرى أن المهم حقاً هو العمل كفريق، لا الموهبة في ذاتها."

واجتاز الـ"فلايرز" موسم المباريات من دون أن يمنى بأي خسارة، وبات الأول بين فرق المدارس الثانوية الامريكية.

جيش انضباطي. تُعتبر فرق شانون منائر تفوّق وسط بؤر رذيلة وفساد. فالاجرام والعنف يدوّمان حول المدرب وأعضاء فريقه. ذات صباح وجدوا جثة مروِّج مخدرات "أُعدمَ" في ملعبهم. ولطالما اضطروا الى الانبطاح أرضاً لدى نشوب معارك حامية تطلق فيها النار بغزارة في الشوارع المجاورة.

لقد هجرت الصناعة بلدة إيست سانت لويس، فخسرت زهاء نصف سكانها منذ العام ١٩٦٠. ويقدِّر شانون أن ٦٠ في المئة من لاعبيه يأتون من عائلات مفككة حيث الوالدان منفصلان، كما يتلقى ٨٠ في المئة منهم إعانات حكومية. وقد عانت المدرسة مشاكل مادية اضطرت شانون الى شراء اللوازم الرياضية لفريقه من ماله الخاص.

وعلى رغم هذه الصعوبات، يجند شانون كل عام بضعة لاعبين شجعان يستجيبون لمتطلباته القاسية فينتصرون على منافسيهم. ومنذ العام ١٩٧٩ تمكن فريقه من احراز كأس بطولة ولاية ايلينوي خمس مرات.

يقول مايك إيزنبات المحرر الرياضي في صحيفة "سانت لويس بوست دسباتش": "أعظم منجزات شانون قبوله شباناً فوضويين يائسين وتحويلهم رجالاً فخورين آملين."

يحقق شانون ذلك باعطائه تلاميذه دروساً تعلمها في طفولته القاسية. فهو كان ثاني اخوته الاثني عشر الذين عاشوا في كنف والدين توقّف تحصيلهما الدراسي في الصف الابتدائي الثالث. مات أبوه بداء الربو وبوب في الثانية عشرة من عمره، فعاشت العائلة على اعانات الضمان الاجتماعي وعلى عشرة دولارات أسبوعيا كانت الام تحصلها بالعمل خادمة.

وكان بوب يمشي يوميا مسافة ثمانية كيلومترات من كوخ العائلة الى أقرب مدرسة للأولاد السود. فانصرف بكليته الى الدراسة والرياضة، وحقق لمدرسته الثانوية أول موسم رياضي لا تُمنى فيه بأي هزيمة في مباريات كرة القدم.

وكان بوب، الى ذلك، لاعب بايسبول (كرة قاعدة) واعداً، فاختاره فريق "بيتسبرغ بايرتس" من بين لاعبين هواة وأغراه بعلاوة مقدارها ثمانية آلاف دولار إن هو وقَّع عقداً. الا أنه التحق بجامعة ولاية تنيسي معتمداً على منحة دراسية مخصصة للاعبي كرة القدم، وتمرس على يدي مدرب بالغ الانضباط يدعى كات كولمان، كان يقول للاعبيه: "إن تحديد الأهداف ودفع الثمن لتحقيقها لأهم من اتقان اللعب. وإذ لا يسعني أن أفعل ذلك نيابة عنكم، أتمنى عليكم الخروج بين الناس وتجسيد كلماتي."

وفي العام ١٩٦٩ التحق شانون بفريق "واشنطن ردسكينز" لكرة القدم، واجتاز مرحلة التدريب الأولية قبل أن يفسخ عقده لاعتبارات تنظيمية. وعلى رغم أن فريق "أتلنتا فالكونز" عرض عليه عقداً، فقد قرر شانون تزوج زميلته في الدراسة جانيت ريدلي ومتابعة مهنة التعليم والتدريب التي اختارها لمستقبله.

ولما علم بتوافر مركز مدرب مساعد لدى فريق "إيست سانت لويس" ذهب لمقابلة المسؤولين. فراعه أن يرى المدينة بؤرة فوضى تتخللها شوارع قذرة وأبنية متداعية وساحات مهملة أكلها العشب. لكنه قبل الوظيفة متطلعاً بشوق الى التحدي الماثل أمامه.

كلام صريح. بقي شانون خمس سنوات يعمل مدربا مساعداً. وفي العام ١٩٧٦، بعد موسم خسائر لفريق "فلايرز"، اختير مدربا رئيسياً. فعمد للحال الى طرد ثلاثة لاعبين تغيبوا عن التمارين. لكن رئيس المدرسة طلب إعادتهم تحت ضغوط الأهالي. فقال له شانون: "أنت رئيس المدرسة، لكنني مدرب الفريق، ولا شيء يجبرني على قبولهم!"

ثم توجه الى لاعبيه قائلا: "لا تغني الموهبة إن هي افتقرت الى النظام. فالشوارع ملأى بشباب يتشدقون ببراعتهم وزجاجة المشروب في أيديهم."

اعتمد شانون مع فريقه قاعدة صارمة تقضي بمنع التلميذ المتأخر في دروسه من اللعب مع الفريق. واذا ما احتاج تلميذ الى مساعدة في الدرس، كان شانون يجد له أستاذاً يساعده، فاذا تأكد له أن التلميذ لا يثابر على دراسته، كان لا يجد مفراً من إبعاده عن الفريق. والويل للاعب الذي يثير بلبلة في الصفوف. فقاعدة شانون ثابتة في هذا الشأن: "مستحيل أن تكون لاعباً جيداً ومواطنا سيئا."

ولكم من أم وجدت في المدرب عونا لها في تربية أولادها. ذات يوم قطع شانون عرض فيلم رياضي على فريقه ليأمر أحد اللاعبين: "كيفن، اذهب الى بيتك واطلِ الرواق كما طلبت منك أمك." وقد أصبح كيفن رامسي نجما في كرة القدم، ونال بمساعدة شانون منحة دراسية في جامعة ولاية إنديانا. وهو اليوم مدرب مساعد في جامعة نورث - وسترن، ولا يترك مناسبة الا ويتصل بمدربه السابق. يقول: "إنه لا يخبرني بما أريد سماعه، بل بما أحتاج الى سماعه."

وبعد سنتين من العمل الدؤوب نجح فريق "فلايرز" في الوصول الى الدور النهائي لبطولة الولاية. بيد أنه مني بخسارة كبرى أمام فريق "سانت ريتا" في شيكاغو الذي هزمه بـ ٤٨ نقطة في مقابل ١٣. وبعد المباراة خاطب شانون لاعبيه: "لقد أدوا لنا خدمة جُلّى اذ أظهروا لنا ما هو الجيد فعلا. من الآن فصاعداً سيكون هذا هو المقياس الذي نتبعه."

اكتشف شانون أن لاعبي "سانت

ريتا" يتبعون برنامجا لرفع الاثقال. فما كان منه الا أن اعتمد لفريقه برنامجاً مماثلا، وحض لاعبيه على التمرن ثلاث مرات يومياً خلال فترة المخيم الصيفي. ويذكر كيري غلن الذي أصبح اليوم لاعبا محترفا: "جعلنا شانون نمارس في المدرسة الثانوية تمارين أتّبعها اليوم كمحترف."

وفي اجتماع للأهالي قال شانون: "ليس لدينا ما ينعم به الآخرون من امتيازات. ولكن لنا كبرياؤنا والتزامنا كلمة "تفوق" التي لا تبزها كلمة." ثم جلس وسط عاصفة تصفيق.

فوز في الحياة. بعد أربع سنوات من تعهد شانون فريقاً فاشلا، تمكن من الوصول بالـ"فلايرز" الى الفوز ببطولة الولاية. وحقق فريقه، بدءاً بسبتمبر (أيلول) ١٩٨٣، انتصارات متتالية في ٢٤ مباراة بينها أربع بطولات للولاية. فغدا ملعب المدرسة ومدرَّجها الخرب مقصداً للصحافيين. لكن شانون منَع لاعبيه من التبجح بانتصارات الفريق محذراً: "إن ركزتم أذهانكم على الانتصارات المتتالية فستنسون كيف تُلعب كرة القدم."

وكان أعضاء الفريق يركعون للصلاة قبل كل مباراة، ومما يذكرون: "امنحنا يا رب فرصة للنجاح. وإن خسرنا فسنصطفّ لنهنىء الفائزين."

وبالفعل اصطف الـ"فلايرز" جانبا في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٦ ليهنئوا فريقاً آخر هو "غرانيت سيتي." ولطالما قال شانون للاعبيه: "أفضل أن أخسر بلاعبين عاديين من أن أربح بلاعب غير انضباطي وإن يكن موهوباً." وقد فهم الجميع مغزى كلامه خلال أسبوع المباراة مع فريق "غرانيت سيتي" عندما أخرج ثلاثة لاعبين لأسباب انضباطية، فخسر فريقه المباراة بفارق ثلاث نقاط.

وفي العام ١٩٨٨ علَّق شانون عضوية كيني دن، أبرز متلقّي التمريرات، لغيابه عن التمارين و"مرافقته شلة سوء." فقبع دن في منزله يتابع على الراديو تفاصيل المباراة التي خسر فيها زملاؤه بطولة الولاية. وكما دائماً، لم يقدِّم شانون أي أعذار، بل قال: "يتوجب على أولادنا أن يحققوا انتصارات تتخطى كرة القدم، عليهم الفوز في معترك الحياة."

وقد لعب بعض أعضاء الفريق هذه المباراة بسراويل بالية بان جلدهم من تحتها. وقد قال لهم شانون: "ليس لدينا ما يخجلنا. فالحياة ليست عادلة على الدوام. لكننا، على رغم ذلك، نستطيع أن نتوقع من أنفسنا تفوقاً."

وكتب كيفن هوريغان المحرر الرياضي في صحيفة "بوست دسباتش": "انها لقصة لا تصدقها هوليوود: أولاد يترعرعون وسط أكبر كارثة مدينية في أمريكا، فلا يتقدمون إلا بشق النفس. لا مال ولا تسهيلات، بل مجرد مُدرِّب ما زال يعتقد أن الكبرياء والعمل الشاق يعنيان شيئاً."

وللحال سارع رجال أعمال في سانت

لويس الى التبرع بالمال اللازم لشراء بزات رياضية جديدة للفريق.

وخلال موسم ١٩٨٩ فاز فريق "فلايرز" في تسع مباريات متتالية. لكن مشكلة برزت في المرحلة الربع النهائية حين واجه الـ"فلايرز" فريقاً قوياً ووجد نفسه مقصراً بـ٧ نقاط في مقابل ١٣ مع وشوك انتهاء المباراة. وهنا أندفع الظهير رولي نفيل وقاد رفقاءه في هجوم على خط دفاع الفريق المنافس. ولم يلبث الفريق أن أصبح على عتبة تسجيل هدف الفوز.

وكان كيني دن في السنة السابقة تابع خسارة فريقه على الراديو. أما في هذا الموسم فكان سباقاً الى كل التمارين. وفي اللحظة الحاسمة من تلك المباراة، تلقى نفيل الكرة من الوسط وانكفأ بها نحو مرماه ثم عاد وتحول الى خط جانبي قاذفاً الكرة الى دن الواقف بين مرمى الفريق المنافس وخط النهاية. فتلقى دن الكرة محققاً لفريقه هدف الفوز بـ١٤ نقطة في مقابل ١٣.

وعندما دخل لاعبو الفريق غرفة الملابس تحول فرحهم صدمة وغضباً اذ ألفوا خزائنهم مخلوعة ومقتنياتهم الشخصية منهوبة. فقال لهم شانون: "لنركع ونصلِّ." وأضاف بعد حين: "والآن، هلموا بنا الى منازلنا." وبعد أسبوعين فاز الـ"فلايرز" ببطولة الولاية بفارق ٤٧ نقطة.

وتابع الفريق انتصاراته عام ١٩٩٠ محققاً الفوز في ٢٦ مباراة متتالية قبل خسارته المباراة النصف النهائية. وبعد هذه المباراة قال شانون للاعبيه: "ليس الفوز كل شيء. لقد بذلتم قصارى جهدكم، ويمكنكم التفاخر بذلك ما حييتم."

وعندما يسأله الصحافيون كيف بلغ بفريقه مرتبة التفوق وسط "أكبر كارثة مدينية في أمريكا،" يجيب: "إننا نقارع ظروفاً صعبة. لكننا لا نروم أعذاراً لتبرير فشلنا، بل طرقاً تحقق النجاح."

ويأتي لاعبون سابقون للقاء مدربهم القديم وتشجيع اللاعبين الجدد على المثابرة. ويحمل الخريجون مهمة يلقيها المدرب على عاتق كل منهم: "انقلوا ما تعلمتموه الى شخص آخر. فهذا دَيْن عليكم لأولئك الذين ساعدوكم."

يقول كريغ باتون أحد لاعبي الـ"فلايرز" السابقين الذي يعمل اليوم مديراً لشبكة متاجر: "لي ابن في الثانية عشرة من عمره، وأنا أنقل اليه مبادىء اكتسبتها من المدرب شانون."

عندما فاز فريق "فلايرز" ببطولة ولاية ايلينوي للمرة الاولى بدأ شانون يتلقى سيلاً متواصلاً من عروض العمل. لكنه رفضها كلها. وعندما سئل عن السبب أجاب: "أفضل العمل مع أولاد إيست سانت لويس، فإن لم أولِهم أنا عنايتي، فمن يفعل؟"

يوجين هـ. مثفن ■

الحظ لا يعطي أبداً، بل يعير.

مثل اسوجي

الثلاثون عز الشباب!

عشرة أسباب وجيهة للفرح في منتصف العمر

كنا في الماضي ننزع الى إعتبار كل عيد ميلاد نحتفل به بعد السن الثلاثين نذيرَ خسارة. لكن وجهة النظر هذه تبدلت. ويرى الخبراء اليوم أن التقدم في السن يعني تقدماً نحو الأفضل في مجالات كثيرة. واليكم بعضاً من الحَسَن الذي يحصل لكم حين تكبرون:

١. تزدادون رونقاً.

الشعر الأشيب لا يدل على تفكير غامض مشوش. لقد نشر سيغموند فرويد[1] أول نتاج عظيم له، وهو كتاب "تفسير الأحلام"، عندما كان في الرابعة والأربعين من عمره. وأنجزت راشيل كارسون[2] كتابها "الربيع الصامت" عندما كانت في الخامسة والخمسين.

تقول روبن مارانتز هينيغ مؤلفة كتاب "كيف تتقدم المرأة في السن": "إن استمررتم في القراءة والتفكير والابداع طوال حياتكم، فالمعرفة التي تكتسبونها ستحسن ذكاءكم. وإذا ما أُعطيتم الوقت الكافي، فستسجلون علامات أفضل في اختبارات الذكاء كلما تقدمتم في السن." قد تخف سرعة التفكير والتذكر، لكن النوعية لا تخفّ.

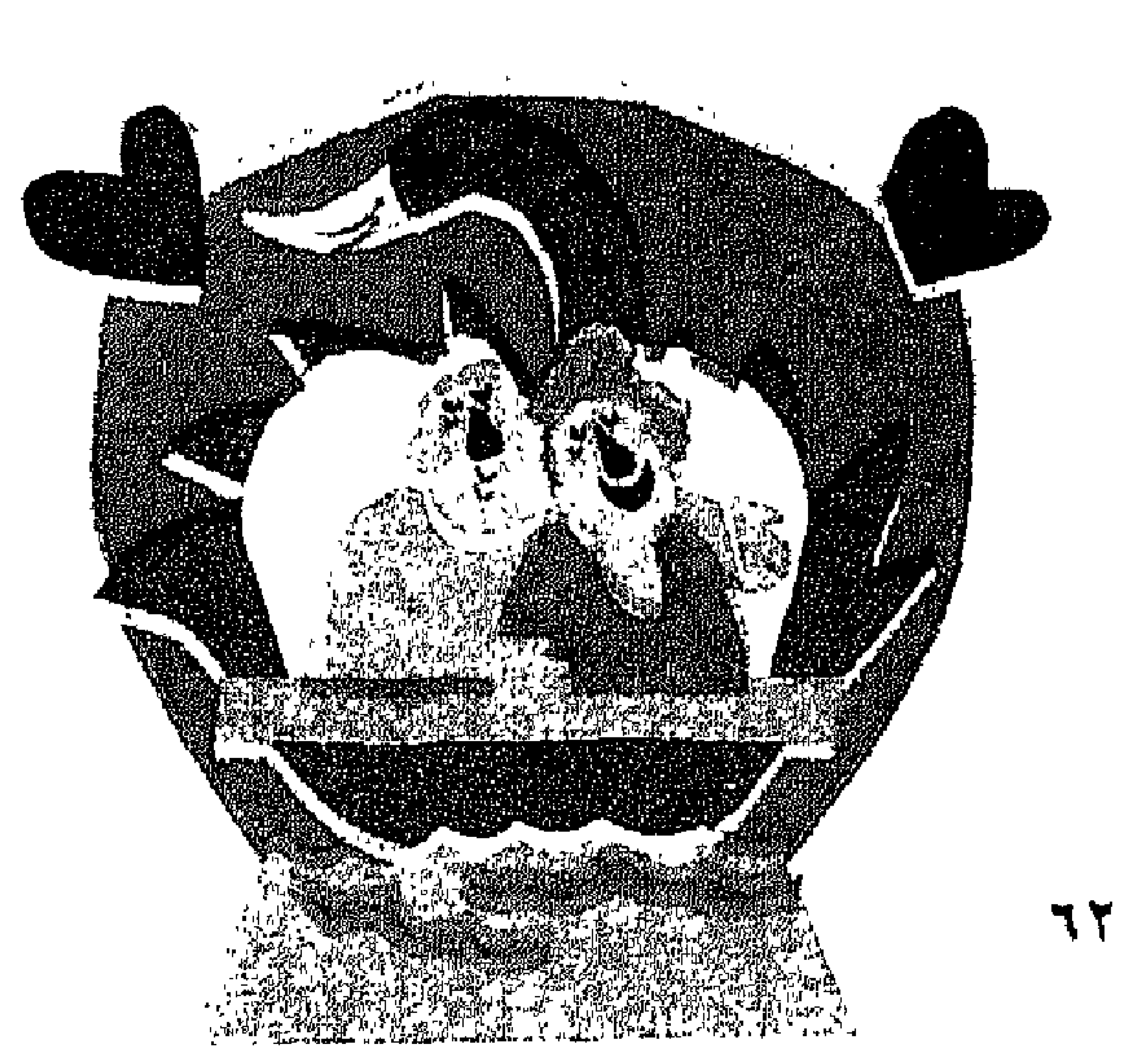
(١) طبيب اعصاب نمسوي يعتبر رائد التحليل النفساني الحديث (١٨٥٦ - ١٩٣٩).
(٢) كاتبة وعالمة بالبيئة.

اننا نخسر بعض خلايا الدماغ اذ نتقدم في العمر. لكن علماء الجهاز العصبي يؤكدون أننا إذا عشنا الى العقد السابع حياة ملأى بالحوافز، فستزداد شُعَب الاتصال بين خلايا دماغنا مما يزيد معرفتنا عمقاً.

٢. تزدادون قوة.

أظهرت دراسات أجراها أستاذ الطب النفساني الدكتور جورج فايان أن آلية دفاعنا النفسي، أي طرق تكيفنا والأزمات، تصبح سليمة أكثر كلما تقدمنا في السن. الشباب يحمون أنفسهم من خلال "استراتيجيات" كالرفض والتمرد على التقاليد. أما من هم في خريف العمر فيعوِّلون على دفاعات كالمزاح وحب الغير والابداع. والأحداث التي يعتبرها الشباب شديدة الوطأة تلقى لدى الكبار تصنيفاً مغايراً مخففاً. وتقول جانيت بيلسكي وهي عالمة نفسانية ومؤلفة كتاب "هنا غداً: الافادة القصوى من الحياة بعد الخمسين": "كلما تقدمنا في السن واجهنا مشاكل الحياة على نحو أفضل." ويضيف فيليب برمان مؤلف "شجاعة التقدم في السن": "ذلك لأنكم فُصلتم من وظيفة، أو عشتم تجربة طلاق، أو فقدتم شخصاً تحبونه... وتجاوزتم الازمة. فأنتم، نفسانياً، أقوى الآن. كما أنكم تتحملون تفاهات الحياة على نحو أفضل. فنادراً ما نرى شخصاً متقدماً في السن يثور داخل مصعد مكتظ وبطيء، لأن هذا تصرف شاب على عجلة من أمره."

والواقع أن تغييراً بنيوياً يطرأ على الدماغ قد يساهم في عملية تليين العريكة هذه. ويفيد الطبيب النفساني ستيفن روز أن العلماء أكبوا على دراسة مجموعة من الخلايا تمكن تسميتها "جهاز انذار الدماغ" وهو مركز يتولى عمليات الاثارة والقلق والخوف. وفي نحو السن الاربعين يشرع هذا الجهاز في الانكماش وفقدان وظيفته، تماماً كما يختبر كثيرون منا انخفاضاً في الغضب والقلق والاندفاع.



٣. تشعرون بقوتكم.

ترى المحللة النفسانية اليزابيث أوشينكلوس أن "غالبية من هم في منتصف العمر يكونون في أوج حياتهم العملية. هذه هي فترة العطاء والانتاج حين يشعر المرء بكثير من الرضا والطمأنينة لادراكه أن لديه ما يقدمه الى الآخرين."

٤. تزداد عاطفتكم عمقاً.

تقول هينيغ: "عندما تتقدمون في السن تصبحون أكثر هناء في علاقاتكم. وكلما طال زواجكم رجحت كفة استمراريته." وتضيف بيلسكي: "وإن كنتم تتمتعون بزواج ناجح، فالراجح أن يزداد نجاحا بعد مغادرة الأولاد المنزل."

٥. تصقلون شخصيتكم.

كتبت الممثلة كانديس بيرغن في سيرتها الذاتية وعنوانها: "دقوا على الخشب": "يتطلب النضج وقتاً طويلا." وتؤكد ماتي غيرشنفلد وهي عالمة نفسانية: "كلما تقدمتم في السن تميزتم وصَفا ذهنكم واتضح لكم ما تحبون وما لا تحبون وبتُّم تعرفون من أنتم."

وتقول المؤلفة اريكا يونغ: "لم أعد أعتبر رفض الآخرين لي عداء شخصياً، اذ بتُّ أدرك أن معاملتهم إياي تتعلق بهم أكثر مما تتعلق بي. وهذا الادراك يريحني كثيراً."

٦. يزداد حبكم للآخرين.

في دراسة حديثة وافق ٨٤ في المئة من الذين سئلوا على أن "الناس في منتصف العمر يصبحون أكثر رحمة."

عندما يكبر الأولاد تبقى مشاعر الحنان والرعاية ضاجَّة فينا، وقد تتسع فتتخطى العائلة، كما يعتقد تشارلز فاهي مدير "مركز العمر الثالث" في جامعة فوردهام. وتقوى امكانات المشاركة في قضايا حياتية واجتماعية.

٧. تصبحون جدات وجدوداً.

توضح بيلسكي: "إن الاستمتاع بالاطفال من دون تحمل أعبائهم لأمر سار جداً." وتضيف غيرشنفلد: "يختبر المرء متعة جديدة في العيش مع جيل جديد، كما يختبر احساسا أقوى بالانتماء الى دورة الحياة."

٨. تتسع آفاق عالمكم.

ازدياد العزلة أمر نخشاه في الشيخوخة. ويرى فاهي: "ان عالمكم قادر على الانكماش والتقلص إن أنتم أتحتم الفرصة. أما اذا بذلتم الجهد اللازم فقد يصبح منتصف العمر مرحلة لاقامة مزيد من العلاقات الشخصية."



ويؤيد الدكتور روبرت باتلر كلام فاهي، وهو اختصاصي بعلم الشيخوخة. ويضيف: "إن غذيتم علاقاتكم تكونت لديكم في منتصف العمر شبكة غنية من الأصدقاء القدامى والمعارف والزملاء، كأنها امتداد عائلة كبيرة."

٩. تقوى حوافزكم.

يقول برمان: "يمضي المسنون وقتهم كما يحلو لهم، لكنهم يعرفون أيضاً أنه لم يعد لديهم متسع من هذا الوقت، مما يجعلهم أكثر إدراكاً لقيمته وأكثر تخيُّراً لسبل استعماله. إن الاستغلال الجيد للوقت قد يعود عليكم بمزيد منه. وقد أظهرت الدراسات أن النشاطات الشائقة التي تستحوذ على الطاقات تطيل العمر."

١٠. تنشطون روحانياً ومعنوياً.

يوضح برمان: "لن تتمكنوا من العدو بالسرعة التي اعتدتموها في السابق. لكن الجانب المعنوي في كيانكم يصبح أقوى."

ويقول فاهي: "لديكم وقت للتأمل وتفهم خبرتكم في الحياة." وقد تكون النتيجة ايمانا أعمق أو، كما يرى فاهي، "نموّا أكبر في الحياة الداخلية."

وهذا يعني، بكلمة واحدة، حكمة.

آني غوتليب ■



ثقيل الدم

رنّ جرس الهاتف، فرفعت ربة البيت السمّاعة، واذا برجل يسألها: "اهذا منزل آل يوسف؟" فأجابته إن الرقم خطا واقفلت الخط.

تكرّر الاتصال مرّتين. وفي المرة الثالثة قالت المرأة وقد عيل صبرها: "هلا بحثت عن الرقم الصحيح في الدليل يا سيّدي؟ فهذه المرة الثالثة تتصل بالرقم الخطا."

فأجاب الرجل بحدّة مفاجئة: "لا تردّي اذا كان الاتصال لا يخصّك."

إ.ر.

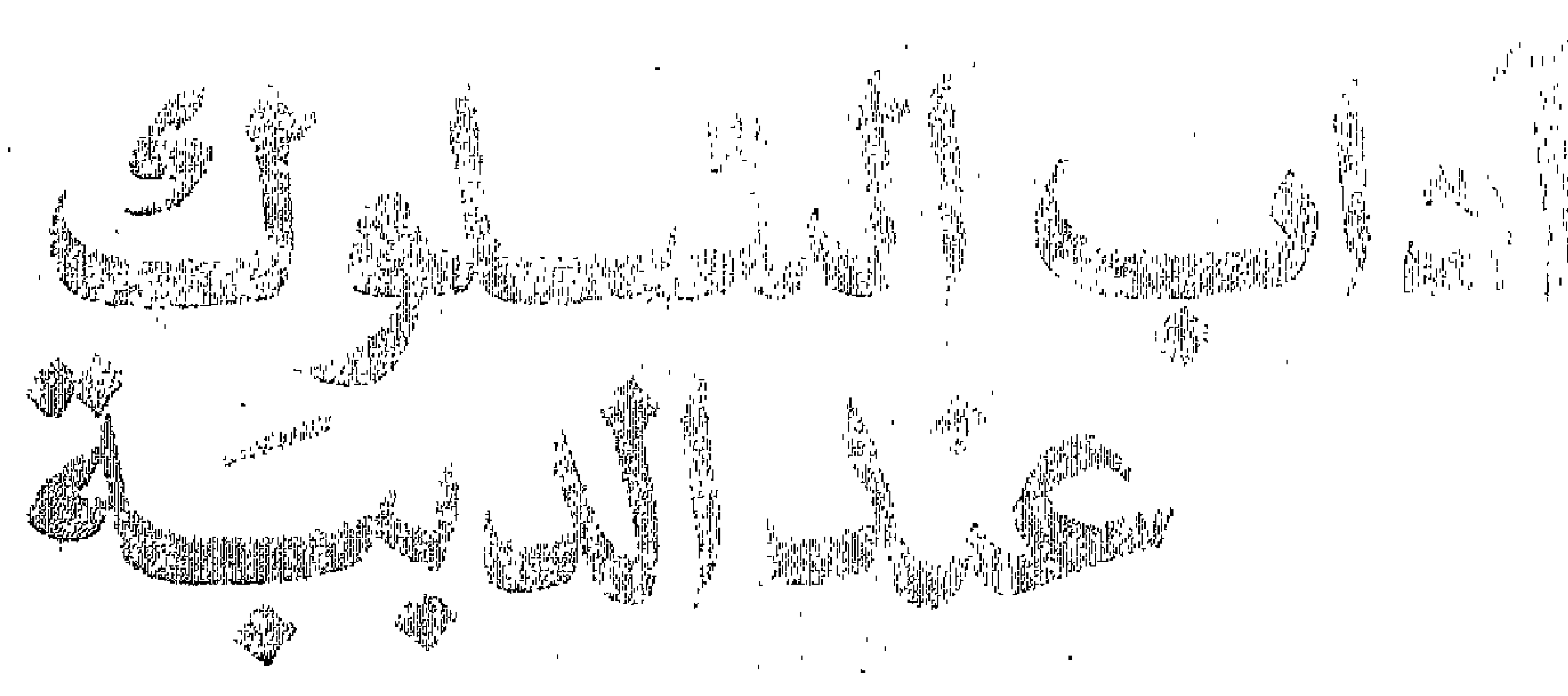
زوج في نافذة

عدت وزوجي الى المنزل في ليلة قارسة البرودة، فلم نتمكن من فتح ابواب السيارة التي جمّدها الصقيع. فقرّر زوجي الخروج عبر النافذة. وما كاد يشرع في ذلك حتى أطلّ أحد جيراننا فسأله مستغربا: "ماذا يحدث؟"

أجابه زوجي بسرعة: "انها طريقتي في معرفة وزني. اذا استطعت الخروج من نافذة السيّارة، فهذا يعني انني لم اسمن."

ش.ر.

وحوش ضارية تقطن في صقيع الشمال. كبارها تلاعب صغارها وتعلمها النظام والتهذيب



كان دبان قطبيان نائمين على مقربة من برج المراقبة عندما وصلت مع عالم الطبيعة جون كروغر. وما ان سمعا صوت الطوافة حتى انطلقا يعدوان مذعورين.

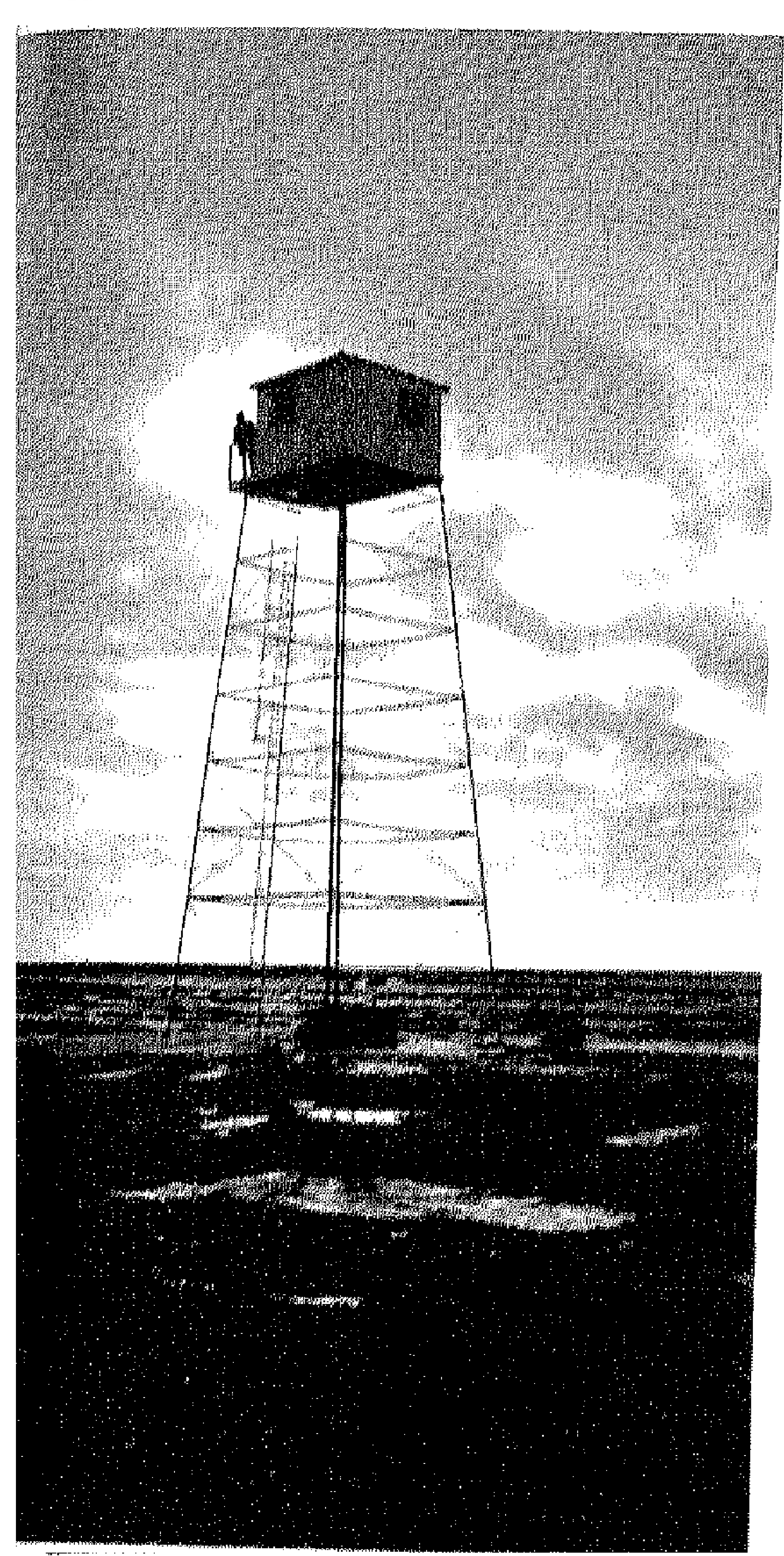
تتجمع مئات من الدببة القطبية كل خريف قرب رأس تشرشل على الشاطىء الغربي لخليج هدسون في كندا. وهي تقتات في الشتاء والربيع وأوائل الصيف بحيوانات الفقمة التي تصطادها فوق الجليد. وفي يوليو (تموز) تهب ريح

الشمال وتدفع الجليد المتحلل والدببة في اتجاه الشاطىء. وتأكل الدببة المحاصرة بين الريح والشاطىء كل شيء يتوافر هناك: الاعشاب والطحالب والتوت البري، علما أنها أضخم الحيوانات اللاحمة[1] التي تدب على وجه الارض. ويختار كثير منها السبات في حفر ضحلة مغتذياً بالدهن المتراكم في جسمه. ومع تقاصر ساعات النهار تنتقل الدببة شمالا ببطء وتتجمع على مقربة من رأس تشرشل ورؤوس أخرى في انتظار تراكم الجليد من جديد.

اغراء لا يقاوم. أمضيتُ سبعة فصول أرصد الدببة القطبية في رأس تشرشل: راقبت خمسة منها من عربات ضخمة مصفحة واثنين من حجرة صغيرة في قمة برج يرتفع حوالى ١٣ متراً. كنت أنظر اليها في البداية على أنها حيوانات مهيبة رائعة. ومع استمرار مراقبتي اياها باتت لها هويات مفردة يمكن التعرف اليها بواسطة ندوب وعلامات فارقة وبتصرفات خصوصية ونمط حياة.

تستخدم الدببة اشارات وايماءات تفهمها الدببة الاخرى تحذيراً أو طمأنة أو دعوة الى اللعب. وكنت أحس وخزاً من الاثارة كلما فسرتُ هذه الاشارات تفسيراً صحيحا، فعلا ورد فعل، اثارة كتلك التي يختبرها المرء عندما يلتقط للمرة الاولى معاني كلمات وعبارات في لغة اجنبية.

تقدم دب في اتجاهنا غير هياب فيما نحن نرفع مؤونتنا الى الكوخ في أعلى



الكوخ في أعلى البرج مقر للعلماء الذين يدرسون سلوك الدببة القطبية في رأس تشرشل.

البرج، وقد شجعه رحيل الطوافة. والى أن خزنّا مؤونة وماء يكفيان لثلاثة أسابيع، تجمَّع ١٤ دباً في الجوار.

نزلت السلم وجثمت على درجة فيه ترتفع ثلاثة أمتار عن الارض. فتقدم دب ليتحقق من أمري. وهو انتصب على

(١) اللاحم (carnivore) حيوان يقتات باللحوم.

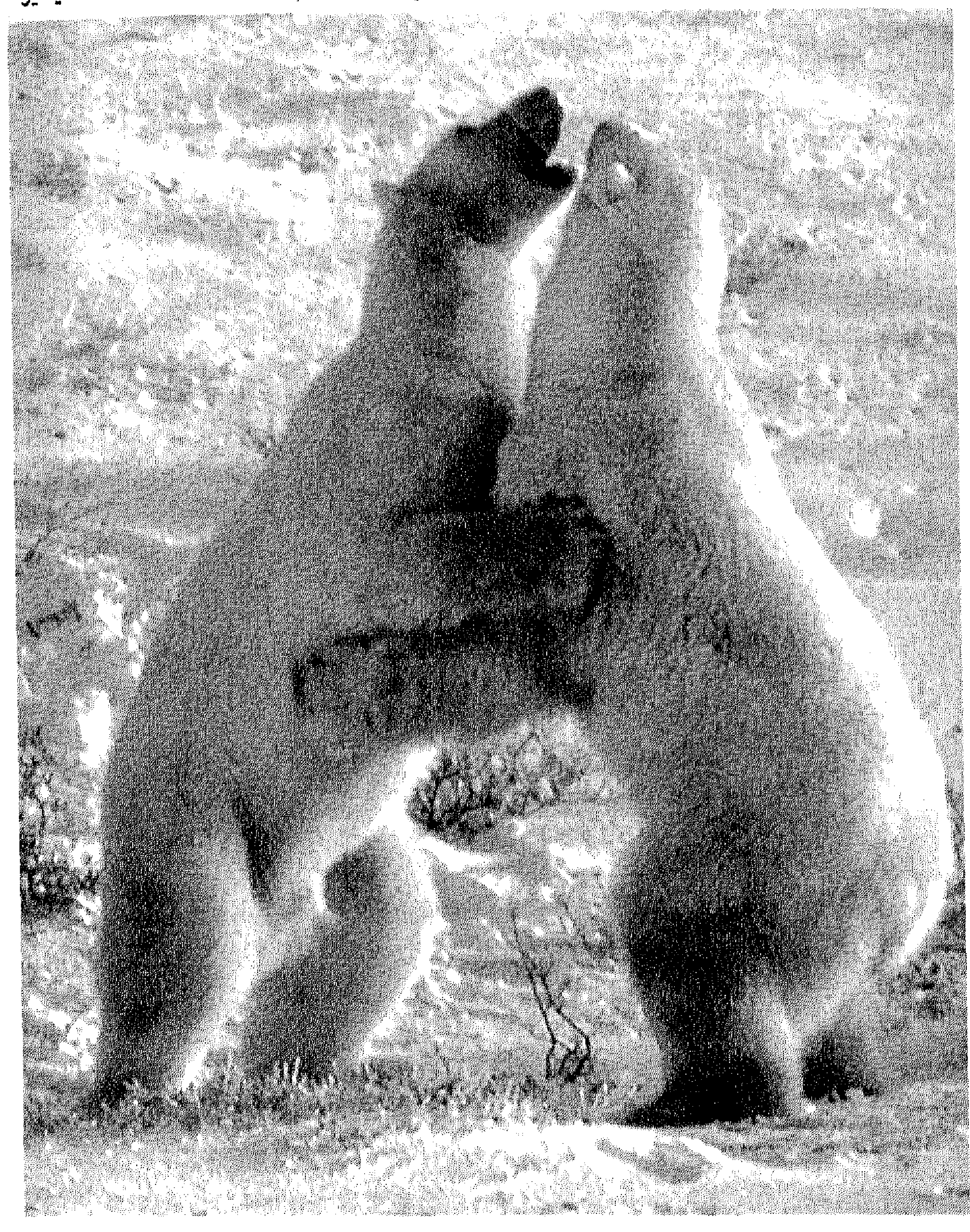


حين يدنو الخطر يلتصق الديسم بامه الضخمة.

قـائمتيـه الخلفيتين واستنـد بكفيـه الضخمتين المفرّاتين الى قائمة البرج وراح يحدق الي متفرساً بعينين بنيتين صغيرتين وأنفه الاسود الكبير يرتعش.

وقف الدب يتشمم رائحتي فيما أنا أكلمه بلطف، ثم تثاءب عميقاً مظهراً أسناناً صفراء عاجية وبطانة فم ضاربة الى اللون الارجواني. عندما يلتقي دبان يكون التثاؤب اشارة سلام. ربما كان هذا الدب يحاول افهامي أنه لا ينوي شراً. وكانت رغبتي في لمسه لا تقاوم.

قبل زمن طويل، ربَّتُّ جسم دبة لطيفة في الرابعة من عمرها أنقذناها من فخ فولاذي واحتفظنا بها أسيرة الى حين



دبان ذكران ينتصبان متماسكين في عراك لاهٍ.

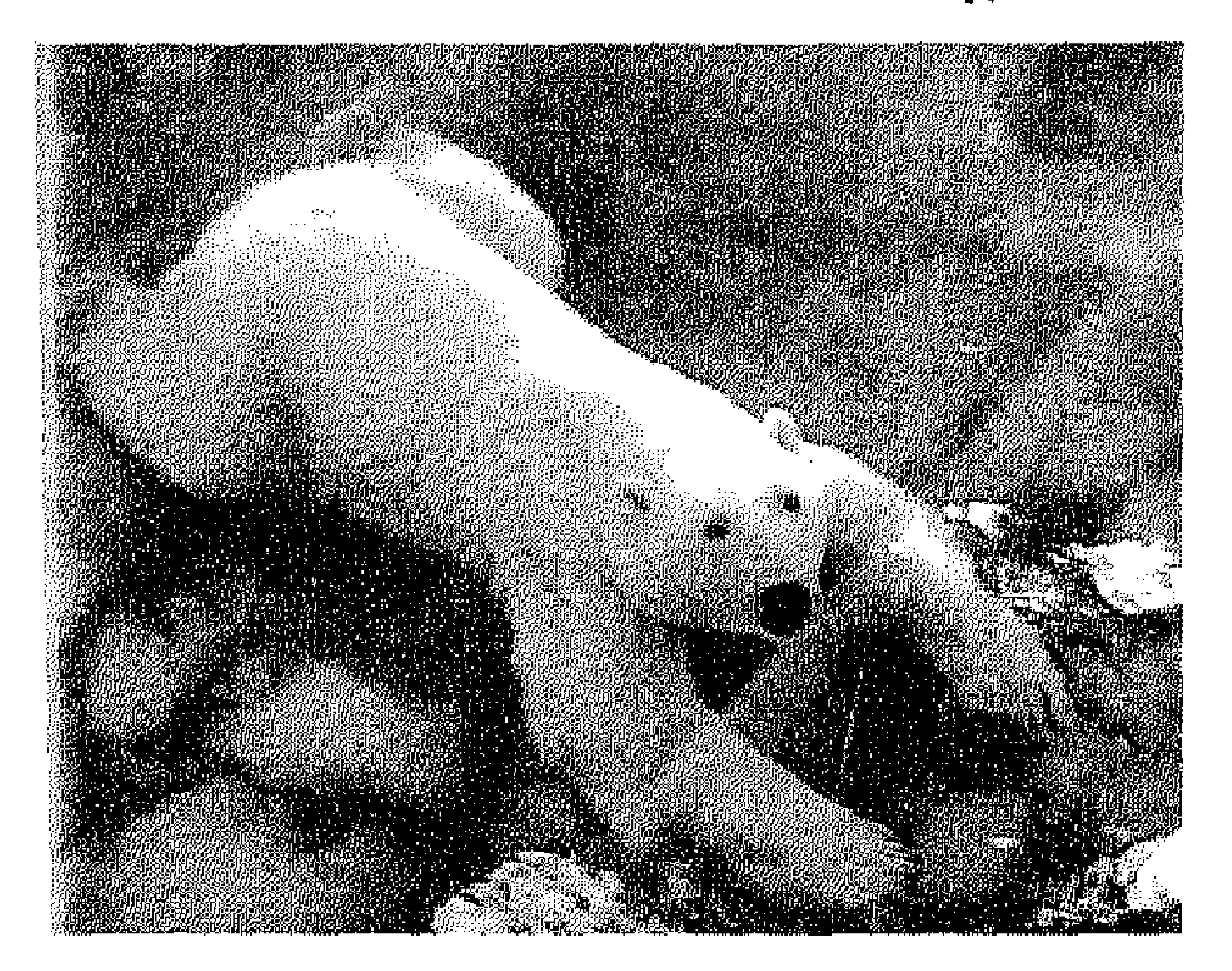
وصول طوق يحمل جهاز بث راديو. وقد أملنا أن يمكننا الطوق من تعقب تجوالها في المستقبل.

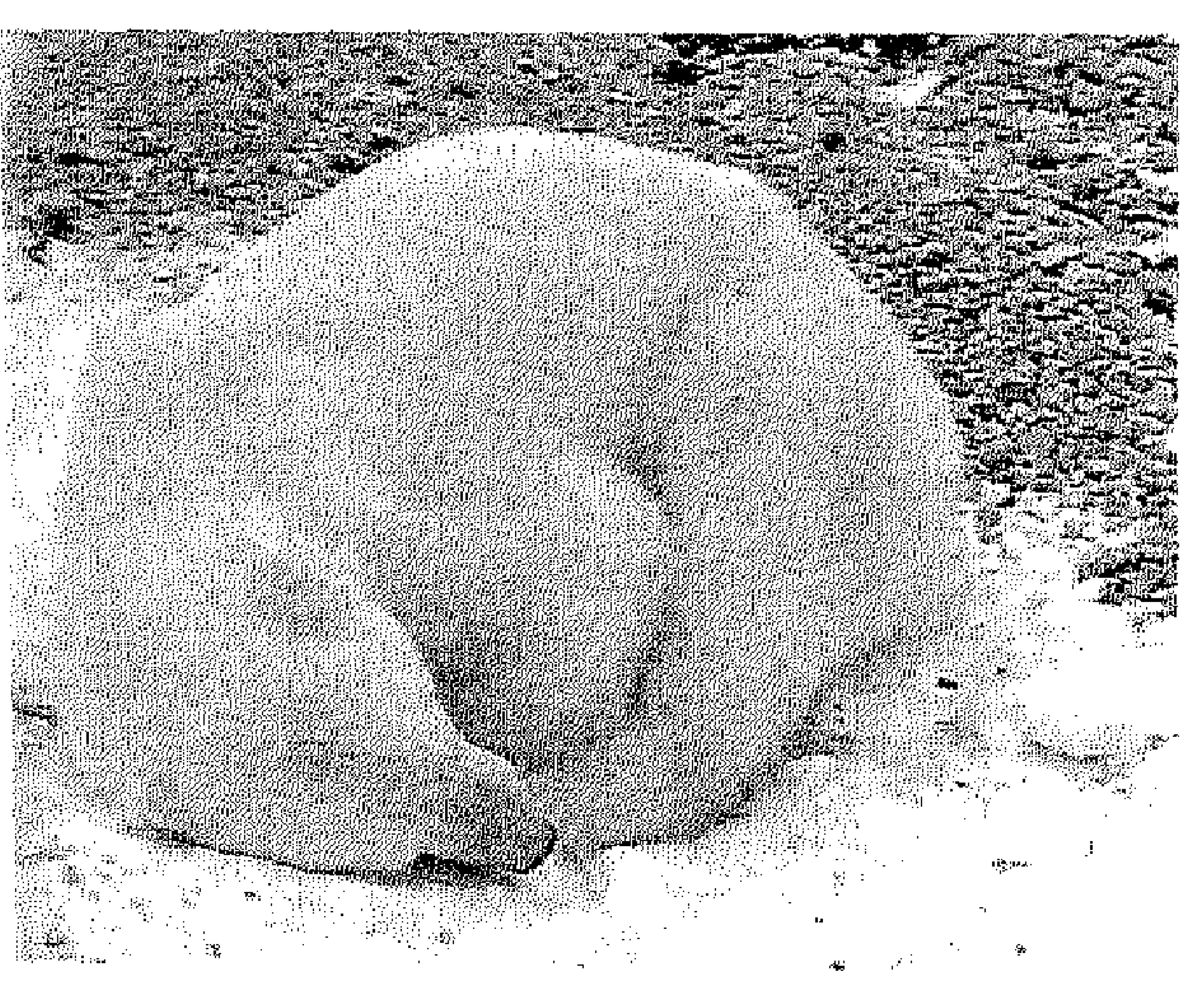
ودأبتُ على زيارة الدبة يوميا، وأخيراً استسلمت للاغراء فأطعمتها من يدي بحذر. كان في امكانها أن تطبق فكيها وتهرس يدي، لكنها بدل ذلك راحت تلتقط الطعام باحتراس من بين اصابعي. تجرأت أخيراً ولمستها. كانت تراقب اليد المقتربة برأس منخفض وقد انتصب شعر رقبتها وظهرها دلالة خوف كامن، لكنها لم تزأر ولم تبدِ تهديداً. حاولَت التملص عندما لمستها، لكنها استكانت فيما أنا أربت رأسها وأمسد شعرها الحريري الناعم. وغمرتني الاثارة ولذة الثقة المتبادلة وإن تكن قصيرة الامد.

لكنني الآن أكبر سناً، وربما أكثر تعقلاً، الا أني بالتأكيد أكثر حرصاً، فأنا أكتفي بالتحدث الى الدببة من غير أن ألمسها.

استمر الدب تحتي في التشمم ورأسه يتحرك من جانب الى آخر. حدقت الى عينيه فانتابه قلق، لأن التحديق في مجتمع الدببة يعني عداء وقلة تهذيب وانعدام ديبلوماسية. التفت الدب بعيداً ثم نزل الى الارض ومشى مبتعداً.

لعب الدببة. انتشرت رائحة الفطور المطهو صباح اليوم التالي وأثارت الدببة على بعد ثلاثة كيلومترات، حيث جثمت ملتحفة الثلج الذي تساقط ليلاً. فبدأت الرؤوس تطل والانوف ترتعش وتتفحص

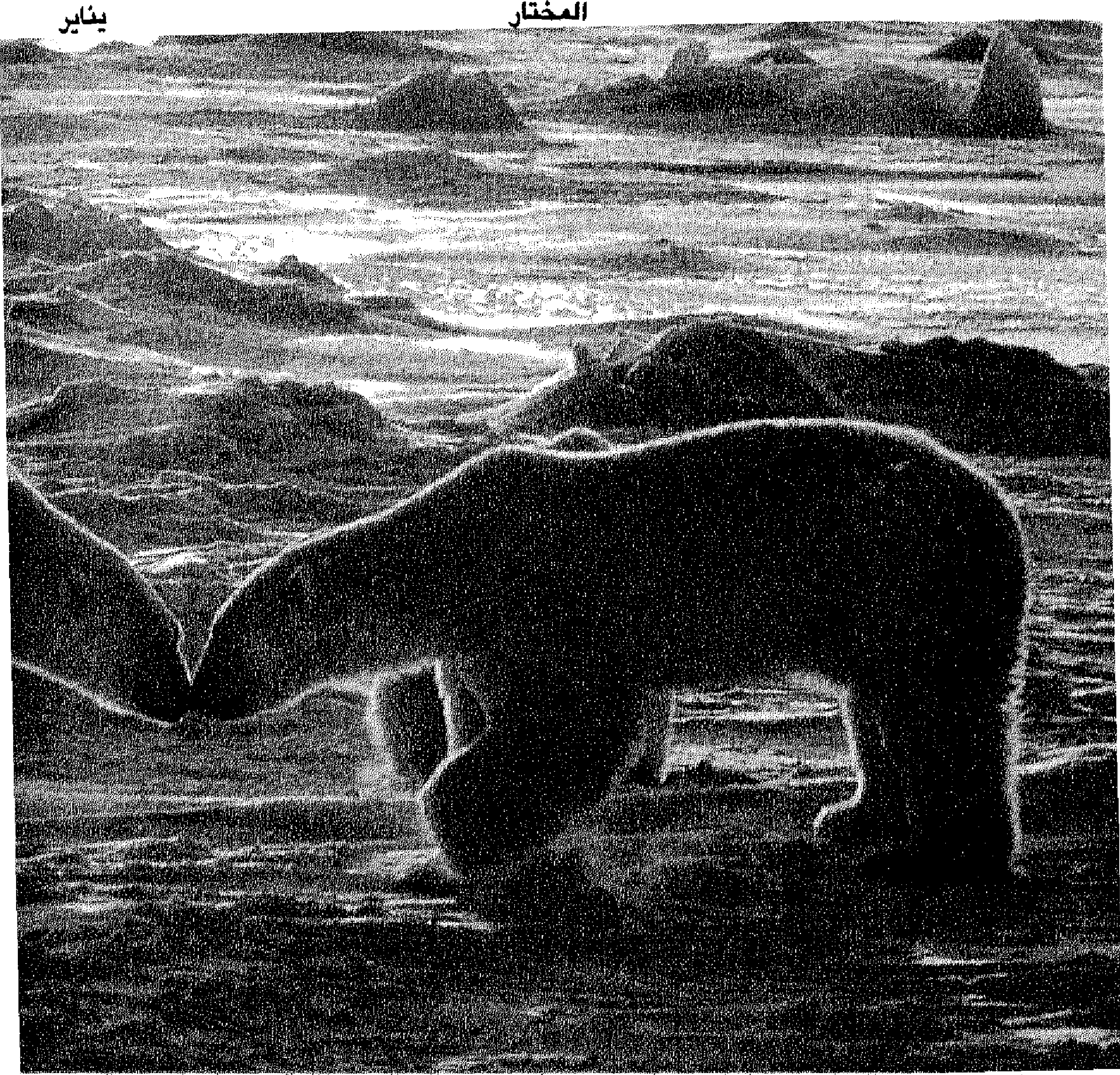




بعد لهو مضن يتمدد دب على الثلج متبرِّداً فيما يتكوم الآخر نائماً.

الهواء فيما الرائحة المغرية تعبق في اتجاهها. نهضت الدببة كأنها كوم من ثلج بثت فيها الحياة، ونفضت عن فروها سحباً من البياض ثم تمشّت في اتجاه البرج.

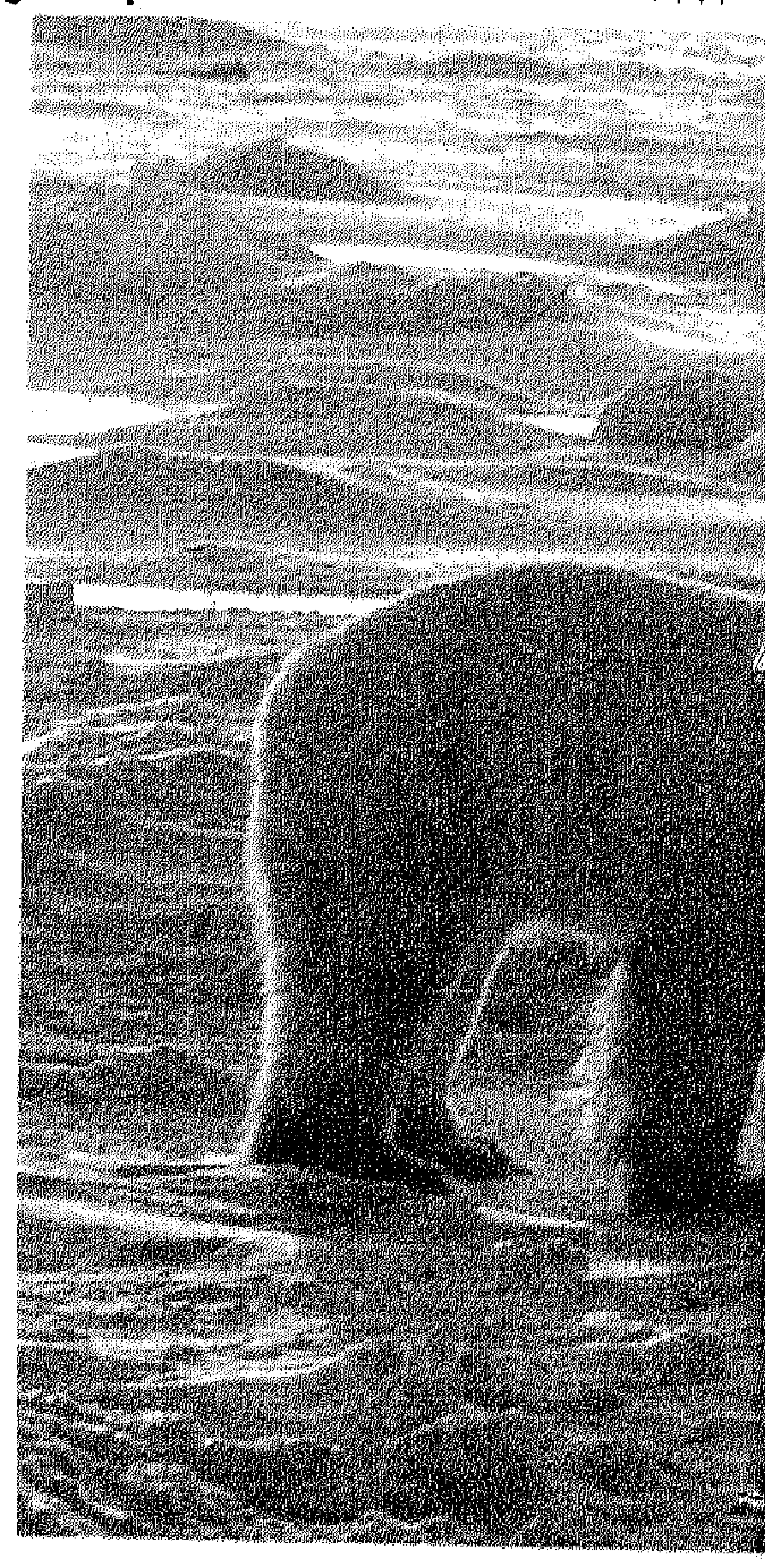
كان معظم الدببة يقف قرب البرج عادة بتهذيب وبتباعد معقول. أما عندما يتعلق الامر بالطعام فكانت المنزلة الاجتماعية تفرض نفسها: للدببة الكبيرة الصدارة، وفيما يلتهم ذكر كبير ما نقدمه



التشمم بادرة تعارف في مجتمع الدببة.

تتقرب منه دببة صغيرة آملة بالبقايا، لكنها تتراجع اذا زأر. وحدها الدببة التي تأتي أزواجاً تأكل بانسجام، وهي تكون اما اخوة واما ذكوراً تصادقت خلال اقامتها في المكان.

اعتاد دبّان ذكران اللهو كثيراً قرب البرج. يقترب أحدهما من الآخر فيبدأان رقصة دببية بطيئة الخطو. ينهضان ويتدافعان ويتنازعان ثم يتعانقان لحفظ توازنهما. بعد ذلك ينطلقان بسرعة كأنهما يرقصان الفالس على صفحة الجليد. ويرتمي أحدهما مستلقياً على ظهره، فيكبّ الآخر عليه فاغراً فكيه ويمسكه بخناقه، فيتصارعان ويصخبان ويلهثان عاليا حتى اننا كنا نسمعهما من مسافة مئات الامتار. أخيراً يتمددان على الارض



منهكين يزدردان الثلج لتبريد حرارة جسميهما.

تكون الدببة التي تلهو معاً متساوية في الحجم غالباً. وقد يدعو دب كبير دباً أصغر حجماً الى اللعب، وهي دعوة غالباً ما تلاقي أذناً صماء. يتقدم الدب الكبير ببطء مستخدماً أوضح ما يمكنه من اشارات للدلالة على نيته السلمية ورغبته في اللعب، لكن الدب الاصغر يتراجع خائفاً حافظاً مسافة أمان بينهما. ونادراً ما يتمكن الدب الكبير من تهدئة مخاوف الدب الصغير، فيلعبان ويتقاتلان معاً، ويراعي الدب الكبير أقصى درجات الحذر لكي لا يفزع رفيقه الصغير، لان ذلك يعني نهاية فورية للمرح. وهكذا يسمح الكبير للصغير بالتغلب عليه.

قد تكون هذه المعارك المرحة شكلا من أشكال التدريب استعداداً للمعارك العنيفة خلال فصول التزاوج. لكنني أعتقد، وقد راقبت الدببة تتصارع كل هذه السنوات، أنها تفعل ذلك للمرح.

تربية صارمة. في حالات نادرة تتعقب الذكور الكبيرة الجائعة الدياسم[٢] وتقتلها، وقد تضطر الى قتل أماتها التي تدافع عن صغارها حتى الموت. لذلك تتفادى الاناث هذه المنطقة. لكن عدداً قليلا من الامّات وصغارها يظهر مع اشتداد الصقيع وعندما يبدأ الثلج تطويق مياه الخليج فيقوى اغراء الثلج وصيد الفقمة.

انحدرت أنثى مع صغيرين في سنتهما الثانية على الهضبة المغطاة بالحصى. مشت ديسمة حيية خلف أمها فيما تقدمهما شقيقها الذكر. وككل اناث الدببة، راحت الام "تحدث" صغيريها باستمرار، تحثهما وتؤنبهما وتدعوهما الى التزام النظام بأوامر حادة تصدرها من حلقها. والام تضرب صغارها عندما تكون صغيرة وغير مطيعة.

(٢) الدَّيسم ولد الدب.

تجاهل الدبان المجاوران للبرج القادمين الجدد. فاندفع الديسم الذكر جائعا متهوراً ليهاجم ذكراً كبيراً يفوقه حجما عدة أضعاف، ثم شرع في المواء لتحريض أمه التي تقدمت فوراً لنجدته، وواجها معاً الدب الكبير الذي لم يرغب في معركة. ولقد اعتمد الديسم هذه الخطة مراراً للاستيلاء على طعام دببة أخرى. لكنه هو وأمثاله من الدياسم المغرورين سيتعلمون، عندما تتركهم أماتهم، آداب السلوك الدببية.

وقفت الدببة على تلال رأس تشرشل الحصباء، أشكالا ضخمة داكنة خططتها الشمس باطار ذهبي، لا تطيق انتظاراً لاختبار الجليد الجديد المتجمع في ممر ضيق. اندفع ذكر يزن قرابة ٤٥٠ كيلوغراما وقد بسط قوائمه الى مداها، متزحلقا على أكفه الضخمة المفرّاة على طبقة رقيقة من الجليد لا تحمل وزن انسان.

وذات صباح بدا أن الجليد أصبح قويا كفاية وأن الدببة تستطيع الارتحال. فغادرت الذكور الضخمة أولا، وبعضها يسير أزواجا، وتبعتها الذكور الحولية.[٣] وما لبثت أن تحولت كلها نقاطاً صفراء في المدى الفسيح. فتحركت الاناث وصغار الدياسم أخيراً في اتجاه حقل الجليد، مملكة الدب القطبي.

(٣) الحولي حيوان عمره سنة أو هو في السنة الثانية.

فريد برومر ■

توفير!

قرّر رجل أن يكسو غرفة الجلوس في بيته بورق جدران، فقصد جاره ليسأله كم لفافة اشترى، لأن تقسيم منزليهما كان متماثلا.

أجابه الجار: "أربع عشرة لفافة."

وحين انتهى الرجل من العمل بقيت لديه أربع لفافات لم يستعملها. فقصد جاره وأخبره مزهواً: "لم أترك بقعة في الغرفة إلا غطيتها، وبقيت لدي أربع لفافات كاملة."

فرد الجار: "وأنا أيضاً."

ف.ب.

غفوة طبيب

كنت لا أزال طبيبا متمرنا عندما اضطررت الى السهر في المستشفى ليلتين متواليتين، فوجدت صعوبة فائقة في البقاء مستيقظاً. وبعد سلسلة مضنية من المعاينات توجهت الى منزل زوجين عجوزين لاجراء فحص شهري.

لم تكفّ المرأة لحظة عن الكلام. وفيما أنا أستمع اليها متوسّداً كفّي، غلبني النعاس فغفوت. ولم ألبث أن انتفضت اذ سمعت زوجها يهمس: "اسكتي يا عزيزتي، الا ترين ان الدكتور مستغرق في التفكير؟"

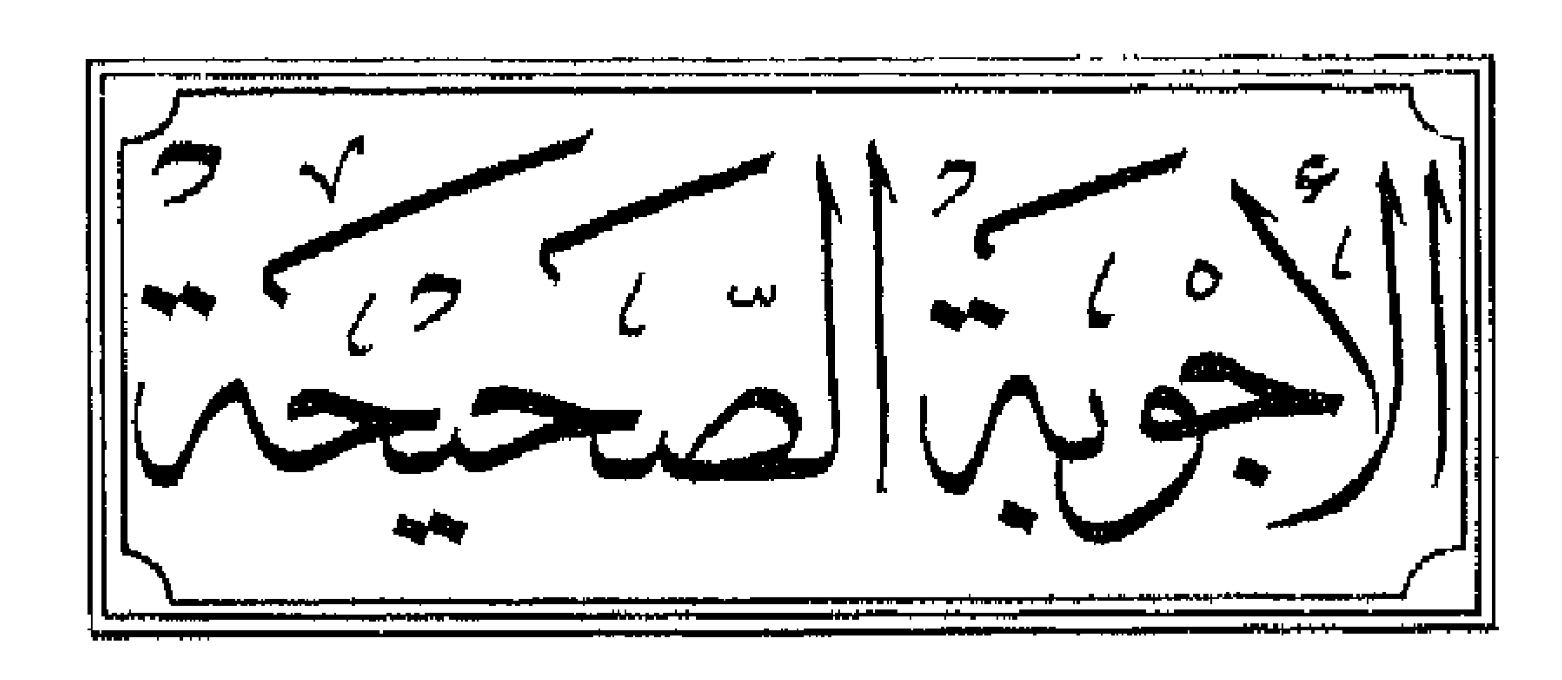
ل.ل.



القارىء الجاد هو في شوق دائم الى فهم اصطلاحات تغني لغته ومعرفته. وقد اعتادت "المختار" إدراج العبارات الغربية والدخيلة في حواشٍ ضمن النص او تحته.

هنا بعض من هذه الاصطلاحات. وقد وضع أمام كل منها اربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسبا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **فاكس**: أشعة – وسيلة اتصال – طباعة – شريط وثائقي.
٢. **غندول**: زورق ايطالي – قناة – تمساح – جسر مشاة.
٣. **لوبي**: استعمار – تجسس – ارهاب – جماعة ضغط.
٤. **كراك**: شوكولاتة – لعبة كرة – كوكايين صاف – تبغ.
٥. **سيناتور**: نائب – عضو في مجلس شيوخ – حاكم – وزير.
٦. **ميكرون**: مذياع – جرثومة – معكرونة – جزء من مليمتر.
٧. **إيكو**: وحدة نقد أوروبية – ذرَّة – صورة – عالم بيئة.
٨. **بولو**: رياضة على الخيل – مضرب – سباحة – مركبة فضائية.
٩. **إيمي**: مسرحية – تمثيل ايمائي – جائزة تلفزيونية – جمعية.
١٠. **لاجم**: قطب كهربائي – حيوان يقتات باللحم – مغنطيس – دينوصور.
١١. **كيمونو**: فن قتالي – تدليك – سيف مرصّع – ثوب ياباني.
١٢. **اسكندينافيا**: أرخبيل – جزيرة أوسترالية – شبه جزيرة في أوروبا – بحر.
١٣. **بينغ – بونغ**: كرة طاولة – رماية – تنس – عملة صينية.
١٤. **مسرطِنات**: عقارب – مواد تسبب السرطان – أسماك – آفات.
١٥. **مايا**: قبيلة عربية – مغول – شعب أمريكي – أهرام.
١٦. **شبكة كابيل**: اذاعة – هاتف – محطة تلفزة – كهرباء.
١٧. **وسترن**: اجرام – عميل سري – مسدس – فيلم عن الغرب الامريكي.
١٨. **رُهاب**: هلع مرضي – كابوس – نعاس – شعر الصدر.
١٩. **وول ستريت**: سجائر – شارع مالي – أغنام – برنامج للاطفال.
٢٠. **ياقات زرق**: لاعبون – كنية المديرين – عصافير – كنية الكادحين.
٢١. **فرنكنشتين**: امارة – رائد فضاء – قرش – بطل رواية رعب.
٢٢. **اسقربوط**: حَفْر – حلزون – جراد – آلة حاسبة.
٢٣. **المكتب البيضوي**: البرلمان – مجلس الشيوخ – الغواصة – مكتب الرئيس الامريكي.
٢٤. **أوريغامي**: تأمل – فن ياباني – رسم – حضارة مندثرة.
٢٥. **ليموزين**: طائرة – وقود – خزف – سيارة مترفة.



١. **الفاكس أو التلفاكس (telefacsimile)** : وسيلة اتصال حديثة تعتمد الهاتف الدولي. تُدخل الورقة التي يُنوى ارسال محتواها في جهاز الفاكس المرسِل، فتخرج منها نسخة طبق الاصل في جهاز الفاكس المرسَل اليه.

٢. **الغندول (gondola)** : زورق طويل يستخدم للتنقل في قنوات مدينة البندقية في ايطاليا.

٣. **اللوبي (lobby)** : جماعة ضغط تحاول التأثير في أعضاء هيئة اشتراعية وما اليها من هيئات تقريرية.

٤. **الكراك (crack)** : نوع صافٍ من الكوكايين المتبلّر يدخَّن بدل أن يُشم.

٥. **السيناتور (senator)** : عضو في مجلس الشيوخ الامريكي.

٦. **الميكرون (micron)** : جزء من ألف من المليمتر.

٧. **الايكو (ecu)** : وحدة النقد الاوروبية المشتركة.

٨. **البولو (polo)** : رياضة شبيهة بالهوكي تمارَس على متون الخيل بمضارب طويلة وكرة خشبية.

٩. **جائزة إيمي (Emmy)** : تمثال ذهبي تمنحه "أكاديمية الفنون والعلوم التلفزيونية" سنويا للأداء والانتاج التلفزيونيين المتفوقين.

١٠. **اللاحم (carnivore)** : حيوان يقتات باللحم. والعاشب **(herbivore)** حيوان يقتات بالاعشاب.

١١. **الكيمونو (kimono)** : ثوب فضفاض يرتديه اليابانيون.

١٢. **اسكنديناقيا (Scandinavia)** : شبه جزيرة في شمال أوروبا تضم النروج وأسوج (السويد) والدانمرك وفنلندا وأيسلندا وجزر فارو.

١٣. **بينغ - بونغ (Ping-Pong)** : اسم تجاري لكرة الطاولة.

١٤. **المسرطِنات (carcinogens)** : مواد تسبب السرطان.

١٥. **المايا (Maya)** : شعب قديم عاش في أمريكا الوسطى.

١٦. **شبكة الكايبل (cable network)** : محطة تلفزة يفيد منها مشتركون يدفعون رسما شهريا.

١٧. **الوسترن (Western)** : رواية أو فيلم عن الغرب الامريكي وخصوصا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

١٨. **الرُهاب (phobia)** : هلع مَرَضي من شيء معيَّن.

١٩. **وول ستريت (Wall Street)** : شارع المال في نيويورك، ويعتبر المركز المالي الاول في الولايات المتحدة.

٢٠. **الياقات الزرق (blue collars)** : كنية الطبقة الكادحة. تقابلها "الياقات البيض" **(white collars)** كنية المديرين وفئة الموظفين ذوي الرواتب العالية.

٢١. **فرنكنشتين (Frankenstein)** : بطل رواية يلمّ به الخراب علي يدي مسخ صنعه.

٢٢. **الاسقربوط أو الحَفَر (scurvy)** : داء من أعراضه تورم اللثة ونزفها.

٢٣. **المكتب البيضوي (Oval Office)** : مكتب الرئيس الامريكي في البيت الابيض.

٢٤. **الاوريغامي (origami)** : فن ياباني يقوم على صنع أشكال حيوانية وغيرها بطيّ ورقة واحدة من دون استخدام مقص أو مواد لاصقة.

٢٥. **الليموزين (limousine)** : سيارة كبيرة مترَفة.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز

١٤ - ٢٠: جيد جداً

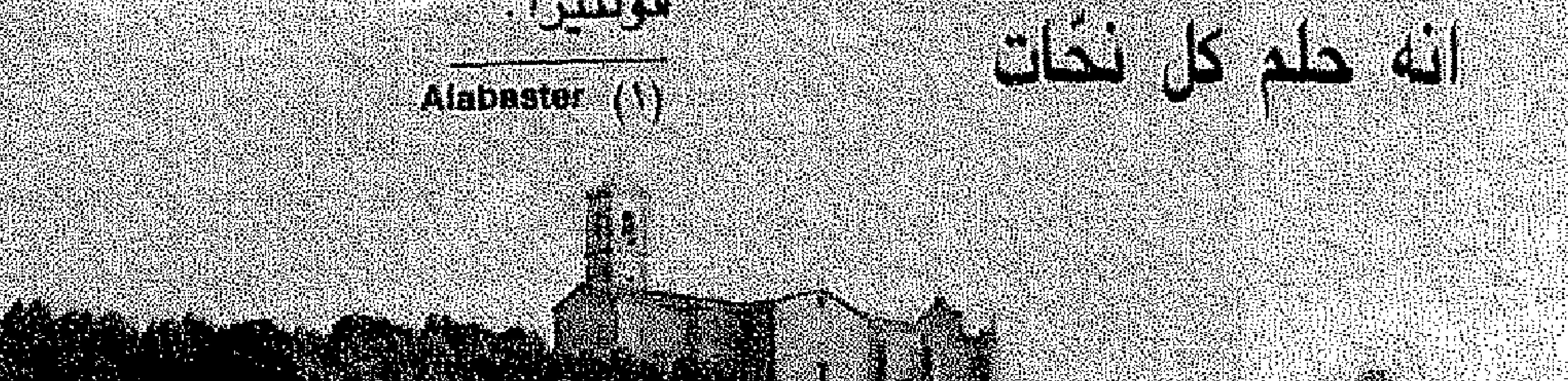
٩ - ١٣: مقبول

هو للبعض حرفة حديثة، وللآخرين متوارث عن الاسلاف. لكنه في أي حال يصبح نهج حياة. انظروا الى الفنانة الالمانية مونيكا بلانج (٥٤ عاما) التي تعتبر من الوافدين الجدد، نسبيا، على ريف فولتيرا الذي تسوطه الريح. لاحظوا الحلية الصغيرة التي نحتتها على شكل اناء للشرب، لكأنها سائل يُشرب لا حجر. لقد أتقنت بلانج فن نحت المرمر[1] رمز فولتيرا.

(١) Alabaster

نقي، شفاف، أكثر دفئاً من الرخام
انه حلم كل نحّات

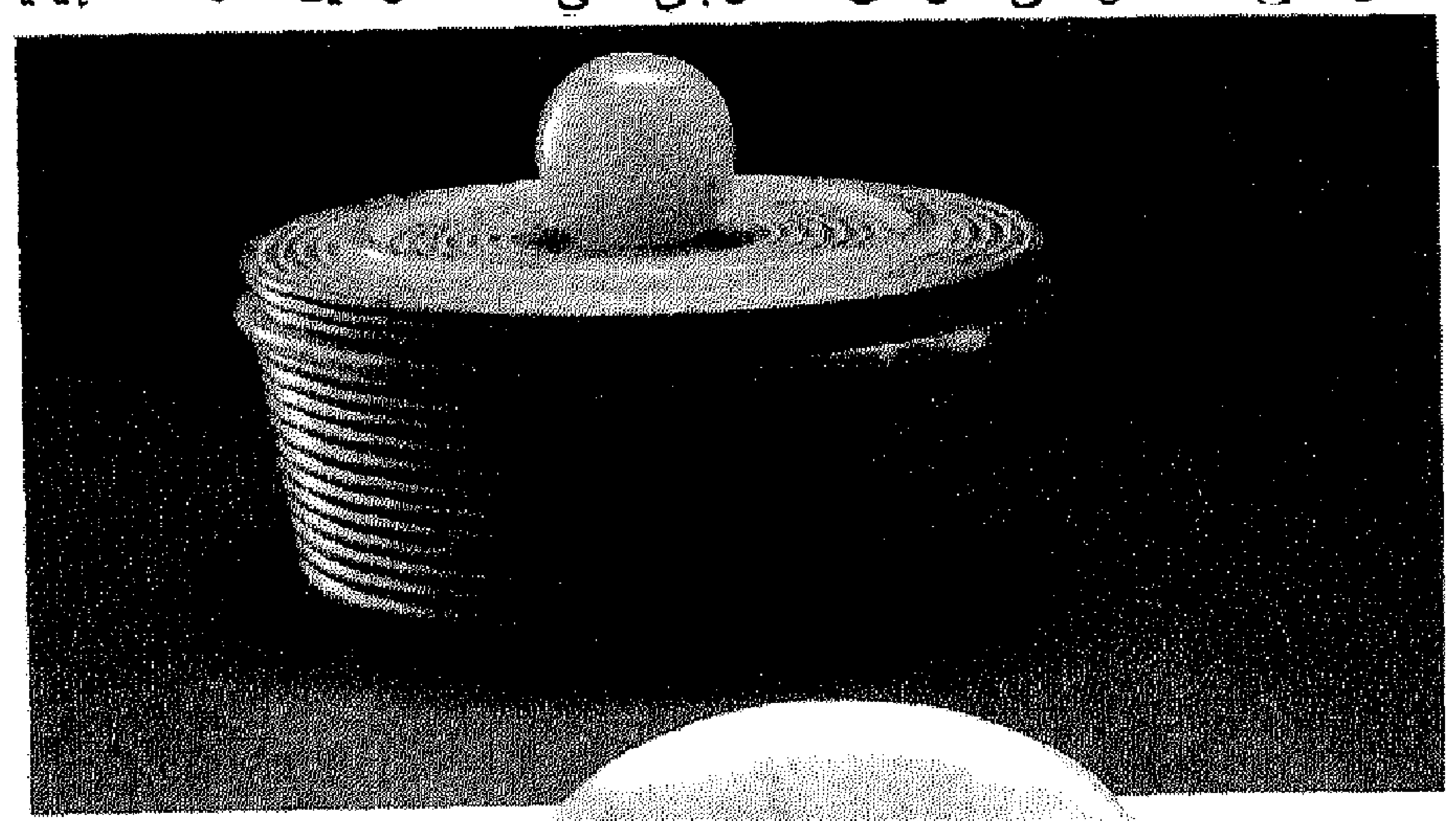
PHOTO: TONY NICOLINI INSE... LUISA





أو زوروا رينزو غازانلي (٥٠ عاماً) المولود في توسكانا والعامل في أحد محترفات فولتيرا. يقول: "كان والدي حرفيا يعمل بالمرمر، ومن الطبيعي أن أقتفي خطواته. ولكن لكي أكون على ثقة برغبتي في هذه المهنة، التحقت بمقرر دراسي خصوصي. ولدى تخرجي في معهد ستاتالي للفن، وكنت في الثامنة عشرة من عمري، انضممت الى مشغل محلي كمبتدىء. وفي إمكاني الآن صنع أي شيء، من منافض سجائر الى آنية زهور "عتيقة" مزدانة بأكاليل الورد والكرمة."

وحين درست إيلينا بريزيوزي (٣٠





(فوق) صندوق على شكل طاس نُحت من مرمر سينيرينو. (في الوسط) استخدم في هذا المصباح نوعان من المرمر: سكاليوني (القبة) وبارديليو (القاعدة والعمود). (تحت) إطار صورة صنع بقطعة كاملة من مرمر سكاليوني.

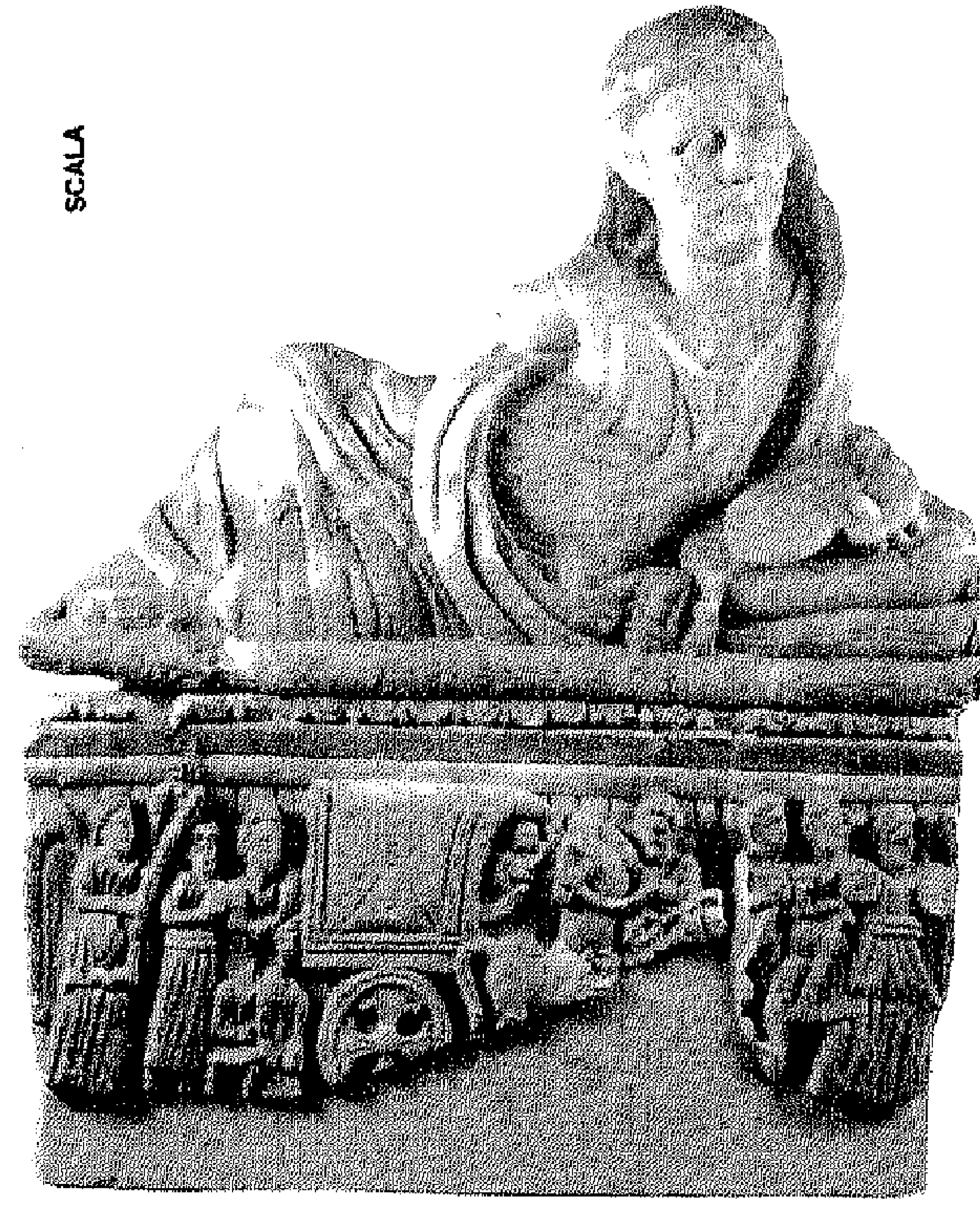
PHOTOS: 49 SOGNI IN ALABASTRO, © 1989 ARCADIA EDIZIONI.
PHOTOS: BY CENTROKAPPA, COURTESY OF
LA RINASCENTE — CROFF, MILAN

عاما) من جزيرة ألبا، فن نحت المرمر في فولتيرا أوائل الثمانينات، أدركت للحال أن المرمر ليس حجراً عادياً. وتقول المصممة الشابة: "انه أكثر دفئاً من الرخام، ومطواع ليّن يتيح لك صنع أشغال معقدة. تنظر اليه، فكأنه يدعوك بحنان الى لمسه وتمسيده كالمخمل. ليس من مادة أخرى تشبهه."

صورة ملطخة. اذا مشيتم في شوارع فولتيرا الحجرية، فانكم تمرون بمشاغل صغيرة ضيقة خافتة الاضواء وفي كل منها نحات منحنٍ فوق مخرطة والى جانبه أزاميل ومطارقٍ مختلفة وقطع حجار ضخمة على الارض. وتغطي الغرفة والعدة والفنان طبقة رقيقة من مسحوق أبيض هي العلامة المميزة للذين يقضون نهارهم في قص حجار المرمر ونحتها.

الا أن معظم حرفيي فولتيرا الـ٣٥٠ ينضمون الى معامل أكبر حيث تتولى آلات قص المرمر وتشكيله وصقله وفق نظام تجميع. وقد بلغت ايرادات بلدة فولتيرا من صناعة المرمر نحو ٢٨ مليار لير (٢٥ مليون دولار) عام ١٩٩٠.

لكن هذه ليست سوى جزء يسير من العائدات السابقة لهذه التجارة، لأن ارتفاع كلفة اليد العاملة قضى على كثير من المعامل الصغيرة. وحين زرت النحات باولو ساباتيني، حاصد الجوائز، في مشغله في شارع بورتا ألاركو، سألته عن نشاط تجارة المرمر حالياً، فأجاب بنبرة كئيبة: "التصنيع أتاح لعمال غير مدربين



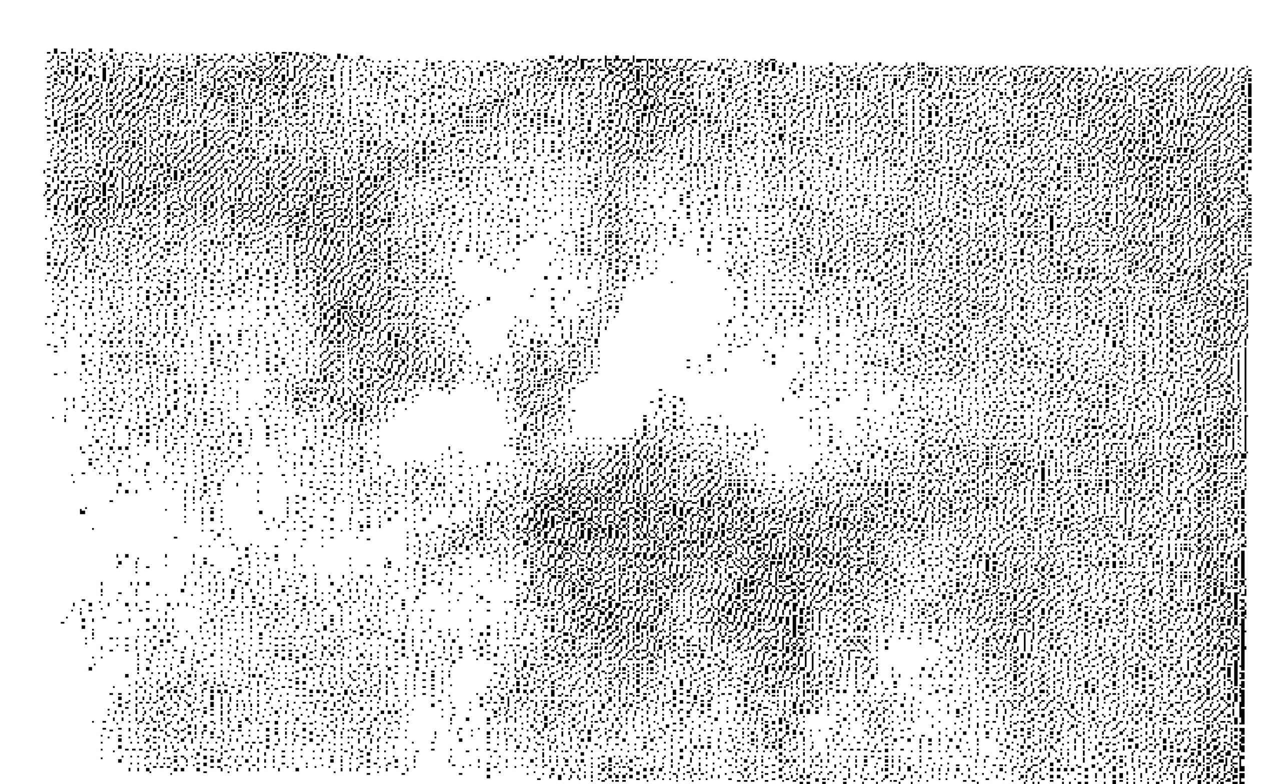
SCALA

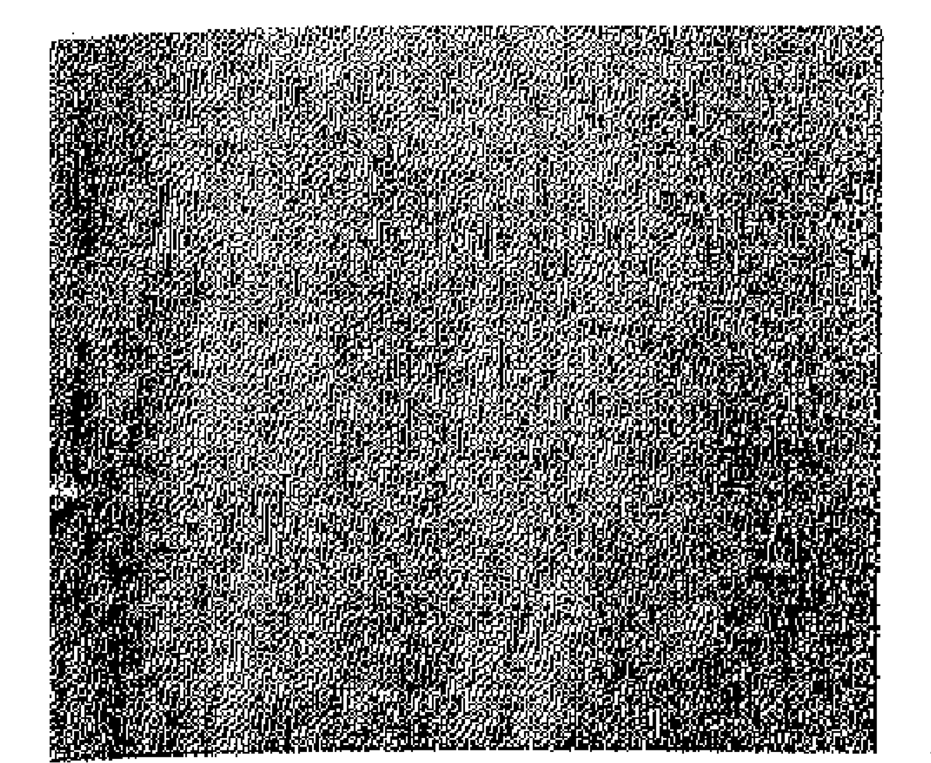
جرة رماد من اولي ليكو في متحف غوارناتشي الاتروري في فولتيرا.

جزء من طاولة مرمر بارديليو مرصعة بقطع مرمر ملوّنة.



PHOTO: 49 SOGNI IN ALABASTRO, © 1989 ARCADIA EDIZIONI.
PHOTO: BY RAFFAELLO BENCINI





نماذج افخر ستة انواع من مرمر فولتيرا: (من اليسار) "سكاليوني"، لونه أبيض وفيه عروق احياناً. "اغاتا"، تترجح الوانه بين الاصفر الفاتح والبنيّ القاتم. "بارديليو"، رخامي متعدد الالوان. "سينيرينو"، رمادي باهت متدرّج الالوان. "غابرو" رخامي، بني أو اسود أو أحمر. الحجر "الاصفر"، الوانه حية زاهية.

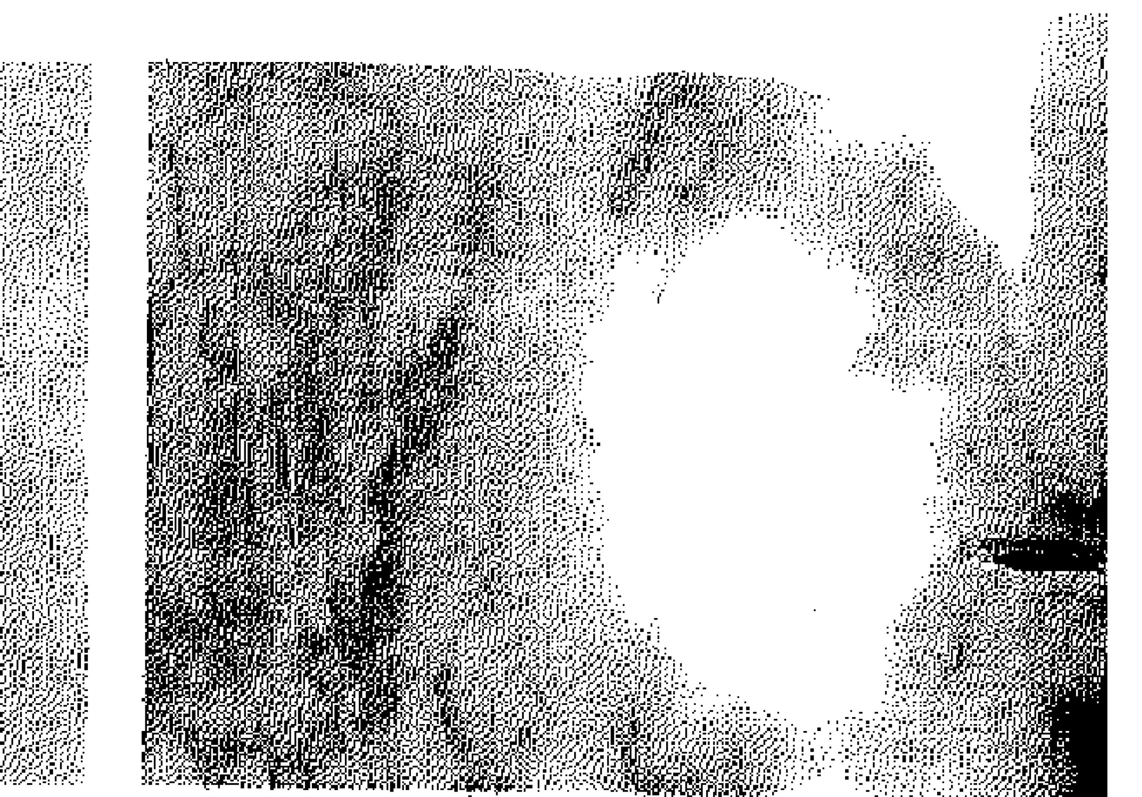
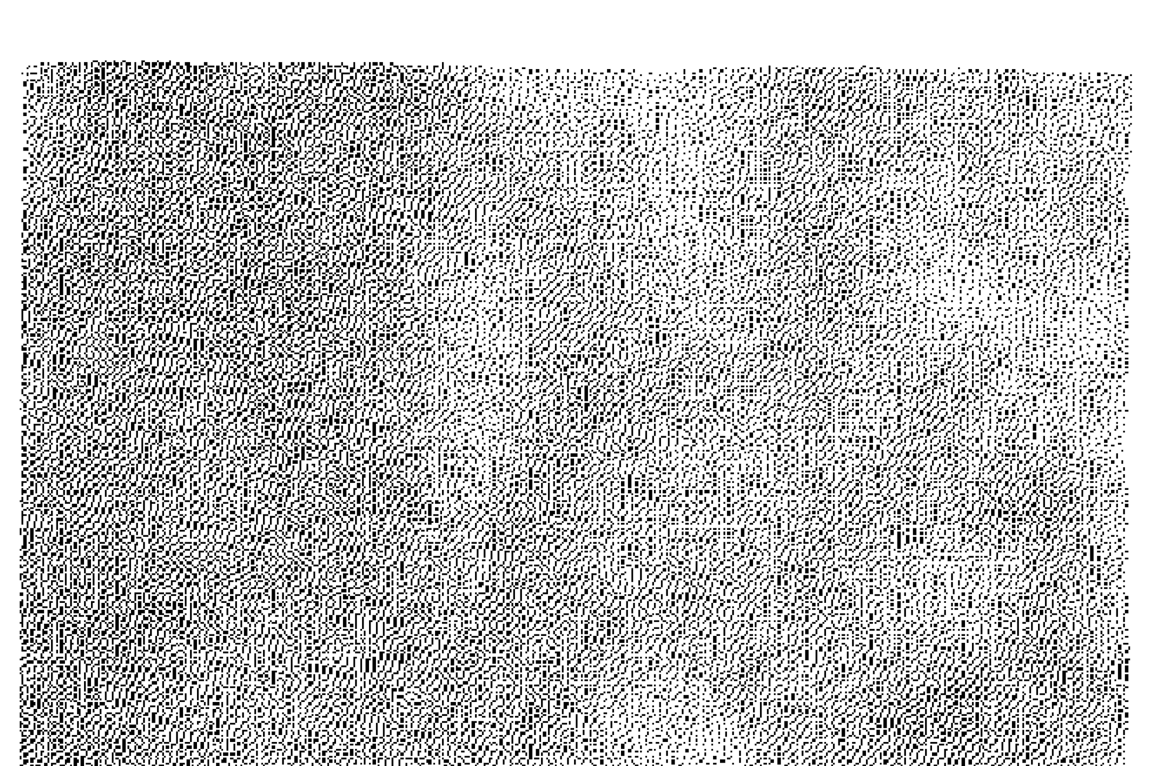
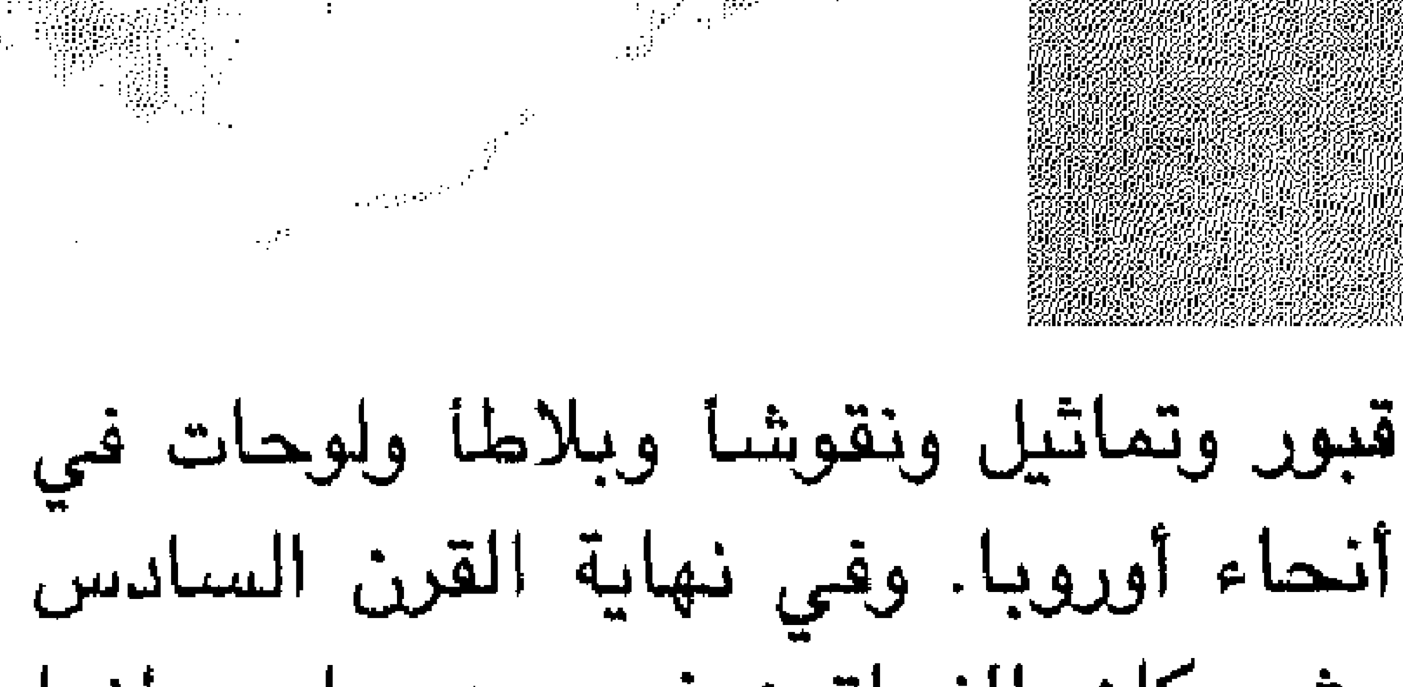
انتاج كميات كبيرة من القطع الرديئة. انظري الى كل هذه المنافض المطلية بألوان زاهية وهذه الحيوانات الخشنة العارية من أصول الفن، تدركي الاساءة التي نلحقها بصورتنا الرائعة السابقة. اننا نضع أنشوطة حول أعناقنا."

وفي الجهة المقابلة من الشارع أعربت أنجيلا وباتريسيا غرونشي، وهما مالكتا محل للاشغال الحرفية، عن قلقهما البالغ من استخدام المعامل الكبرى مرمراً اسبانيا ذا نوعية متدنية. وأضافتا: "انه أرخص كثيراً، والكميات التي تستورد منه في ارتفاع منذ ١٩٧٢. ان ٨٠ في المئة من المرمر الذي يصنّع في فولتيرا اليوم مستورد من إيبيريا."[٢]

والى اسبانيا، اكتُشفت في بريطانيا ورومانيا وفرنسا ترسبات من جصّ المرمر. وقد اكتشف نحو ٥٢ نوعاً من الجص في منطقة فولتيرا. وحدد الجيولوجيون النوع الارقّ الانقى الموجود في فولتيرا وحدها على أنه كبريت كلسيّ مميّه (متحد مع الماء).[٣] ومع كونه متضامّاً فإنه شفاف، وأخف من الرخام، وتسبغ عليه شفافيته ميزة آسرة. أما النوع الاوفر تقديراً لدى سكان فولتيرا فهو مرمر سكاليوني.

نكسة فنهضة. تعني كلمة مرمر (ألاباستر) في اليونانية واللاتينية "إناء زهر." وتزعم نظرية شائعة أن الاسم مشتق من المدينة المصرية القديمة ألاباسترون في جوار تيبس[٤] حيث كانت قماقم العطور والمراهم تصنع من المرمر الشرقي المحلّي. وقد عُثر في قبر الفرعون توت عنخ آمون على أمفورة[٥] مصنوعة من قطعتي مرمر ملصقتين معاً. واستخدم قدماء المصريين أيضاً ألواحا كاملة من هذا الحجر ليكسوا الجدران والسقوف، بما في ذلك أحد الهياكل قرب

(٢) ايبيريا شبه جزيرة في اوروبا تضم اسبانيا والبرتغال.
(٣) Hydrated sulphate of lime
(٤) تيبس او ثيبيّة الاسم القديم لصعيد مصر او مصر العليا.
(٥) الامفورة قارورة ضيقة العنق ذات "اذنين" كان القدماء يضعون فيها شراباً وزيتاً.

"أبو الهول" في الجيزة. وغُلّفت أعمدة سامقة بالمرمر الذي استخدم كذلك في نحت الأفاريز الزخرفية. وانتشر استخدامه خارج مصر، فزيّنت به قصور الكريتيين والمسينيين.

وفي ايطاليا اعتباراً من القرن الرابع قبل الميلاد، استخدم الاتروريون القدماء المرمر المستخرج من فولتيرا في صنع النواويس وجرار الموتى، مؤثرين هذا الحجر العاجي اللون. ونظراً الى سهولة نحته، ظهرت رسوم وكتابات على جوانب النواويس وأغطيتها، ومنها رسوم لوجوه الموتى كانت تُنحت بالازاميل في اللحظة الاخيرة.

لكن ظهور النصرانية أنهى استخدام الجرار لحفظ رماد الجثث. وانحسر استخدام المرمر للبناء في القرون الوسطى، لأن غناه ورقته يتعارضان وتعاليم التقشف. لذا اندثرت هذه الصناعة الفنية في ايطاليا.

وفي مطلع القرن الثاني عشر عاد حرفيو المرمر الى الظهور في غير مكان بعد اكتشاف ترسبات غنية في دربيشاير في وسط بريطانيا. وعثر لاحقاً على كهوف مرمر في جوار تشيلستون هيل، فنشأت صناعة محلية مزدهرة شملت شاهدات قبور وتماثيل ونقوشاً وبلاطاً ولوحات في أنحاء أوروبا. وفي نهاية القرن السادس عشر كان النحاتون في بوهيميا وهولندا وألمانيا واسبانيا يعملون في صناعة المرمر.

بيوض مرمر. وفي ثمانينات القرن الثامن عشر التي شهدت نهاية صناعة المرمر وغيابها الطويل عن ايطاليا، بقي نحو ٤٠ حرفياً ماهراً يعملون في ثمانية مشاغل أو تسعة في فولتيرا، يصنعون سبحات وأدوات صغيرة أخرى. ولكن في العام ١٧٩١ أدخل الشاب مارتشيلو إنغرامي فاي (٢٥ عاماً) الذي أثرى بالوراثة، حياة جديدة الى البلدة. فهو عمد الى شراء بناء قديم فأقام فيه مشغلاً ومدرسة للتدريب. واستثمر كهف مرمر في كاستيلينا ماريتيما ليؤمن امداداً ثابتاً من النوع الممتاز. ولم يمض ١٢ شهراً حتى كان ١٢٠ متدرباً يعملون في إشراف أفضل المعلمين في أوروبا. وأنتج المشغل مصابيح وشمعدانات وآنية وجراراً وتماثيل كلاسيكية رائعة وتحفاً كانت تباع في كل أوروبا.

في العام ١٨٢٠ بدأ تجار رحّالة بيع المصنوعات المرمرية في أقطار العالم.

قبل شراء "تحفة" مرمرية...

للتأكد من أن "تحفة" ما هي مصنوعة من مرمر فولتيرا الاصيل، يقترح الاستاذ ألدو سيشيلا مؤلف كتاب "فولتيرا عاصمة المرمر" أن يحمل الشاري القطعة التي ينوي شراءها ويختبر وزنها، مضيفا: "ان مصنوعات البلاستيك ومزائج المرمر الرخيصة هي أخف وزنا من الحجر الاصيل. بعد ذلك مرروا رؤوس أصابعكم على سطحها. فالحجر الزائف يكون عادة ناعما، بينما يكون حجر المرمر خشن الملمس الى حد ما. أما اذا كان مطليا، فالزائف يبدو أنعم صقلا. أخيرا تطلعوا الى بطاقة الثمن. القطع الاصيلة لا تكون رخيصة أبدا."

وفي العام ١٨٦٢ كان هناك ما يربو على أربعين مصنعا، يعمل فيها نحو ٥٠٠ حرفي ماهر لتلبية الطلبات الكثيرة. وعام ١٩٢٩ كان أكثر من ١٦٠٠ من سكان فولتيرا يعملون في صناعة المرمر. وضمت المدينة ٤٠ مشغلا متوسطة الحجم. لكن انهيار سوق الاسهم المالية في بورصة وول ستريت بنيويورك أدى الى كساد هذه التجارة المزدهرة. ثم ساهم ارتفاع التكاليف – الذي أدى الى استخدام حجار أقل جودة – واهمال الاتقان والتزييف الفاضح، في الصعوبات الحالية التي تعانيها فولتيرا.

وما زال في ايطاليا كهفان نفقيّان صالحان لاستخراج المرمر، أحدهما في "لو فينيل" في تلال كاستيلينا ماريتيما الباعدة ٣٠ كيلومترا عن فولتيرا. في أنفاق هذا الكهف التي يبلغ طولها ٢٥ كيلومترا، يعمل ماريانو ألفونسو (٥١ عاما) مع خمسة معدّنين آخرين وأربعة عمال في انتزاع كتل كرويـة، أو "بيوض"، من حجر السكاليوني الشديد النقاء تراوح أوزانها بين كيلوغرامين وطن. وهذه البيوض مدفونة على أعماق متفاوتة في طبقات الجص، وتفصل كل طبقة عن الاخرى طبقة رقيقة من الطين.

قال لي ألفونسو: "يصل عمق الانفاق الى ١٥٠ مترا تحت سطح الارض. وكان المعدنون في الماضي يعتمدون المعاول للحفر في جدار النفق. وكانوا يستخدمون حلقة خاصة لكشف بيوض المرمر المدفونة. لكننا حاليا نستخدم المتفجرات لحلحلة الكتل، ثم أستخدم مثقابي العامل بالهواء المضغوط، ولا استخدم المُخل الا متى اكتشفت بيضة بارزة.

"والبيضة مغلفة دائما بقشرة سوداء سماكتها سنتيمتر واحد ويتعين كسرها. وعندما تسقط القشرة، فيا لروعة المنظر حين أُدني مصباحي! فها هو الحجر شفاف بحيث يكاد النظر يخترقه الى الجانب الآخر."

أين الذوق؟ كنت راغبا في معرفة المنحى الذي سيأخذه فن المرمـر مستقبلا. فزرت معهد ستاتالي للفن في فولتيرا، وهو المدرسة الفنية الوحيدة في ايطاليا التي تعطي مقررا تعليميا في صناعة المرمر مدته خمس سنوات.

رحب بي المعلم النحات فيليو غراندولي (٤٥ عاماً)، وجلنا في أروقة المعهد على مصنوعات مرمرية قديمة، ودخلنا غرفة تدريس غراندولي بأرضها المكسوّة بغبار طبشوري، وفيها مناشير لقص الحجار الضخمة ومخارط ومصقلة.

تكلمت مع أليساندرو مارزيتي (٢٠ عاماً) وهو شاب أشعث الشعر كان سيبدأ سنته الدراسية الاخيرة في المعهد، وواحد من سيل متدفق من فناني المرمر الموهوبين. قال: "أنا أحب هذا النوع من العمل. ومن الصعب أن ينشأ المرء في فولتيرا ولا يتأثر بصناعة المرمر."

وكان أليساندرو صنع عشر منحوتات، اختيرت منها اثنتان لعرضهما في مسابقة جوليو غريميني المرموقة التي تقيمها البلدة في رعاية مصرف محلي.

وقال زميله في الصف يوري ديلي اينوسنتي (١٩ عاماً): "والدي هو الذي سدد خطاي في هذه الطريق. كنت أقصد محترفهُ عندما كنت صغيراً، وأجلس ساعات مأخوذاً بالاشياء الجميلة التي تخرج من تلك الكتل الحجرية." وهو اشترك في مسابقة غريميني عارضاً ساعة جدارية فاخرة.

قال غراندولي: "نحن نعقد آمالنا على هؤلاء الفتيان لمحو صورة فولتيرا الملطخة، واستعادة صفائها. فهم يستخدمون أفضل أنواع الحجار الوطنية ويبتعدون عن المنتجات التافهة الخالية من الفن والذوق التي ألحقت بنا ضرراً كبيراً. انهم ينتجون مصنوعات في منتهى الروعة، وينالون جوائز عليها."

ولا يزال غراندولي يكنّ عميق الاحترام للطرق الفنية التي استخدمها أجداد فولتيرا. وقد فاجأته وهو يضع اللمسات الاخيرة على احدى منحوتاته، فوجدته نابذاً المعدات الحديثة حوله ومنهمكاً في حفّ القطعة بيده بمنتهى الدقة والاناة، مستعيناً لتلميعها بوصفة عمرها مئات السنين، هي مزيج من كبريت ومسحوق عظم الثور ولُعاب. وهو أقرّ بارتباك مشوب بالخجل: "أنا أفضل الاساليب القديمة."

ربما كان ذلك اطراء لرومانسية فولتيرا المرمرية.

ألكسندرا وثيق الله ■

التغيب عن العمل

أظهر احصاء أن ١٧ في المئة من الايدي العاملة في بلدان المجموعة الاوروبية تتخلّف عن العمل خلال اسبوع ربيعي، بداعي الاجازة أو المرض أو الامومة أو رداءة الطقس. وبيَّن الاحصاء أن الاجازات تشكل ٤٤ في المئة من مجموع حالات التغيّب، تليها الأمراض والحوادث بنسبة ٢٤ في المئة. ولكن ثمة فوارق كبرى بين البلدان، ففي حين سبّبت حالات المرض ٤٠ في المئة من التغيبات في بلجيكا، لم تبلغ هذه النسبة سوى ٢٠ في المئة في بريطانيا و٦ في المئة في اليونان.

م.ب.

غويّانا الفرنسيّة أرض السلاحف والفراش


EXPLORER / S. FRANCES

(الى اليسار) طفلان من قرية كاموبي الهندية الواقعة على ملتقى نهري كاموبي واويابوك.

مستعمرة فرنسية في أمريكا الجنوبية زاخرة بتنوع حضاري وجمال طبيعي فريد

الثانية والربع من بعد ظهر ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ وقف الفنيون والمهندسون في مركز "كورو" الفضائي في غويانا الفرنسية هاتفين عندما فتح القمر الخاص بالبث والتابع للقناة الاولى في التلفزيون الفرنسي ألواحه الشمسية على ارتفاع ٣٦ ألف كيلومتر. انها المرحلة الاخيرة من اطلاق الصاروخ



الفرنسي "آريان"، وهو الاطلاق الناجح الثاني والعشرون في اطار برنامج بدأ عام ١٩٧٩.

كنت في هذه الاثناء أزور قرية أوارا لهنود الغاليبي عند مصب نهر ماروني على مسافة ١٩٠ كيلومتراً من كورو. ولكن بدا لي كأنني عدت في الزمن ٥٠٠ سنة. فالغاليبيون يتمسكون بطريقة حياة لم تتغيّر منذ أيام كولومبوس.

جلست ذلك المساء مع عدد من القرويين قرب النار نتناول السمك المشوي المشبع بالتوابل والكعك النباتي. قال أحدهم: "أنك تشعر بالغنى لما تملك. لكننا نشعر بالغنى ذاته ما دامت السلاحف تضع بيضها على الشاطىء وما دمنا نستطيع صيد السمك والحيوان."

أمضيت الليلة في أحد الاكواخ تحت سقف من أوراق الماريبا المجدولة. وأحسست ببرودة مع أن الحرارة في الخارج كانت ٣٥ درجة مئوية، ذلك لأن لا جدران ترد النسائم اللطيفة. وأدهشني أن أرى النار في الصباح لا تزال متقدة. فأوضح لي قروي أن "واحداً منا كان يمر كل ساعة لايقادها كي لا تزعجك الحشرات."

أين، في العالم، يمكن أن أحظى بهذه الضيافة الحارة؟

جحيم استوائي. بعدما اشتُهرت غويانا الفرنسية في زمن ما على أنها "أرض ثروات" و"جنة عدن"، عُرفت لاحقاً بـ"الجحيم الاخضر" اذ أصبحت معتقلاً للمجرمين. أما اليوم فهي لا تستأهل مزاياها الاسطورية ولا سمعتها السيئة. لكني لم أستطع مغالبة التفكير في الامرين معاً فيما الطائرة تقترب من مطار كايين – روشامبو، اذ رأيت الغابة الزمردية الممتدة تحتي. انها "الجحيم الاستوائي" الذي قضى، مع الحمّى الصفراء، على أعداد كبيرة من المجرمين الذين كانوا ينفذون عقوباتهم والمنقبين



اثنان من شعب الهمونغ. يعيش ٦٠٠ لاجىء من لاوس وكمبوديا في غويانا على صيد السمك والزراعة والحرف اليدوية.

EXPLORER / M. MOISNARD

عن الذهب في الانهر الموحلة والمستوطنين السيئي الطالع وسليلي عبيد القرن الثامن عشر المختبئين في الغابة.

لا تزال البرّية طاغية، اذ لا يتجاوز عدد سكان غويانا ٩٤ ألفاً يعيش أكثر من ثلاثة أرباعهم في الشريط الضيق الممتد على ساحل الاطلسي. وفي أي مخرج من الطريق الساحلية الممتدة ٣٢٠ كيلومتراً، تمتد غابات كثيفة تحول دون الوصول الى القرى الداخلية القليلة الاّ عبر الانهر او الجداول، بما فيها نهر ماروني الكبير الذي يشكل الحدود مع سورينام غرباً، ونهر أويابوك الذي يشكل الحدود مع البرازيل شرقاً. وفي هذه البرية الاستوائية أربعة مطارات صغيرة وطرق وعرة شقها المنقبون عن الذهب.

أرتحلت ليومين عبر نهر كومتي في زورق مصنوع من جذع شجرة. كان الملاحان الاسودان يعرفان كل منعطف في هذا الممر المائي المتعرج. فأسلمت نفسي لاهتزازات القارب. وخلال تسللنا بين "جدران" الدغل المكسوة بالعرائش، سمعت صرخات حادة لببغاء الماكاو وطائر الطوقان ترجّع صداها في الغابة، وشاهدت فراشات المورفو الزرقاء الاكبر من عصافير الدوري.

واذا كنتم من محبي النباتات، فلا حديقة في العالم تضاهي المنطقة المجاورة لجبل الدخان وقرية ساول. فقد أحصى فريق من "حديقة النبات" في نيويورك أرسل الى المنطقة عام ١٩٨٢، بالتعاون مع زملاء فرنسيين، ٢٩٥ نوعاً مختلفاً في بقعة تضم ٨٠٠ شجرة، بعضها ضخم يصل ارتفاعه الى ٥٠ متراً ويبلغ محيط جذعه ستة أمتار. وتحتوي غابات غويانا على آلوف الانواع من النباتات، أروعها تكتلات السرخس (الخنشار) والسحلبية (الاوركيديا) المتدلية من الاغصان العالية للاشجار. أما اذا كنتم من المهتمين بالحيوانات، فقد تحظون برؤية طائر هوكو، وهو ديك رومي ضخم ذو شهية لا تشبع، أو تلمحون قرود مكّاك أو قروداً مولولة، وربما أفعى أناكندة يقال إن طولها قد يبلغ عشرة أمتار.

وتشكل الانهر أفضل المراصد للذين يرغبون في تذوق الحياة في غويانا: ففي الصباح الباكر ترون زوارق الجذوع ناقلة الاولاد الى مدارسهم، ورجال درك فرنسيين يجذفون في قارب في زيارة لاحدى القرى، وقوارب غاصة بالمواد الغذائية متوجهة الى مستوطنات قصية. واذا لمحتم بضعة أوروبيين على الرصيف، فغالب الظنّ أنهم منقبون عن الذهب.

"صناعة" سجون. افترض المغامرون طوال قرون أن ينابيع ثروات تقع عند سفوح جبال توموك هوماك التي ترتفع ٨٠٠ متر. وليس الذهب في غويانا خرافة تماماً، اذ يبلغ معدل إنتاجها السنوي منه ٤٢٠ كيلوغراماً. لكن هذه الارض بريئة من غنى مواردها

HOA-QUI / J. BOCK

لا يزال في غويانا نحو ١٩٦ منقبا عن الذهب مسجلين رسميا. لكن مئتي عام مضت منذ اعتقد الناس بموطن الثروة الاسطوري الذي وصفه معاصرو كريستوفر كولومبوس.



قلب الغابات الامازونية المظلم غني بمئات من انواع النباتات ويعج بالحياة. ويرتفع بعض الاشجار الى علو ٥٠ مترا وصولا الى نور الشمس.

JACANA / R. KÖNIG

الاسطورية التي أملها المنقبون الاوائل. وتتولى ثلاث مؤسسات تنقية العروق الاغنى، فيما يصفّي ١٩٦ منقباً ما مجموعه ٧٠ كيلوغراماً من الذهب سنوياً، مما يؤمن لهم دخلاً يعادل الحد الادنى للاجور في فرنسا.

لقد تخلّى الناس منذ زمن بعيد عن الاعتقاد أن غويانا هي "جنة عدن،" على رغم الاوصاف التي ألبسها أياها معاصرو كريستوفر كولومبوس. ففي العام ١٦٧٦، بعد نحو قرن من الحروب مع بريطانيا وهولندا، ثبّت الاميرال جان ديستري ملكية فرنسا لهذه الارض الاسطورية. وفي العام ١٧٦٤ أبحر ١٦ ألف رجل الى غويانا بعدما أغرتهم الروايات البرّاقة التي أطلقها وزير الخارجية الفرنسي الدوق شوازول، عن أراض خصبة تنتج أكثر من محصول واحد في السنة وعن عمالة مجانية. لم يكن هؤلاء الرجال مهيئين لمشاق الحياة الاستوائية، فقضى عشرة آلاف منهم في غضون سنة بسبب الملاريا والحمّى الصفراء والجوع.

وبين العام ١٨٥٢ عندما أنشىء أول معتقل في غويانا، والعام ١٩٣٨ عندما توقفت فرنسا عن ارسال المحكوم عليهم الى هذه المستعمرة، عانى ٦٠ ألفاً من هؤلاء، بمن فيهم ٥٣٠ امرأة، بؤس الاعمال الشاقة في ما سُمي "المقصلة الخضراء." وفي محاولة لتبرير ذلك أعلن أحد أطباء السجون في العام ١٨٨٥: "لماذا يتعين على فرنسا أن تتردد في التضحية بحياة بضعة رجال فاسدين لمصلحة انماء مستعمراتها؟" كان هذا "الانماء" يعني، مثلا، أن يقضي المساجين أكثر من ٦٠ سنة في منطقة سان لوران دو ماروني لشق ٢٣ كيلومتراً من الطرق عبر المستنقعات الساحلية.

يرى الناظر من كورو جزر سالو الزاخرة بأشجار جوز الهند والمميزة بشواطئها الرملية البيضاء. وقد خصصت هذه الجزر لاستيعاب ٦٠٠ من السجناء الاكثر تمرداً، ليذووا في زنزانات مظلمة. وقد أرسل دريفوس،* بعد محاكمته الشهيرة بتهمة الخيانة، الى جزيرة الشيطان حيث لا يزال المقعد الحجري الذي كان يستريح عليه خلال تنزهه قائماً في باحة السجن.

لكنني لم ألحظ التناقض الحقيقي في "صناعة" هذه السجون الغارقة في الدم الا بعد زيارتي برّ سان لوران دو ماروني، وهي بلدة تضم ٥٠٠٠ شخص، ومشاهدتي بيوتها الحجرية الانيقة التي تنبىء بالترف الذي كان يعيشه القيمون على السجون.

لم ينه آخر السجناء أحكامهم ويعودوا الى فرنسا الا عام ١٩٥٣، لان سلطات السجون لم ترغب في قطع مورد العمالة المجانية فجأة. واختارت قلة من السجناء البقاء في غويانا لان أفرادها أحسوا بأنهم أضعف من أن يبدأوا حياتهم ثانية في أوروبا. ولا يزال بضعة عشر منهم

(*) الفرد دريفوس (١٨٥٩ - ١٩٣٥) ضابط فرنسي ادت محاكمته وادانته بتهمة التجسس لحساب المانيا، قبل تبرئته عام ١٨٩٩، الى انقسام الراي العام الفرنسي.

احياء، يحترم الجميع رغبتهم في نسيان الماضي.

لقد اختفى معظم ما يذكّر بالسجون. لكنني وقعت مصادفة في المتحف الصغير في كايين على واحدة من أفظع مصنوعات المستعمرة: جبيرة القدم اليمنى للسجين غيز – لوي بايبف الذي أعدم بالمقصلة في ٥ مارس (آذار) ١٨٥٨ في جزيرة سالو بعدما أخضع لتعذيب رهيب. وتظهر الجبيرة آثار كدمة بارتفاع أربعة سنتيمترات في مشط القدم، واحدى اصابع القدم مثنية الى الخلف.

بنت الامازون. كايين، كبرى مدن غويانا الفرنسية، عاصمة اقليمية فاتنة. فيها شوارع تلتقي على شكل مربعات، ومنازل ملونة من الطراز الكسريولي الفرنسي ذات شرفات من الحديد المطروق، وقصور أغنياء ذات طراز ساد زمن المستعمرات بمداخل رواقية قائمة على أعمدة. ذكرتني المدينة بالحي اللاتيني في نيو أورلينز بالولايات المتحدة، الا من موسيقى الـ"بيغين" الشعبية التي حلت محل الجاز ومن محبي الزهور والفراشات البسطاء الذين حلوا محل السياح. وقد وجدت هؤلاء الزوار المتميزين على الشواطىء المسوَّرة بشجر المنغروف الاستوائي وفي المطاعم يتذوقون حساء "كولومبو دو كابري" الذي يشبه الكري الهندي ويستورده المهاجرون الآسيويون.

تتميز غويانا بتنوع حضاري هائل. توقفت على مسافة ٦٠ كيلومترا من كايين في قرية كاكاو على نهر كومتي. وهي بدت ببيوتها الخشبية المرتفعة على قوائم كأنها بقعة انتقلت من آسيا. والواقع أن سكانها البالغ عددهم نحو ٦٠٠ هم من مزارعي الهمونغ من لاوس وكمبوديا، هربوا من الحرب في الهند الصينية عام ١٩٧٦ ويعيشون على الحرف اليدوية وصيد السمك وتسوية الاراضي الحرجية وزرعها. لكني على ضفاف الماروني خلتني في وسط افريقيا، فقرى زنوج البونيس مبعثرة على امتداد نحو مئتي كيلومتر، وهم استقروا فيها في القرن الثامن عشر هرباً من العبودية في مزارع سورينام التي كانت مستعمرة هولندية.

أما الغلال في سوق كايين والفواكه والخضر على "بسطات" سان لوران دو ماروني وكورو وسيناماري، فتستحضر نكهة جزر الهند الغربية. واذ سمعت صياح زوجات المزارعين الكريوليين، بشالاتهن القطنية، وهن ينادين على جودة بضائعهن من توابل وموز، عاد الى ذاكرتي أن غويانا هي أساسا بلد كاريبي، فنحن على مسافة ساعتين فقط في الطائرة من مرفأ بوانتا بيتر في جزر غوادلوب ومن فور دو فرانس عاصمة جزر المارتينيك.

وعلى طول نهر الاويابوك يدرك المرء أن غويانا هي بنت الامازون، فهذه الارض هي الملاذ الرحب لقبائل الغاليبي والباليكور والايميريلون والموايانا

والأراواك والويامبي، وهي تضم ٨٠٠٠ هندي ينقسمون ست مجموعات اثنية ويعيشون على أرض استوطنوها قبل ألوف السنين، وعلى كل من يرغب في زيارة قرى الهنود أن يحصل على اذن حكومي، لان بعض المجموعات في المناطق الداخلية لم تحتك بالرجل الابيض الا نادراً فهي سهلة التعرض للفيروسات والجراثيم المنتشرة في مجتمعاته، وخصوصا النزلة الوافدة (الانفلونزا) التي تكون غالبا قاتلة بالنسبة الى أفرادها.

ثروات مخبوءة. العالم على عتبة القرن الحادي والعشرين، وسكان غويانا يعملون على بناء مستقبلهم. لقد بدأ العمل في مركز كورو الفضائي الفرنسي عام ١٩٦٨، وكان سكان المدينة ٧٠٠ أنذاك، وعددهم الآن ١١٥٠٠. وتكثر المتاجر الكبرى وأحواض السباحة وملاعب كرة المضرب. الا أن نجاح برنامج "آريان" الفضائي حمل في الواقع خطراً جديداً هو احتمال أن تحجب كورو بقية البلاد.

ولكن ثمة ثلاثة مشاريع طموحة لشق طرق رئيسية وبناء جسرين لتسهيل الوصول الى المستوطنات الاكثر بعداً عن الساحل، ويتوقع أن تعزز هذه المشاريع الازدهار الذي ينتظر أن تشهده غويانا. كما أن صيد السمك وتربيته أصبحا عملا مربحاً، وينتج ٤٥٠٠ طن من الاربيان (القريدس) سنوياً وتعتبر الصناعة الاولى في المستعمرة. وتخبىء الغابات ثروات هائلة. فالخشب العالي النوعية السهل التسويق يتوافر ما بين ١٠ أمتار و٣٠ متراً مكعبة في الهكتار الواحد، مما يجعل هذه الغابات واحداً من أغنى المخزونات في العالم. وتتميز غابات المطر الغويانية بكثافة عالية تتيح استغلالها على نحو لا يهدد مخزونها أو يؤثر سلباً في البيئة.

غويانا هي المكان الوحيد على الارض حيث يستشرف المرء القرن الحادي والعشرين بينما يعيش حياة هندية ترقى الى أكثر من ألف سنة. ان طعام الكريول الفرنسي اللذيذ، والشواطىء الرملية البيض، وروعة الزهور والفراشات الفريدة، وصمت الغابة العظيمة، أسباب اضافية تدعونا الى زيارة أرض الاساطير هذه.

جان ماري جافرون ■

ميكانيكي فني

كان القاضي ينظر في قضية تحطم حافلة في حادث سير. فعرض صورة للحافلة المحطمة على ميكانيكي وطلب منه أن يحدد ما يراه.

صمت الرجل برهة حدّق خلالها الى تلك "الهريسة" من العجلات والأنابيب ثم هتف: "بيكاسو؟"

مجلة "المحامي"



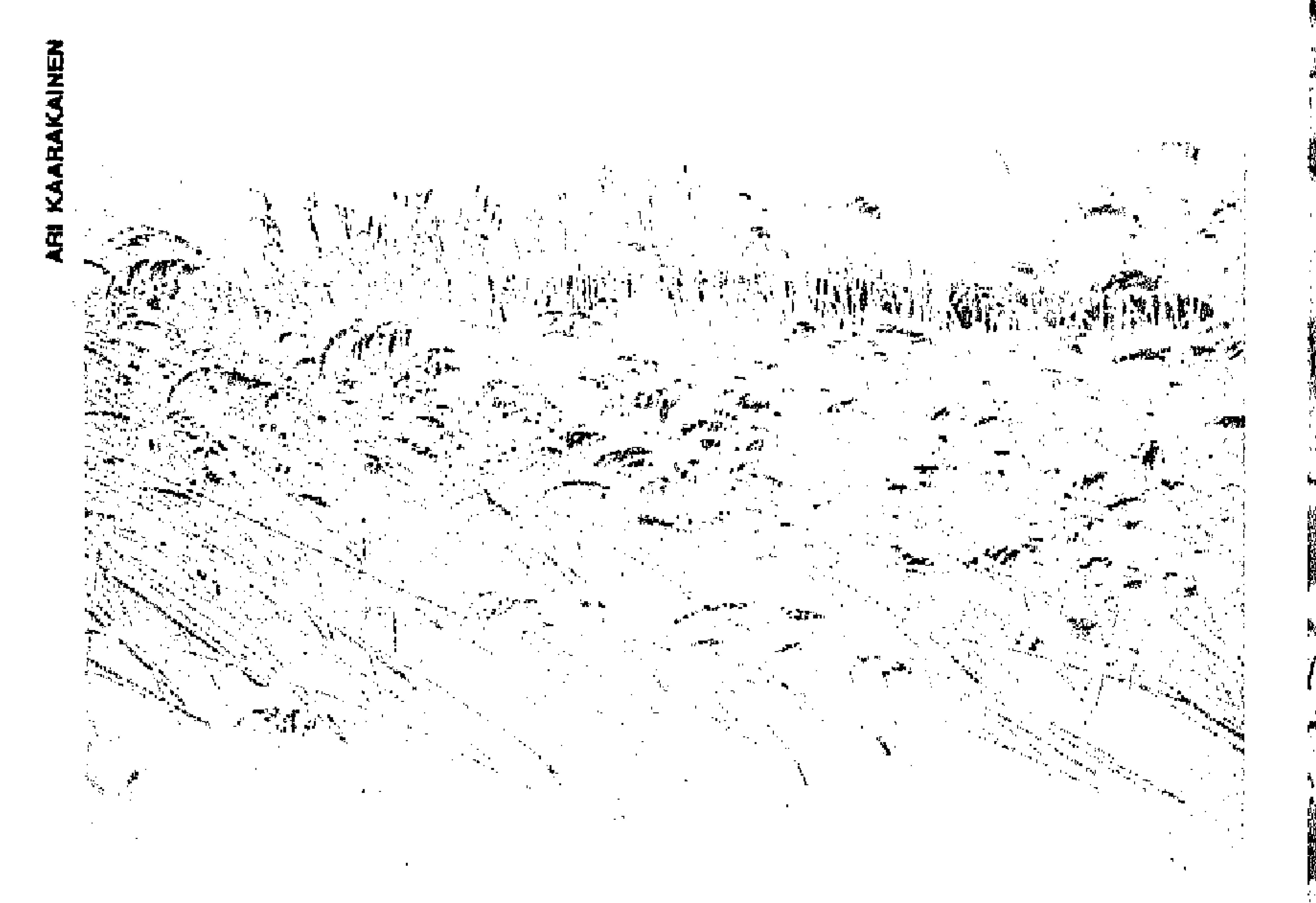


لوحات بيضاء فيها هدوء وحنين... ودفء آتٍ

ALTTI A. SALO



ARI KAARAKAINEN

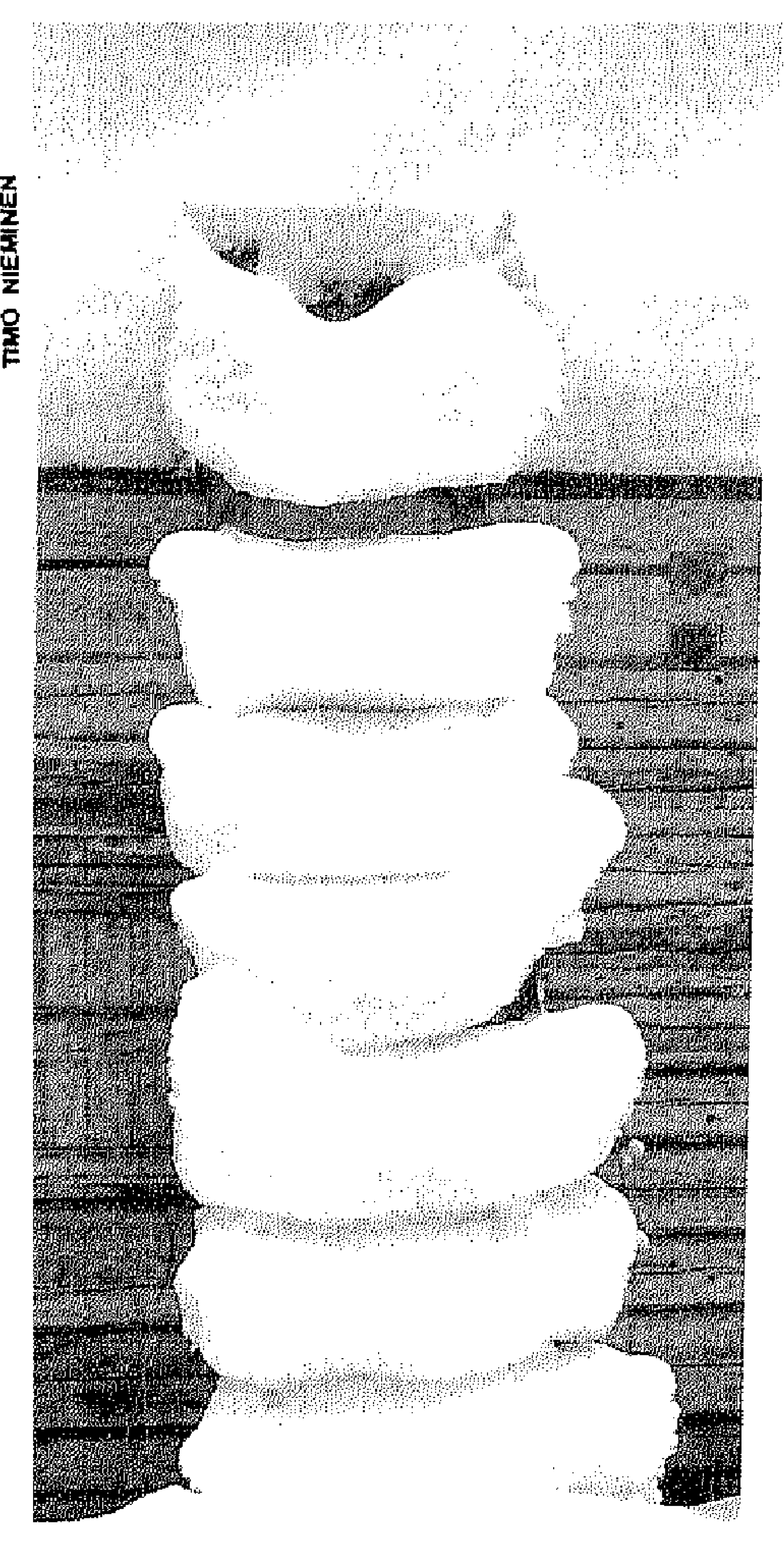


"ماما، الثلج يسقط!"

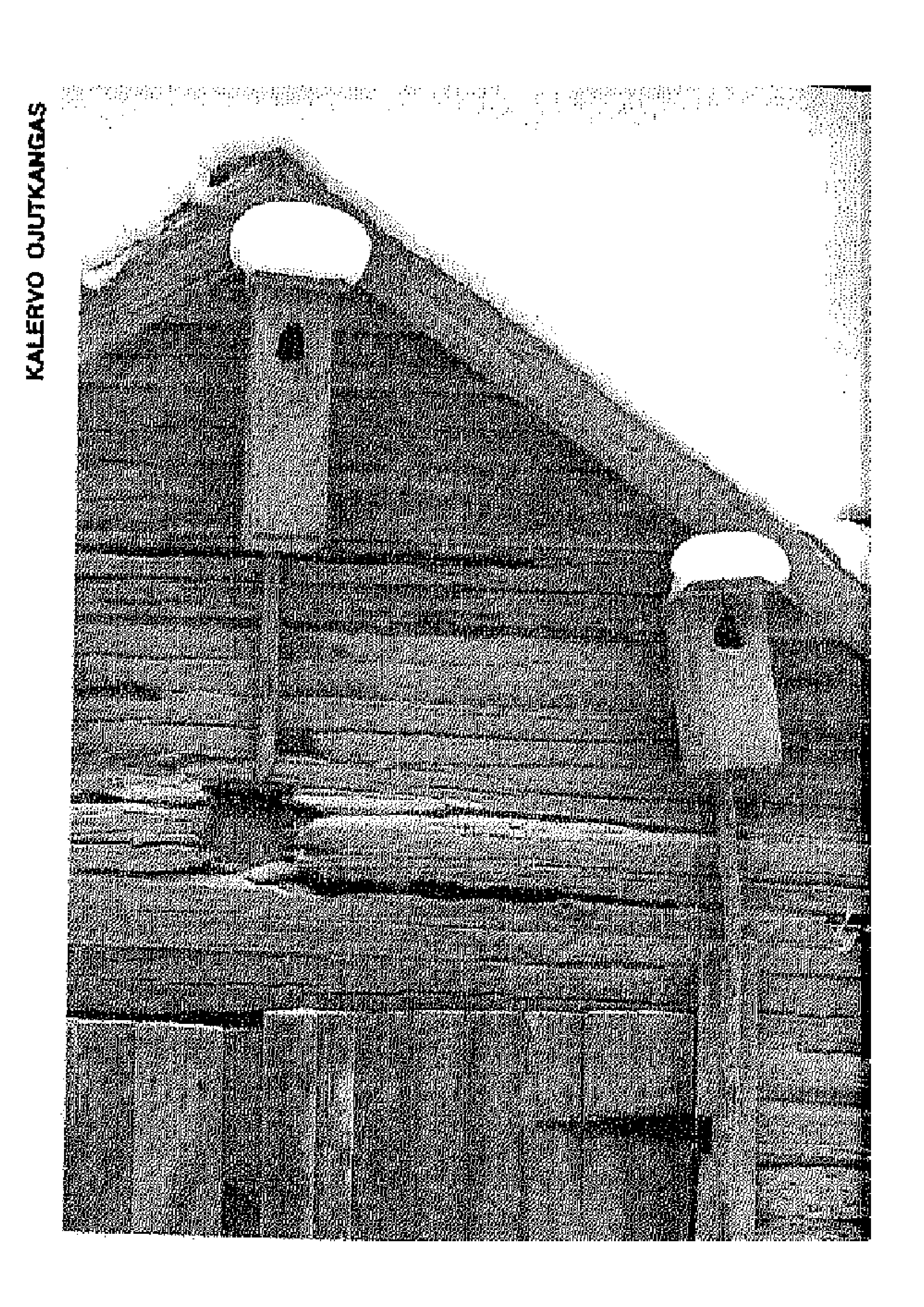
أذكر تماماً كيف كانت الثلجة الاولى من كل عام تبهج قلبي الصغير. فأهرع الى نافذة المطبخ وألصق أنفي بالزجاج وأحدق مأخوذاً برقع الثلج المتساقطة متهادية من السماء، لتذوب ما ان تلامس الارض الدافئة.

كنت أتطلّع الى الثلجة الاولى بشوق كبير، فأصنع منها دمية أو أبني قصراً. وعندما يتجمّد الثلج بفعل الصقيع فيحفظ الثلج الجديد، أحمل زلاجتيّ وأتوجه الى الغابة حيث





TIMO NIEMINEN



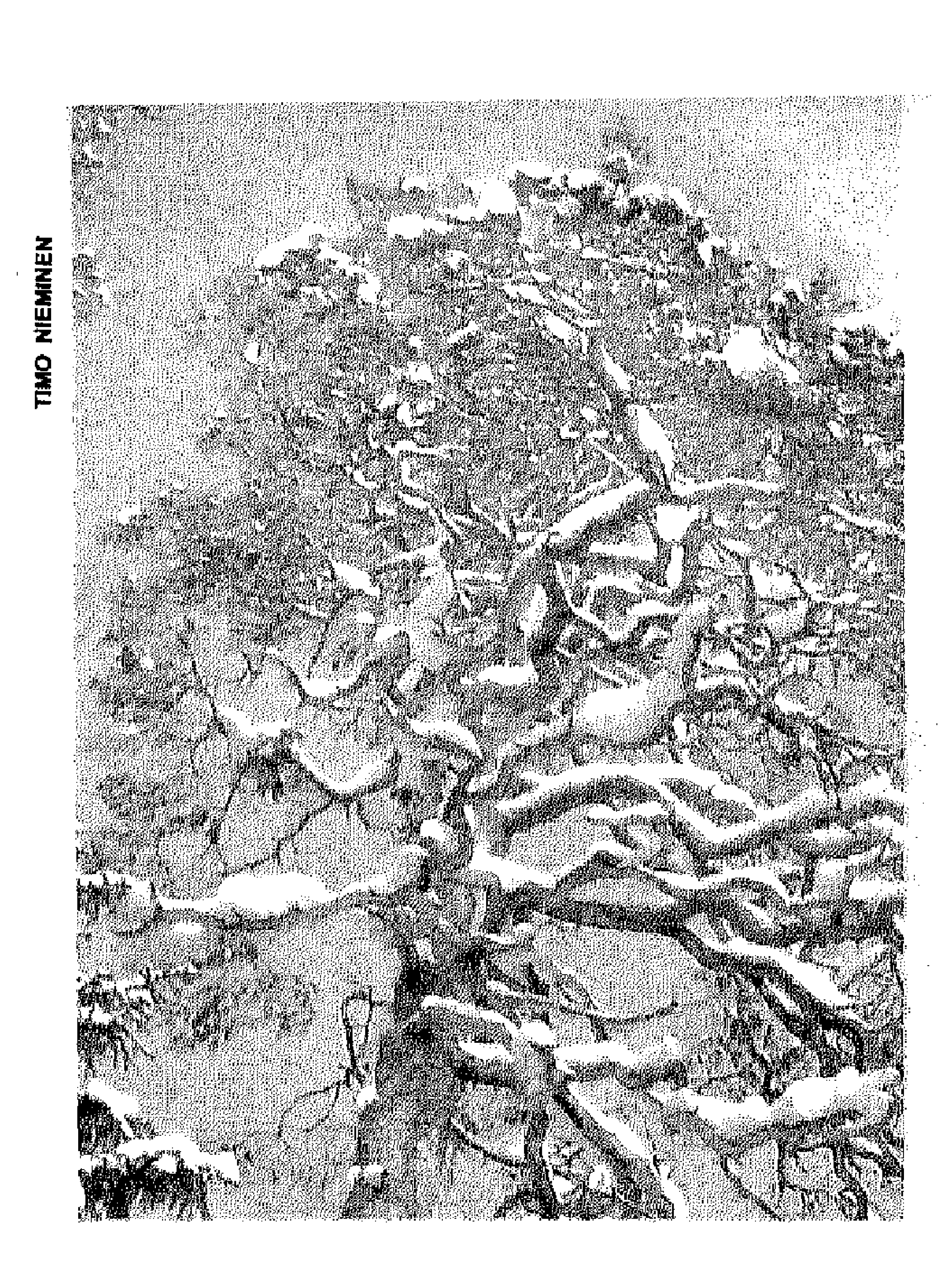
KALERVO OJUTKANGAS

أنحت خطاً على المنحدرات البيضاء كالسكّر. وأحياناً أبني منصة عالية من الثلج في حقل قرب بيتنا، أقفز من فوقها وأحلّق راسماً أقواساً رائعة في الهواء. وأخوض مع أصدقائي معارك بكرات الثلج حتى تبتلّ ملابسنا. وبعد أيام تُفتح حلبة التزحلق على الجليد.

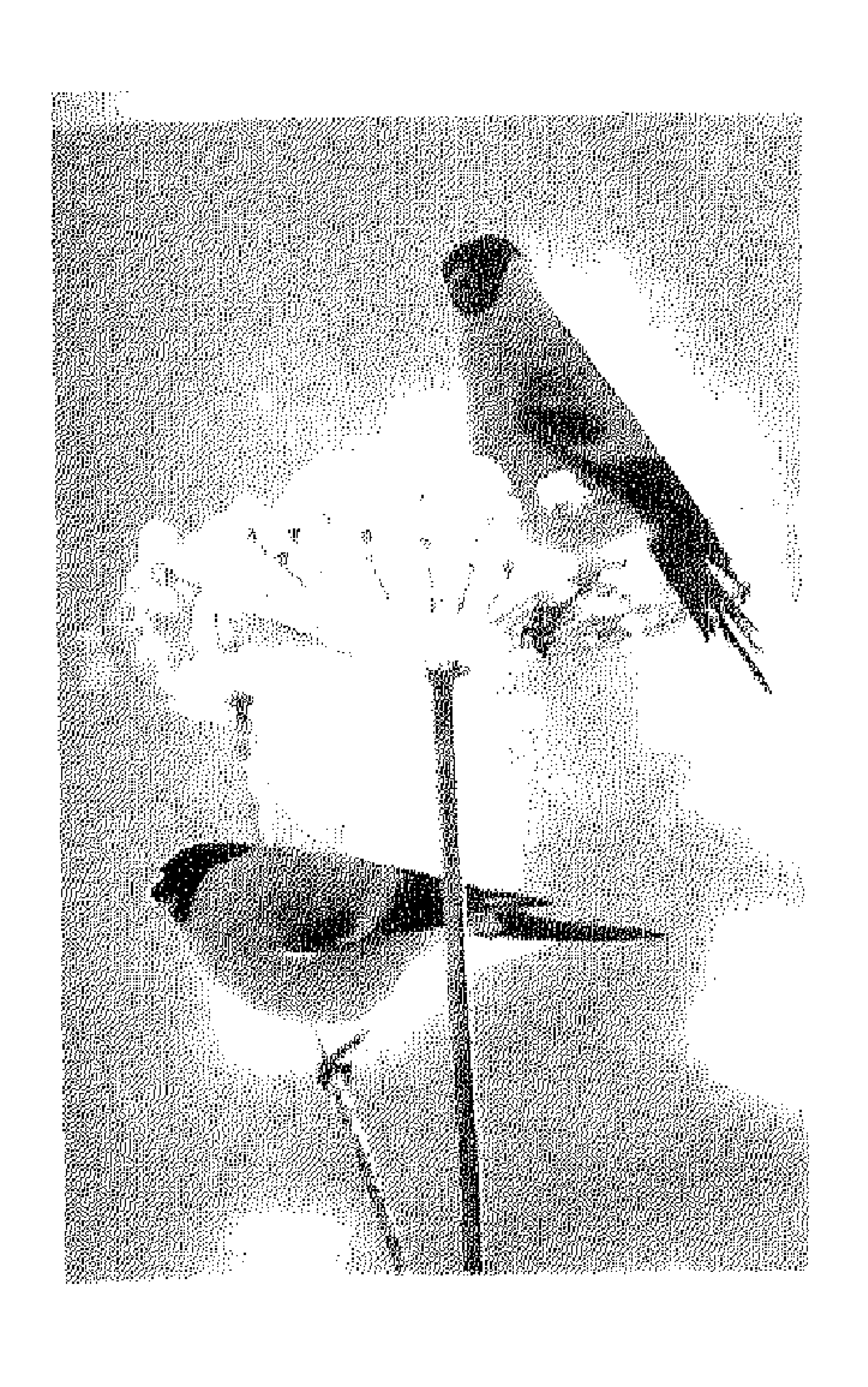
كان الشتاء بالنسبة اليّ أعياداً متعاقبة من البهجة والنشاط.

ولكم ننسى، نحن الراشدين، في خضم أعمالنا ومشاغلنا، السعادة التي يحملها الشتاء. بعد الثلجة الاولى أهرع الى الاتصال برقم هاتف مشغول دائماً، من أجل تأمين "طقم" جديد من الاطارات لسيارتي. وأنهمك في ازالة الجليد عن حاجب الريح الزجاجي، ولكن يفوتني التمتع بالثلج المتراكم الى علو متر حولي، كأنه يدعوني الى الارتماء على بياضه وصنع ما شئت من أشكال. وأراني ساهياً غافلاً عن رؤية المسحوق الابيض الجميل العالق على أغصان الاشجار. وفي عطلة نهاية الاسبوع أنصرف الى جرف الثلج بدلاً من التمتع بالتزلج.

ينبئنا الثلج بجيران صغار لا نراهم في الصيف. ففي طرف المتنزه نشاهد آثار أقدام أرنب، وعلى عتبة النافذة بصمات عصافير دوري وقرقف، ويندفع فأر حقل



TIMO NIEMINEN



راكضا عبر فناء المنزل المكسو بالابيض.

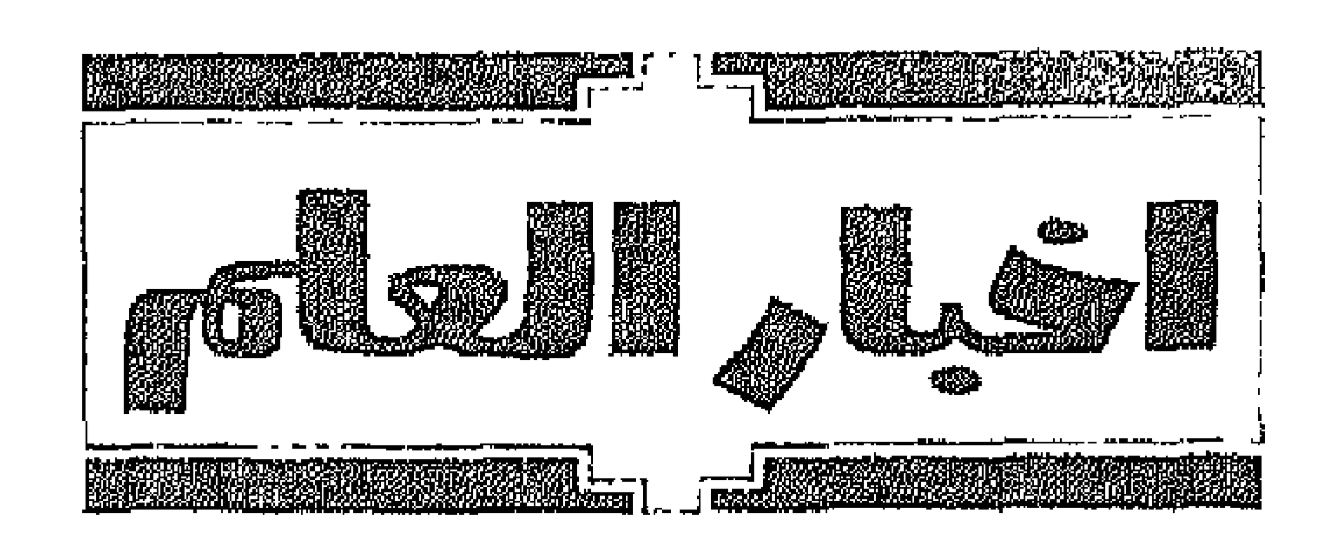
فلنتوقف قليلا ونتأمل عالمنا باعجاب، وإن بالتفاتة وجيزة حولنا ونحن نمشي، فالطبيعة عمل فني عظيم يكتسي أشكالا متباينة رائعة في الشتاء. وسائد بيضاء متألقة تتدلى من افاريز السطوح، وملاءة بلورية من جليد تغطي مداخل البحر، وغطاء ناعم ينسدل على الصخور والحجار. هذه كلها جزء من لغة الطبيعة. فالطبيعة لا تكشف لنا جمالها الأخاذ فحسب، بل كذلك جبروتها الذي لا يضاهي. فكل رقعة ثلج عالقة على رفّ نافذتنا تهمس: "أنا أيضا من صنع الخالق عز وجلّ."

الشتاء أعتم الفصول. فيه تلتفّ الارض برداء ثلجيّ كأنها تتهيأ لسبات عميق حتى مطلع الربيع. وحين تسطع شمس الظهيرة أحيانا، تغمر الارض بأشعتها البيضاء الضاربة الى الزرقة، ولا تلبث الا بضع ساعات تغيب بعدها وراء الافق، وتصطبغ السماء بحمرة المغيب المتوهجة.

كتب المؤلف الفنلندي يوهاني آهو: "أهلا بعودتك يا ظلام الشتاء المهدئ المؤنس." فاذا فتحنا قلوبنا للشتاء، فسنراه فضلا يغمرنا بسحره عاما بعد عام.

طوم لوندبرغ ■





مرحاض "ذكي"

■ لقد فعلها اليابانيون مرة اخرى! زاوجوا هذه المرة بين صناعة الالكترونيات واكثر الاجهزة المنزلية اتضاعاً: مقعد المرحاض. يقول ناوكي كاجيتا من شركة "نيبون تلغراف اند تلفون": "المرحاض هو من بين الاجهزة التي تأخر تحديثها. وسيوفر جهازنا على المريض عدة زيارات الى عيادة الطبيب."

ولهذا الاختراع اسم باليابانية بمعنى "المرحاض الذكي أول شيء في الصباح." وهو عالي التقنية ويؤمّن فحصاً صحياً مباشراً. فبعد زيارة سريعة الى الحمام في الصباح، يضغط المرء زراً ليتدفق الماء كالعادة. ولكن بدل أن يذهب البول مباشرة الى مصرف المياه، يندفع دائرياً على جوانب المرحاض السيراميك، فتتولى أجهزة تحسس الكترونية قياس معدلات السكر والبروتيين وأعداد كريات الدم الحمراء والبيضاء ومركبات الكيتون العضوية، وهذه مواد دهنية في البول قد تساعد في كشف اختلالات كالسكري والجفاف (استنزاف سوائل الجسم). وبعد خمس دقائق تظهر النتائج على شاشة خاصة. كذلك يستطيع مستخدم المرحاض قياس نبضه وضغط دمه ودرجة حرارته بمجرد ادخال اصبع في جهاز خاص مثبت في متكأ المرحاض.

لدى وصول المعلومات الى "ذاكرة" المرحاض، يمكن نقلها الى عيادة طبيب عبر قناة اتصال كمبيوترية لابلاغ أي نتائج غير طبيعية

... هذا اذا كان المرء مستعداً لدفع نحو ٧٠٠٠ دولار ثمناً لهذه الاعجوبة المقبلة.

مجلة "ديسكافر"

غواصات "صامتة"

■ تتسابق اليابان والولايات المتحدة وربما الاتحاد السوفييتي على استكمال نظام ثوري لدفع السفن والغواصات لا يتضمن أجزاء متحركة ويفترض أن يكون صامتاً ومضموناً.

في نظام الدفع الهيدروديناميَ - المغناطيسي هذا، يتعرّض ماء البحر المار عبر قطعة مغناطيس قوية جداً لقوة تدفع الماء الى الخلف فتنتج حركة معاكسة الى الامام. وهذا النظام الذي لا يستخدم محركات أو مراوح يجعل الغواصات أكثر هدوءاً من ذي قبل مما يساعدها على تفادي العدو.

يُجري مختبر أرغون الوطني في الولايات المتحدة تجارب على قطعة مغناطيس عملاقة طولها ٦،٥ أمتار ووزنها ١٨٠ طناً، ستعجّل مرور ٩٥٠٠ ليتر من الماء في الدقيقة عبر "حنجرتها" التي يبلغ قطرها ٥٠ سنتيمتراً. اما خطة اليابانيين فتلحظ انتاج سفينة طولها ٣٠ متراً تسيَّر بالطاقة الهيدروديناميَة - المغناطيسية لتقويم امكانات استخدام هذا النوع من الطاقة في السفن التجارية.

صحيفة "نيويورك تايمز"



الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغن يتذكر... وظيفته الاولى

حين كنت أواجه خيبة كانت أمي تقول لي: "لا تكره شيئا، فلعلّه خير. اذا ثابرت فلا بد من أن تلقى خيراً، وتدرك أنه لم يكن ليحدث لولا الخيبة التي واجهتها من قبل."

كانت أمي على حق، كما تبين لي بعد تخرجي في الجامعة عام ١٩٣٢. وكنت قررت السعي الى وظيفة في الاذاعة، وجل طموحي أن أترقى فأصبح معلّقا رياضيا. فتوجهت الى شيكاغو أطرق أبواب محطات الاذاعة، فوجدتها جميعها موصدة في وجهي.

وفي أحد الاستوديوهات قالت لي سيدة لطيفة ان المحطات الكبيرة لا تجازف باستخدام شاب يفتقر الى الخبرة. ونصحتني: "اترك المدينة وجدّ عملا في إحدى الاذاعات الصغيرة."

عدت الى ديكسون بولاية ايلينوي بطريقة الـ"أوتو – ستوب."* ولكن لم يكن هناك عمل لمذيعي الراديو. ثم أخبرني أبي ان مخزنا كبيراً افتتح في المدينة وفيه وظيفة لرياضي محلي يدير قسم اللوازم الرياضية. ولما كنت لاعباً في فريق كرة القدم بمدرسة ديكسون الثانوية، تقدمت بطلب للوظيفة التي رايتها مناسبة تماما لي.

لكن طلبي رفض.

ظهرت الخيبة المرّة جلية على وجهي، فذكرتني أمي: "لا تكرهوا شيئا، فلعله خير." وأعارني أبي سيارته لكي أفتش عن عمل. فقصدت محطة اذاعة في دافنبورت بولاية أيوا، لكن مدير البرامج بيتر ماك آرثر أبلغني أنه وظّف مذيعاً قبل أيام.

كنت أغلي غضبا لخيبتي لدى مغادرتي مكتبه، وتساءلت بصوت عالٍ: "كيف يتسنى لاحد أن يصبح معلّقا

(*) ايقاف السيارات العابرة وركوبها.

رياضياً وهو عاجز عن تدبر وظيفة في محطة اذاعية؟"

ووقفت أنتظر المصعد، فسمعت ماك آرثر يناديني: "ما هذا الذي ذكرته عن الرياضة؟ أتعرف شيئا عن كرة القدم؟"

ثم أوقفني أمام مذياع وطلب مني اذاعة وقائع مباراة وهمية.

كان فريقي في الخريف السابق ربح مباراة بتسجيل هدف في الثواني العشرين الاخيرة، فاندفعت أذيع وقائع تلك المباراة على مدى ١٥ دقيقة.

أخيراً قاطعني ماك آرثر قائلا إنه يريدني أن أذيع وقائع مباراة السبت التالي.

في طريقي الى البيت، كما في مرات كثيرة لاحقة، تذكرت كلمات أمي المشجعة: "اذا ثابرت فلا بد من أن تلقى خيراً، وتدرك أنه لم يكن ليحدث لولا الخيبة التي واجهتها من قبل."

ولطالما تساءلت عن الاتجاه الذي كنت سلكته في حياتي لو قُبلت في ذلك المخزن الكبير.

رونالد ريغن ■



عادة سيّئة

لابني الصغير عادة سيئة هي طرح اسئلته عن الناس في حضورهم. ولقد سببت لي اسئلة كثيراً من الاحراج. وأخيراً توصّلت الى اتفاق معه بألا يطرح عليّ اسئلة كهذه الا بعد عودتنا الى البيت.

ذكّرته باتفاقنا ونحن نهمّ بركوب حافلة. فسار كلّ شيء على ما يرام الى ان جلست قبالتنا امرأة بالغت في تبرّجها وفاحت منها رائحة عطر قوية. فلم يستطع ابني أن يشيح عنها بنظره. واخيراً سالني بصوت عالٍ: "حين نعود الى البيت سنتحدّث عن هذه المرأة، أليس كذلك يا أمي؟"

ك.ل.

سنة حلوة!

اتصلتُ بزوجة حفيدي متمنية لها عيد ميلاد سعيداً. فشكرتني، واضافت: "اعتقدت أنكِ نسيت."

قلت: "لقد زارني يوسف وهناء صباح اليوم، وهما اخبراني." فتساءلَتْ: "من؟" ويوسف ابني، وهناء زوجته.

اذذاك أدركنا، كلتانا، أن الرقم الذي طلبتُه خطأ. لكن فضولي دفعني الى سؤالها: "أهو عيد ميلادكِ ايضاً؟"

أجابت: "كان عيد ميلادي أمس." ثم اضافت: "لكنني اعتقدتُ أنك نسيتِ."

د.غ.

كتاب الشهر

ثلاثة أيام هزت العالم

بقلم لورانس اليوت
وديفيد ساتر



ثلاثة أيّام هزت العالم

تحركت الدبابات تحت المطر في اتجاه موسكو وقد أصدرت اليها أوامر بالنزول الى الشوارع لسحق الديموقراطية الروسية الطرية العود. انه يوم الاثنين في ١٩ أغسطس (آب) ١٩٩١، والعالم مسمّر يراقب الصراع المستعر للحفاظ على وحدة بلد عرف يوماً باسم الاتحاد السوفييتي.

لا شيء أبعث على الدهشة مما حدث بعد ذلك! فقد تجمّع الموسكوبيون تحت المطر عاقدين العزم على حماية الزعيم المحاصر بوريس يلتسين، وحماية الحرية، بأرواحهم اذا لزم الامر.

وعلى امتداد اثنتين وسبعين ساعة لاحقة، أمّن مواطنون عُزّل حراسة الحواجز والمتاريس متحدّين قوة عسكرية طاغية ورعباً زرعته في قلوبهم ٧٤ سنة من القمع. من هؤلاء:

• إليا كرينتشفسكي، مهندس معماري شاب رفض قبل زمن اخضاع مهاراته لرغبات الدولة، وها هو يتحدى وجهها القاسي.

• الرائد سيرغي يفدوكيموف، قائد وحدة دبابات لم يتردد من قبل في تنفيذ أوامر رؤسائه، الى أن أرسل لاخضاع مواطنيه.

• ايما بروك، طبيبة قلب كانت تخشى انتقاد النظام القديم وها هي تختار البقاء في دائرة الخطر.

• يوري ايفانوف، موظف في البرلمان الروسي سُلِّم بندقية رشاشة وأُمر بالدفاع عن الموسيقي الاعظم في الاتحاد السوفييتي وإن اقتضى الامر التضحية بحياته.

هنا قصتهم المثيرة.

الاحد، ١٨ أغسطس (آب)، الرابعة بعد الظهر.

كان ميخائيل غورباتشيف رئيس الاتحاد السوفييتي، يمضي اجازته في دارته الريفية في شبه جزيرة القرم على بعد حوالى ١٥٠٠ كيلومتر جنوباً من موسكو. وكانت شعبيته في تدهور وزعامته موضع شك. وهو كان، بعد ظهر ذلك اليوم، يعد خطابا لمناسبة توقيع معاهدة اتحاد جديدة مع الجمهوريات التي اختارت الانفصال، وهي معاهدة تقلّص أكثر سلطة الحكومة المركزية.

في الرابعة والنصف اتصل غورباتشيف بأحد مساعديه الذي كان يمضي اجازته في منزل قريب. فتحدثا باختصار عن الخطاب، وأكد غورباتشيف نيَّته العودة الى موسكو في اليوم التالي، ثم انصرف الى عمله.

في الخامسة الا عشر دقائق دخل عليه قائد حرسه معلناً: "ان مجموعة من الشخصيات المهمة تطلب مقابلتك."

فرد غورباتشيف: "أنني لا أنتظر أحداً، فلماذا سمح لهم بالدخول؟"

أجاب رئيس الحرس: "لان يوري بليخانوف معهم." وهذا قائد المديرية التاسعة في جهاز الاستخبارات السوفييتي "ك.ج.ب." وهو مكلف حماية كل الزعماء الحكوميين، مما يعني أن وحدة الحراسة في دارة الرئيس هي بإمرته.

انتاب غورباتشيف قلق. فرفع سماعة هاتف ليجد الخط مقطوعاً. كان في مكتبه أربعة خطوط هاتفية وخط داخلي. جربها كلها فوجدها مقطوعة.

أدرك غورباتشيف للحال سبب مجيء هؤلاء الرجال. فتوجه الى غرفة أخرى ودعا عائلته – زوجته رايسا وابنته ارينا وصهره أناتولي – وأخبرهم بأمر الضيوف الذين أتوا من غير دعوة وخطوط الهاتف المقطوعة. كان الوضع خطيراً، فقد يحاول هؤلاء الرجال اعتقاله أو ابتزازه لتغيير خطه السياسي. لكنه أعلن أنه لن يستسلم لضغوط "وإن حدث أسوأ ما نخشاه."

ذهل أفراد العائلة، الا أنهم لم يترددوا في اعلان دعمهم للرئيس وعزمهم على الوقوف بجانبه حتى النهاية.

وحين عاد غورباتشيف الى مكتبه وجد الرجال الخمسة الآتين من موسكو قد وصلوا اليه. وهاله ان يرى فاليري بولدين بينهم، وهو مدير جهاز مكتبه الخاص وصديق العائلة منذ ١٥ سنة، فسألهم: "من أرسلكم الى هنا؟"

أجاب أحدهم: "لجنة الطوارىء."

قال غورباتشيف: "أنا لم أشكل لجنة طوارىء، ولا مجلس السوفييت الاعلى فعل."

فكان رد المجموعة الالحاح عليه ليوقع مرسوما يعلن حال طوارىء، فالبلاد في أزمة والحل الوحيد لتهدئتها هو اعادة النظام الى مسار الحياة اليومية. وطمأنه أحدهم:

"سوف نتولى نحن الجزء القذر من المهمة."

ضحك غورباتشيف بمرارة، فهو يعرف كل شيء عن النظام الذي يعنونه وعن ملايين الضحايا التي خلّفها. فواجههم قائلا: "أنتم، ومن أرسلكم، مغامرون متهورون. واذا شئتم أن تهلكوا أنفسكم فذلك شأنكم. يمكنكم الذهاب الى جهنم ان شئتم، ولكن انظروا أمامكم: غداً تعلنون حال طوارىء، وماذا بعد ذلك؟ سوف ترفضكم الأمة."

لكنهم لم يتزحزحوا. وطلبوا من غورباتشيف، اذا أصرّ على رفض توقيع المرسوم، أن يستقيل ويسلم السلطة الى نائبه جينادي ياناييف.

قال لهم غورباتشيف: "لن تعيشوا طويلا، اذهبوا واخبروا لجنتكم أنني قلت هذا." ثم أدار لهم ظهره. وبعد دقائق سمع هدير سياراتهم وهي تغادر الدارة. كان وعائلته في أمان... حتى الآن.

وذهبت مع الوفد حقيبة غورباتشيف التي تحوي رموز اطلاق الصواريخ النووية السوفييتية، كما عُزل هو عن العالم. فقد قطعت وحدات عسكرية الطريق الى دارته، وسدّت طرّادات كل الممرات البحرية المؤدية الى المجمّع القائم على مساحة ٦٠ ألف متر مربع، ووضعت الطوافة الخاصة والطائرة الرئاسية من طراز Tu-134 تحت حراسة مشددة في المطار.

اختار كل أعضاء وحدة الحرس الشخصي البالغ عددهم ٣٢ البقاء للدفاع عن الرئيس. جال بعضهم في غرف المنزل محاولين تشغيل أجهزة التلفاز، فطالعتهم شاشات بيضاء فارغة، اذ قطعت أسلاك الهوائيات. وأمضى بعضهم الليل في محاولة تشغيل جهاز راديو قديم يعمل على الموجة القصيرة.

وفيما العائلة تتناول فطوراً كئيباً صباح الاثنين، أدخل أحد رجال الحرس جهاز الراديو الى غرفة الطعام ووصله بالتيار الكهربائي، فتحلق الجميع يستمعون الى همهمة الجهاز القديم وفرقعاته وهو يحمى. ثم سمعوا اذاعة غربية تبث بالروسية: "تفيد نشرة الوكالة السوفييتية للانباء (تاس) أن الرئيس ميخائيل غورباتشيف لم يعد قادراً على ممارسة مهماته الرئاسية بسبب مرضه. وقد انتقلت سلطاته الى لجنة الطوارىء الحكومية التي يرئسها جينادي ياناييف."

أفاق إليا كريتشفسكي في التاسعة والنصف من صباح الاثنين. وهو مهندس معماري في الثامنة والعشرين من عمره، اعتزم مذ ترك عمله قبل سنة أن ينام متأخراً ويستيقظ متأخراً. كان والداه غادرا باكرا الى عمليهما، أما شقيقته وصهره اللذان يشاركانهم في الشقة الصغيرة في موسكو، فكانا في اجازة. ارتدى إليا ثيابه وأعد قهوة وجلس يشربها.

كانت حياته انتكست بعد عودته من أداء خدمته العسكرية في العام ١٩٨٨، فلم يعد يجد رضى وقناعة في العمل على مخططات تحددها تعليمات بيروقراطية وتقيدها، وهي غالبا مخططات لمبان لن تشاد أبداً.

ترك إليا عمله لهذه الاسباب. ومع أنه جرب أعمالا عدة فهو لم يشعر الا أخيراً بأنه يستعيد السيطرة على حياته، اذ شرع في بناء بيت صغير على قطعة أرض مشجرة يملكها والده في الريف.

عمل إليا في بناء البيت وحيداً طوال فصلي الشتاء والربيع، قانعاً بأن يراه يتشكل بين يديه ولا أحد من أجهزة الدولة يحصي عليه أنفاسه. وبدأت تحدوه آمال بمستقبل زاهر في بناء بيوت ريفية مماثلة.

في العاشرة صباحاً اتصل إليا بصديقه سيرغي غولوكولنكو الذي سأله هل سمع الاخبار.

فاستفهم إليا: "أي أخبار؟"

– عن غورباتشيف. لقد أطيح.

ضحك إليا معلقاً: "نكتة جيدة! ومن تسلم السلطة؟ ستالين ثانية؟"

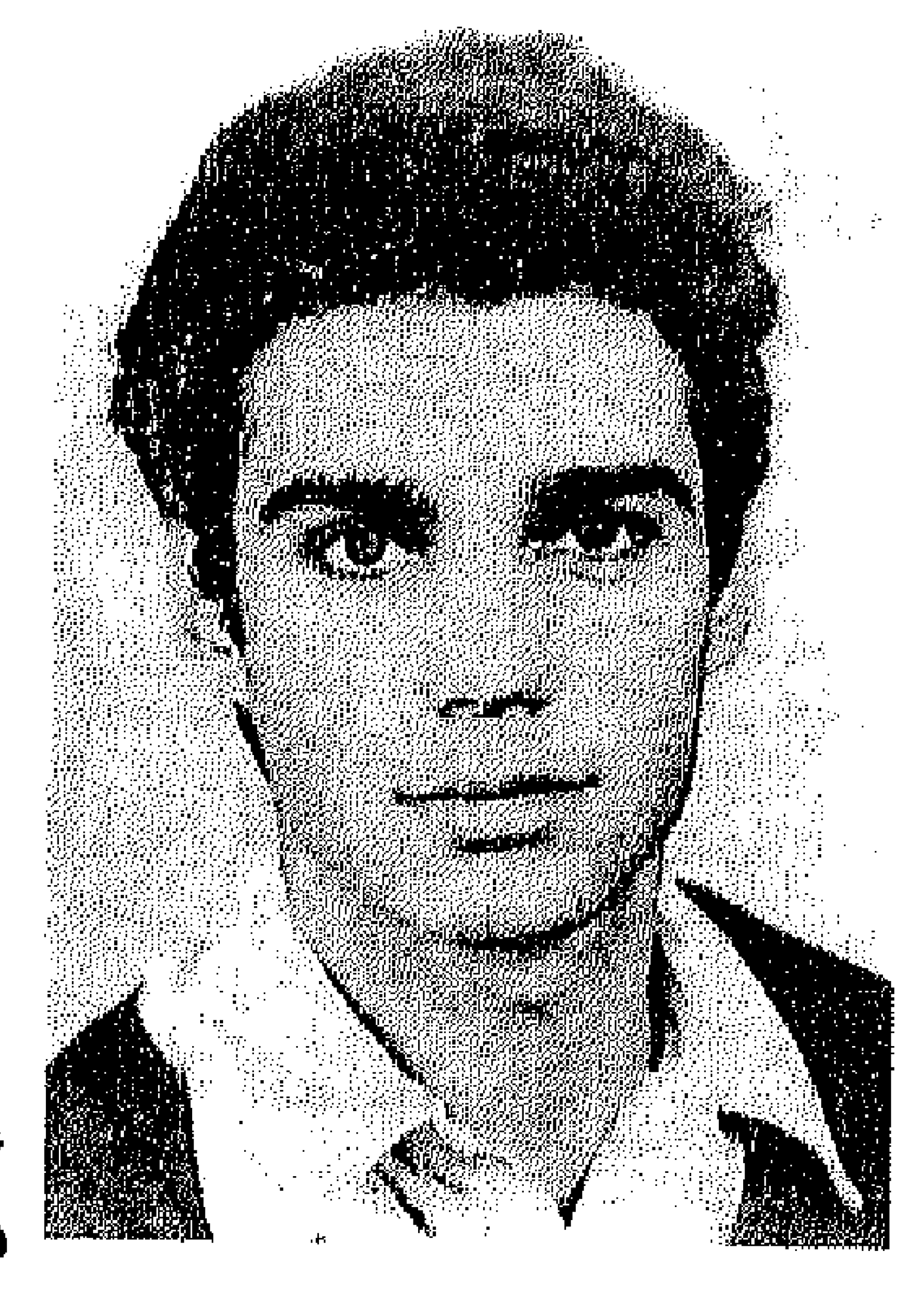
– اسمع، هذه ليست مزحة. غورباتشيف هو الآن خارج السلطة، وقد استولى الجيش والـ"ك.ج.ب." على الحكم.

فصمت إليا، ثم قال بصوت مرتعش: "كنت أظن أننا انتهينا من هذه التصرفات. ماذا يريدون منا؟"

– يقولون ان غورباتشيف مريض. وقد أعلنوا حال طوارىء في البلاد.

صمت إليا ثانية ثم قال لصديقه: "لا يمكن السماح بأمر كهذا. على الشعب أن يقول كلمته. عليه أن يقول لا."

كان عدد من مستشاري غورباتشيف وبعض الزعماء الغربيين، حذروه من محاولة انقلابية تقودها مجموعة من المتشددين الذين تكمن قوتهم في الحزب وفي الـ"ك.ج.ب." وفي البنية الصناعية – العسكرية الهائلة. وكانت الاصلاحات الاقتصادية خلال السنوات الست الاخيرة تأكلت سلطة هؤلاء، فصار الناس فجأة أحراراً في انتقادهم. كما عمد



إليا كريتشفسكي
مهندس معماري.

بوريس يلتسين، رئيس جمهورية روسيا الاتحادية، الى حظر الحزب الشيوعي في المصانع والمكاتب الروسية. وفيما تهاوى الاقتصاد المتعثر الذي خُطط على مبدأ المركزية القوية، خزن المزارعون الحبوب آملين ارتفاع الاسعار، وانخفض الانتاج الصناعي، وطبعت الدولة مليارات من الروبلات لتغطية العجز المتعاظم في الموازنة.

وفيما أكدت ليتوانيا وجمهوريات أخرى عزمها على الانفصال عن سلطة الكرملين، كشف فلاديمير كريوتشكوف، رئيس الـ"ك.ج.ب." مخاوف الجناح المحافظ في الدولة، في خطاب متلفز أثار قشعريرة، قال فيه: "اننا نواجه خطر تفكك الاتحاد السوفييتي." وأضاف بصرامة: "سوف تستخدم قوات الامن كل الوسائل المتاحة لمواجهة الموجة المعادية للشيوعية."

في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠ أجبر المتشددون غورباتشيف على التخلي عن برنامج اصلاح اقتصادي مدته ٥٠٠ يوم. فعيَّن بعد شهرين واحداً منهم هو البيروقراطي المحترف جينادي ياناييف نائبا لرئيس الجمهورية.

لم يكف ذلك لتهدئة المتشددين، فأمروا في يناير (كانون الثاني) ١٩٩١ بهجوم بالدبابات على جمهرة من المدنيين الليتوانيين العزل كانوا يحرسون مبنى محطة التلفزيون في العاصمة فيلنيوس، فقتل ١٣ مدنيا.

لكن خشية الاحتمالات التي تضمنتها معاهدة الاتحاد الجديدة هي التي حركت الانقلابيين. فهي تقضي، اذا ما وُقِّعت، بنقل السلطات الضريبية والسيطرة على الموارد الطبيعية وشؤون الامن الداخلي الى الجمهوريات المختلفة، مما يعني تقويض السلطة المطلقة لموسكو، كما يعني الغاء الامتيازات الخاصة.

خلال ذلك الصيف، قرر البعض داخل مجموعة المتشددين ألا يدعوا ذلك يحصل.

الانقلاب

الاحد ١٨ أغسطس (آب)، الثامنة مساء.

اجتمع المتآمرون مرتين خلال عطلة نهاية الاسبوع ليضعوا الخطوط الاولية لعملية الاستيلاء على السلطة. كان تعاون غورباتشيف، أو اذعانه على الاقل، شأناً حيوياً في خطتهم. فهم يحتاجون اليه لتوقيع مرسوم الطوارىء.

ثم وصلت الاخبار المقلقة عن رفض غورباتشيف كلا الامرين. فاجتمع المتآمرون المذهولون في أحد مكاتب الكرملين يتلمسون طريقة للتراجع. فأخبرهم بولدين أن أوان ذلك قد فات. فهم جعلوا من غورباتشيف سجينا، وهو يعرفهم كلهم، وسوف يواجهون السجن أو ما هو أسوأ.

مضى الليل ولم ينقطع سيل القهوة. وتنامت جرأة المتآمرين بتأثير من

كريوتشكوف، فطلعوا أخيراً بخطة جديدة: سوف يعلنون للامة أن الرئيس غورباتشيف يعاني مرضا خطيراً وأن لجنة الطوارىء الحكومية ستنقذ البلاد من الاخطار المحدقة بها. ومن سخرية القدر أن يكون كل عضو في تلك اللجنة ارتقى الى منصبه على يد غورباتشيف واعتبر زميلا مقربا من الرئيس أو صديقا شخصيا له.

سُمّي نائب الرئيس ياناييف رئيسا بالوكالة. وصيغت قرارات وكتبت، ومنها حظر الاحزاب السياسية ومنع التظاهر، على أن تتلى عبر شبكة الاذاعة الحكومية.

عمل المتآمرون حتى منتصف الليل في إعداد أوامر للوحدات العسكرية وتحديد الصحف المنوي اغلاقها وتعيين الاشخاص الذين سيُحتجزون. كما أصدروا أمراً بتوريد ٢٥٠ ألف قيد (صفد) من مصنع في بسكوف و٣٠٠ ألف أمر اعتقال غفل.

لكنهم ارتكبوا في استعجالهم عدداً من الاخطاء الجسيمة، أفدحها اخفاقهم في تحييد الرجل الذي أصبح خصمهم الرئيسي.

مع بزوغ شمس الاثنين أوقظ بوريس يلتسين من نومه في دارته الريفية في غابة من شجر البتولا على مسافة حوالى ١٩ كيلومتراً من موسكو، وأبلغ نبأ الانقلاب. ويلتسين رجل ضخم الجثة وصاحب شخصية غريبة الاطوار، وصل الى مركزه رئيسا لكبرى جمهوريات الاتحاد السوفييتي بانتخابات حرة، خلافا لغورباتشيف وزعماء الكرملين الآخرين. كان له ما افتقده هؤلاء: علاقة مباشرة مع الشعب.

وثق الناس بيلتسين، ليس بالضرورة لانه يمثل الحركة الديموقراطية - التي كان معظم الروس لا يفهمونها جيداً - وانما لانه قطع صلاته بالكرملين. كان غورباتشيف يتكلم دائما ويشرح، أما يلتسين فكان يفعل.

ارتدى يلتسين ثيابه بسرعة واستدعى الاعضاء الرئيسيين في حكومة روسيا الى دارته. كان الغضب رد فعله الاول على الانباء، والمقاومة قراره الغريزي. بدأ رجاله يصلون في السادسة صباحاً، وباشروا اعداد نداء الى مواطني روسيا لمواجهة الانقلاب. دعا النداء الى اضراب عام وطالب بالسماح لغورباتشيف بالظهور أمام الشعب.

وافق يلتسين سريعا على صيغة النداء، وتحول الاهتمام الى سؤال حاسم: هل تبقى المجموعة حيث هي أم تحاول الوصول الى مبنى البرلمان الروسي في وسط موسكو؟ كان عدد حراس يلتسين الشخصيين لا يتجاوز الستة، والعودة الى موسكو تعني اجتياز حواجز المظليين والدبابات التي بدأت تسيِّر دوريات في موسكو.

كان الموقف حرجا والقرار خيارا بين الاستكانة وتصعيد حرب حقيقية على الانقلابيين.

تطلع يلتسين الى مساعديه وقال: "سوف نذهب."

فوزعت نسخ من النداء على مجموعة من المناصرين توجهوا الى موسكو عبر طرق مختلفة. وارتدى يلتسين سترته الواقية من الرصاص وودع زوجته وابنته. فقالت له هذه: "كل شيء يتوقف عليك الآن يا أبي."

في موسكو، كان بعض الانقلابيين بدأ يدرك جسامة الخطأ في عدم تحييد يلتسين، فأُصدر أمر باعتقاله وهرعت وحدات من الـ"ك.ج.ب." جنوباً. وفي نقطة ما على الطريق مر موكب يلتسين في محاذاة سيارات الـ"ك.ج.ب."، كل في اتجاه، ووصل هؤلاء الى دارته متأخرين ١٥ دقيقة.

اجتازت سيارة يلتسين والسيارات المواكبة خطوطاً من الآليات المدرعة. وبعيد العاشرة صباحاً دخل الزعماء الروس مبنى البرلمان. وكانت خطوة يلتسين الاولى الدعوة الى مؤتمر صحافي، اذ أدرك أن عليه تجنيد وسائل الاعلام لايصال الحقيقة الى الشعب.

متاريس وحواجز

ايما بروك طبيبة قلب في الخمسين من عمرها تقيم في جوار مبنى سفارة الولايات المتحدة في موسكو. وكانت منذ فترة تستيقظ باكراً على أصوات الحفارات ومطارق العمال وهم يصلحون الدمار الذي ألحقه حريق بالمبنى. لكن صمتاً تاماً أطبق هذا الصباح.

ثم أذيع البيان المقتضب على شاشة التلفاز: لقد قادت اصلاحات غورباتشيف الاتحاد السوفييتي الى كارثة قومية. ان أخطاراً مميتة معلقة كالسيف المسلط فوق الوطن الام، وقد انتقلت كل السلطات الى لجنة طوارىء من ثمانية أعضاء.

كانت ايما تشاهد التلفاز وقد شلّتها الصدمة. هل يمكن أن تعود بلادها الى الوراء، الى ما قبل البريسترويكا،[1] حين كانت تمضي الليالي في غرفتها تقرأ النشرات المحظورة ويرعبها أي صوت خشية أن تكون الشرطة في الطريق لاعتقالها؟

كانت إيما على صلة بأوساط المنشقين، لكنها لم تمارس هي نفسها أي نشاط. فقد خافت على ابنتها بعد وفاة زوجها في العام ١٩٧٥، فمن سيعنى بالطفلة إن هي أرسلت الى معسكرات العمل؟ ثم تزوجت ثانية، ولزوجها الثاني ابن وابنة يضيفان الى خشيتها خشية.

كان عهد غورباتشيف يمثل لها ولعائلتها ثورة فاشلة، فقد تسارع انهيار الاقتصاد، واستشرى الفساد، وظلت أقسام في المستشفيات مغلقة الا على نخبة نافذة. غير أن

(١) البريسترويكا هي سياسة الاصلاح التي اعتمدها الرئيس السوفييتي غورباتشيف.

إيما رأت معجزة في اطلاق سجناء سياسيين وتحرير أجهزة الاعلام من قبضة الرقابة الحكومية. كانت تسرع في السادسة من صباح كل أربعاء لشراء صحيفة "موسكو نيوز" التي دأبت على كشف الفساد المتفشي في أوساط علية القوم، والامتيازات التي يتمتعون بها، وعلى فضح زيف التاريخ المدوّن. وفي المساء كانت إيما تشاهد أشرطة تلفزيونية وثائقية تعالج قضايا المجتمع بصدق وصراحة. أخيراً بات في امكان الناس أن يفصحوا عن مشاعرهم في الاتحاد السوفييتي.

أما الآن...

خرجت إيما ذلك الصباح لتفعل ما يفعله الروس عادة عندما تواجههم ضائقة: يسرع من أودع مالا في مصرف الى سحب ماله قبل أن يجمّد حسابه، فيما يصطف آخرون في طوابير لشراء ما توافر من مؤن في المخازن قبل نفادها.

ساد جو من الجنون سوق البقالة حيث تتبضع إيما عادة. وكان الرجال والنساء يتدافعون بالمناكب للحصول على مكان في الطابور.

شقت إيما طريقها وسط الجمهرة وأخذت مكاناً في صف لشراء الزبدة. كانت مناقشات جارية حولها. قالت امرأة: "أخيراً سيستتب النظام."

فردت إيما وقد أعماها الغضب: "عن أي نظام تتحدثين؟ أن تكوني خلف أسلاك شائكة وغذاؤك طاسة حساء يومياً؟ هذا ما سيكونه النظام الذي تطلبين." ثم تذكرت كم كان خطراً التفوه بعبارات معادية للنظام في أماكن عامة. وأحست بالخوف يتصاعد داخلها فصمتت.

عادت إيما الى غرفتها ووقفت الى الشرفة تنظر ناحية مبنى البرلمان وتراقب الناس يتجمعون حوله. كان رجال ونساء يحملون قطعاً من الخشب وأنابيب معدنية وحجاراً. فأدركت ما ينوون: كانوا يقيمون متاريس وحواجز.

لم يسمع على الراديو صباح ذلك الاثنين الا موسيقى كئيبة، فيما عرضت محطة التلفزيون الخاضعة لامرة الكرملين باليه "بحيرة البجع" مرة تلو أخرى.

لقد وقع المستحيل والمحتوم في آن: شلّت ست سنوات من البريسترويكا مؤسسات نظام تسلّطي من دون أن تقدم بديلاً. وفقدت الشيوعية صدقيتها، لكنها لم تمت. وها هم أرباب الحزب والمؤسسة العسكرية والـ"ك.ج.ب." المعرضون لخسارة كل شيء، يردون الضربة.

تحرك ضباط الـ"ك.ج.ب." الى المطابع في أنحاء المدينة وأوقفوا طبع الصحف. وأُصدرت تعليمات لمحطة تلفزيون روسيا المستقلة بالتوقف عن البث، كذلك "اذاعة روسيا" ومحطة "صدى موسكو" المحلية. وفي ردة الى أيام "الحرب الباردة،" حوّل

الموسكوبيون أجهزة الراديو لاستقبال محطات "اذاعة الحرية" والاذاعة البريطانية «BBC» و"صوت أمريكا."

رابطت الدبابات في هذه الاثناء حول محطة التلفزيون المركزية ومباني وكالات الانباء، فيما هدرت الآليات العسكرية في المدينة تهز النوافذ والابنية.

الى "البيت الابيض"

استيقظ يوري كرياكين ذلك الصباح على صوت زوجته: "يوري، لا تقلق، ولكن..." فمد يده غريزياً نحو حبوب الدواء. لقد عانى ثلاث نوبات قلبية خلال سنة، واذ سمع كلمات زوجته ظن أن والدته العجوز توفيت. ولم يلبث أن شعر بارتياح، رافقه شعور بالذنب، عندما أكملت زوجته كلامها وأخبرته أن الجيش اعتقل غورباتشيف واستولى على السلطة.

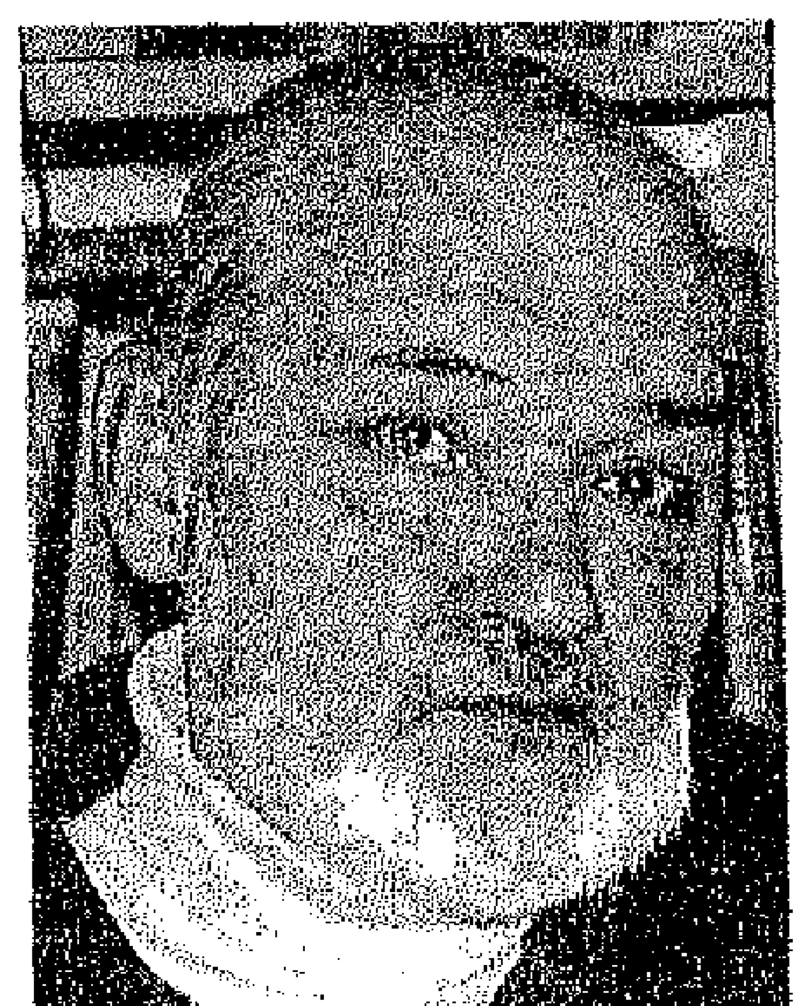
لكن ارتياحه لم يدم سوى لحظات. كان يوري كرياكين ناقداً أدبياً ونائباً في البرلمان السوفييتي وأحد المقربين من يلتسين. وهو تحدى الشيوعية منذ عهد بريجنيف. وأوقعه دفاعه عن الروائي ألكسندر سولجنتسين في الستينات في مشاكل مع السلطة. كما تضمن خطابه الاول بعد انتخابه عضواً في البرلمان اقتراحاً "وقحاً" بدفن جثمان لينين المعروض في ضريح فخم في الساحة الحمراء منذ ١٩٢٤.

جلس كرياكين برهة يقاوم شعوراً باليأس ويخطط لخطواته التالية في مواجهة هذا الانهيار المفاجىء للديموقراطية الفتية التي غامر من أجلها بكل شيء.

بدأ بيومياته، أغلى ممتلكاته. فأرسل في طلب ابن شقيقه، وسلّم الشاب المذهول توثيق أربعين عاماً من حياته، اذ كان متأكداً من أنه سيعتقل قريباً.

ناداه البستاني العامل في حديقة منزله: "يوري فيدوروفيتش! الفاشية لن تنتصر، قل لهم ذلك!" فأحس كرياكين بطمأنينة اذ تذكر أن أحداً لم يجرؤ على التفوه بكلمة عندما أطيح خروتشيف.

كان مطر خفيف ينهمر فيغسل الواجهات الهرمة ويملأ الحفر في الشوارع. وحين وصل كرياكين الى مبنى البرلمان أشار اليه حاجز بالتوقف. فأبرز بطاقة عضويته في البرلمان السوفييتي، فلم يفده ذلك. عندئذ أبرز بطاقة عضويته في مجلس يلتسين الرئاسي. فقال



يوري كرياكين
ناقد أدبي ونائب في البرلمان السوفييتي.

له الحارس: "لماذا لم تقل هذا منذ البداية؟" وسمح له بالمرور.

مقر برلمان روسيا الاتحادية مبنى ضخم من الرخام الابيض شاعت تسميته "البيت الابيض على ضفة نهر موسكو" رمزاً للديموقراطية الروسية المتبرعمة. وعندما ارتقى كرياكين السلم الى سطيحة المبنى، كان الناس بدأوا يتجمعون هناك طالبين أخباراً جديدة وباحثين في وجوه القادمين.

عرفه أحدهم فهتف: "ماذا يحدث؟"

فصرخ كرياكين مجيباً: "لن ينجوا بفعلتهم!"

هلل له بعض الموجودين. ودخل هو المبنى من دون أن يعترضه أحد. كان جو من الضياع يسود الداخل، والناس يهرعون عبر الممرات. وخطر ببال كرياكين أن مجموعة منظمة من الرجال يمكنها السيطرة على المبنى، وطمأن نفسه بأن يلتسين حي ويتابع عمله في مكتبه في الطبقة الخامسة.

انتبه كرياكين الى أنه نسي دواءه، فقفل الى المنزل، لكنه عرّج في الطريق على مكاتب صحيفة "موسكو نيوز." كانت السلطات أغلقت مطابع الصحيفة لكنها لم تصادر الآلات الناسخة. وكان جهاز الصحيفة يعمل على استنساخ منشورات تندد بالانقلاب وبمن وراءه. وكان من الضروري ايصال النسخ الى الناس في الشوارع واعادة نسخها وتعليقها على الجدران وتوزيعها على وكالات الانباء الاجنبية في المدينة، فانضم كرياكين الى العمل في الصحيفة بدلا من الذهاب الى بيته. وهو عاد لاحقاً الى "البيت الابيض" من دون دواء.

كان الجمهور خارج المبنى غفيراً على رغم رداءة الطقس. وقد عمد أحدهم الى ضبط الامن، فأقيم طوق من الرجال سد المدخل. وعرّف كرياكين عن نفسه كأحد مؤيدي يلتسين فسمح له بالدخول.

"ألست خائفاً؟"

انطلق ألس أداموفيتش، وهو روائي من جمهورية بيلوروسيا (روسيا البيضاء) وعضو في البرلمان السوفييتي، في اتجاه ساحة مانيزه تحت جدار الكرملين. والساحة ملتقى الموسكوبيين في الافراح والاتراح والشدائد. كانت الجماهير في هذا الوقت – قرابة ظهر الاثنين – تتجمع في الساحة تحت المطر. وكان حشد في زاوية هناك يطلق هتافات تشجيعاً لسائق رافعة حرك آليته الكبيرة جيئة وذهابا عبر تقاطع الطرق مناوراً بمهارة لوقف تقدم طابور من الآليات العسكرية.

تدفق الى موسكو نحو ١٠ آلاف جندي ومئات من الدبابات وناقلات الجند المدرعة. أقام بعضهم مواقع على الجسور والطرق الرئيسية حول المدينة وفي وسطها، فيما

تحرك آخرون الى مركزي تجمّع في الشمال جاهزين لضرب أي مقاومة.

ذعر الناس أول الأمر. لكن هؤلاء الجنود، خلافاً لتصرف جيش متوجه الى معركة، كانوا يلوحون للمارة. وكانت مدافع بعض الدبابات مغطاة بمشمعات، وكان كثير من الناقلات خالياً من مدافع رشاشة. وحين توقف الجنود لأخذ مواقعهم لم يترددوا في الاختلاط بالناس، حتى انهم كانوا يساعدون الصغار التائقين الى تسلق المدرعات.

وتحلقت جماعات في الساحة حول خطباء ندد معظمهم بالانقلاب. لكن خطيباً من المتشددين قال إن الانقلاب كان يجب أن يحصل قبل زمن طويل مضيفاً: "يجدر بهؤلاء الديموقراطيين أن يشدوا رحالهم ويتوجهوا الى المطار ما دام مفتوحاً."

فردّت الجموع بصراخ هازىء، فأسرع الرجل في الاختفاء.

انتشر مؤيدو يلتسين في الساحة حاملين مكبرات صوت وهم يشجعون الناس على التوجه الى "البيت الابيض" حيث سيتكلم فيهم بوريس يلتسين. وفيما أداموفيتش يتحرك في ذلك الاتجاه، لحقه مارك دايتش مراسل "اذاعة الحرية" وسأله: "ألست خائفاً؟"

فهز الروائي كتفيه بلامبالاة وأجابه: "لقد تعلمنا نحن الروس أن نعيش تحت شعار: لا يمكن أن تسوء الامور أكثر. أما أنا فقد تخطيت الستين ولم أعد أخاف شيئاً."

بدأ يلتسين مؤتمره الصحافي في الحادية عشرة صباحاً. واكتظت القاعة بالمراسلين والديبلوماسيين الاجانب. وهو وصف الانقلاب بـ"الجنون" معلناً: "لا أحد يزيحني من مركزي الا الشعب الروسي."

أصبح "البيت الابيض" بعد هذه الكلمات غير الهيابة مقر قيادة مقاومة الانقلاب. وكان مئات من المتظاهرين بدأوا يمورون حول المبنى، ومساعدو يلتسين يوزعون نداءه "الى مواطني روسيا." وخلال ٢٤ ساعة كانت نسخ النداء ألصقت على الجدران في أنحاء موسكو.



الس أداموفيتش

روائي ونائب في البرلمان السوفييتي.

وكان الناس على المتاريس يتقاربون اتقاء للمطر. وارتفعت معنوياتهم بالقصص المتناقلة عن مواطنين لهم يواجهون قوى الانقلابيين: عن امرأة شابة تحمل طفلها بين ذراعيها وتتقدم غير هيابة لتقف في طريق رتل من الدبابات. وعن جمهرة على جسر كالينين تجبر عشر ناقلات جند على التراجع.

كانت الجموع في أنحاء موسكو تحاوط الدبابات ما ان تبطيء أو تتوقف، وتناشد عناصرها ألا يطلقوا النار على مواطنيهم.

لا عنف

أنهى إليا كريتشفسكي حديثه الهاتفي مع صديقه سيرغي وأدار الراديو. فسمع موسيقى جنائزية. وهو كان يغلي غضباً بسبب أنباء الانقلاب، فراح يذرع شقته الصغيرة، ثم قرر أن يذهب لرؤية صديقه.

وتروي عنه شقيقته مارينا أنه ينزع الى مواجهة الاحداث بحماسة أكثر من سائر الناس، لان له روح فنان. كان يكتب الشعر، وكانت قصائده تؤثر في أخته عميقاً. لكن هذه القصائد لم تمنحه رضى أبداً. وكانت والدته مهندسة ووالده مهندساً معمارياً مثله ورساماً في الداخل. وقد غطت رسومه جدران المنزل وعرضت في صالات موسكو الفنية: صروح قديمة وقوارب صيادين ومناظر بحرية ساكنة، رسوم تحمل كآبة الحياة في روسيا.

كانت العائلة تعيش براحة على رغم أنها ضمت خمسة بالغين في شقة من غرفتين. وكان إليا ينام في غرفة الجلوس. وعندما سألته مارينا مازحة لماذا لا يتزوج، أجابها: "وأين نسكن؟"

أما الآن فقد ملأت الذكريات السود رأس إليا وهو في طريقه الى منزل صديقه. أي مستقبل يتوقعه المرء اذا عادت البلاد الى زمن بريجنيف؟ ستعود الخيارات التي كانت آنذاك: اعمل حيث يريدونك، وافعل ما يطلب منك، والا فالسجن!

مع ذلك غمرته شعاعة من التفاؤل العنيد. أحس أن الحركة الديموقراطية ستنتصر وأن الانقلاب سيفشل لان الشعب تذوق طعم الحرية ولن يتخلى عنها. ووافقه سيرغي الرأي عندما التقيا، وقال ان كثيرين يبدون معارضين للانقلاب. لكن السلاح كان في يد لجنة الطوارىء، والشعب غير منظّم وسيتعرض لمجزرة اذا اختار المقاومة. وأنهى سيرغي كلامه بحزن: "انك تعرف تاريخ هذا البلد."

لكن إليا رفض الفكرة قائلاً: "لا، يجب ألا نلجأ الى العنف. فالعنف لم يحلّ مسألة قط." وهذه قناعة لازمته منذ زمن بعيد. كان إليا قبل سنوات يعمل في قرية ريفية عندما حدثت مشادة بين بعض أهل القرية دونما سبب مهم، تلاها وعيد وتهديد. فشهر أحد القرويين بندقية، وتحول ما كان نزاعاً كلامياً أزمة بشعة تنذر بسوء.

ران الصمت على المجموعتين المتخاصمتين، وسُمع صوت صلْي البندقية كأنه فرقعة رعد. تغلب إليا على خوفه وخطا نحو البندقية المصوّبة وقال لحاملها: "لن يحل اطلاق النار شيئاً. ما زال في امكاننا أن نغادر المكان وغداً نكون نسينا كل شيء. أما

اذا أطلقت النار فسنندم جميعنا، وأنت أكثر من الجميع."

خفض الرجل ماسورة بندقيته وهو يحدق متحدياً. ثم تباعدت المجموعتان. وعبرت الازمة، لكن أصدقاء إليا وعائلته سوف يكون لهم ما يذكرهم بتلك الحادثة.

يلتسين على دبابة

داخل مبنى البرلمان، جلس يلتسين وقرابة ٣٠ نائبا متجهمين يقوِّمون القوى المتوافرة لديهم لمقاومة أي هجوم: ٣٠٠ من قوات وزارة الداخلية بمن فيهم نحو ١٠٠ تلميذ شرطي، وأقل من ١٥٠ رشاشا.

كان واضحاً أنهم ليسوا نداً لدبابات الكرملين وعسكره، لكن قوتهم كانت تكمن في الشعب، في تلك النفوس الشجاعة الواقفة تحت المطر المستعدة للتضحية بالروح في سبيل روسيا حرة.

قرابة الاولى بعد الظهر مشى يلتسين بخطوات واسعة خارج بوابة البرلمان. وسرعان ما تعرف الناس الى عفرة شعره الابيض فتدافعوا نحوه هاتفين "يلتــ...سين! يلتــ...سين!" فلوّح للناس، لكنه تابع سيره عبر سطيحة المبنى فيما حراسه الشخصيون يهرولون للحاق به. وهبط درجات السلم الطويلة الى الشارع. وهناك، وسط دهشة كل من رآه، تسلق الدبابة الرقم ١١٠ من فرقة "تامانسكي" المدرعة وصافح عناصرها.

تطلّع يلتسين، من فوق، الى الوجوه: مئات من الناس التائقين الى من يطمئنهم الى أنهم ليسوا على أبواب العودة الى الماضي. وتحدث اليهم مخاطباً، عبرهم، كل الروس واضعاً حياته في مواجهة الخطر باعلانه الصريح أن الانقلابيين يواجهون معارضته التي لا عودة فيها. وجدد دعوته الى الناس للمشاركة في اضراب عام ولمكافحة الانقلاب بكل الوسائل. وأنهى كلمته قائلا: "لن ينتصر الرجعيون!"

استبد القلق بيوري ايفانوف، أحد مساعدي يلتسين الشباب، في غمرة الهتاف الذي تلا الخطاب، وهو يرى حرس رئيس الجمهورية يفتشون النوافذ وسطوح المباني خوفاً من وجود قناص. ولم يستطع أن يغالب التفكير في الرئيس الامريكي الراحل جون كينيدي الذي قتل في دالاس وسط جمهور من مؤيديه الهاتفين. ولم يعد اليه الارتياح الا عندما قفز رئيسه الى الارض ودخل مبنى البرلمان سالماً.

كان العالم، بحلول مساء ذلك اليوم، سمع بالاضطرابات في الاتحاد السوفييتي. وكانت غالبية ردود الفعل متشائمة كئيبة. وحل التشاؤم ذلك الاثنين على أسواق المال في أنحاء العالم، فيما هبطت أسعار الاسهم على نحو حاد. وعينت قيادة حلف شمال الاطلسي موعداً لاجتماع طارىء، وقطع الرئيس الامريكي جورج بوش اجازته في ماين

ليعود الى واشنطن. وهو وصف أنباء الاتحاد السوفييتي بأنها "تطورات مقلقة." وعلّق كل المساعدات الاقتصادية التي وعد بها الاتحاد السوفييتي. ثم خاطب الصحافيين قائلا: "الانقلابات قد تفشل، فربما تصطدم بارادة الجماهير."

وتقاعس بعض الزعماء عن تحديد موقف من الاحداث. فناقش الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران مسألة الانقلاب في مقابلة تلفزيونية عاصفة، الا أنه لم يطلب اطلاق غورباتشيف، وتقبّل ياناييف زعيماً موقتاً للاتحاد السوفييتي، وألمح الى أنه مستعد للتعامل مع النظام الجديد.

في هذه الاثناء، حقق اثنان من أعضاء لجنة الطوارىء طموح العمر: أن تكون لهما مكاتب في مبنى الزعماء، في الكرملين. وكان عمال فرغوا من نقل أثاثهما وبعض ممتلكاتهما الشخصية اليه.

قرار حاسم

مضى نهار الاثنين متباطئا، واختلطت بالجماهير فرق استطلاع من "مجموعة ألفا" وهي القوة الضاربة المكافحة للارهاب في الـ"ك.ج.ب." وعمدت الى تسجيل أفلام فيديو لمداخل "البيت الابيض" وللترتيبات الامنية.

كان عدد الجماهير بالالوف، وهم شكلوا طوقا بشريا التف حول المبنى. ودبت الحياة فجأة في مكبرات الصوت المثبتة في أعلى المبنى معلنة بدء البث من "اذاعة البيت الابيض." وتكلمت بيلا كوركوفا، وهي مذيعة تلفزيونية معروفة، من استوديو اذاعي مرتجل أقيم في الطبقة السفلى من مبنى البرلمان. قالت إن المحطة لن تتوقف عن البث حتى تنتهي الازمة، وستذيع أنباء أي تطور قد يحصل، وسيتحدث النواب عبرها الى الجماهير، وستكون هناك برامج ترفيهية أيضا.

تمكن يلتسين لاحقاً من اجراء اتصال بالرئيس "المسمى" الجديد جينادي ياناييف، قال له: "لا تنسَ أننا لا نقبل عصبتكم من قطاع الطرق!"

فرد ياناييف محذراً: "اننا لن ننسى شيئا!"

ذلك المساء، في اجتماع سري في وزارة الدفاع، عهد الى الجنرال فيكتور كاربوخين من جهاز الـ"ك.ج.ب." في تنفيذ هجوم واسع النطاق على مبنى البرلمان الروسي تشكّل رأس الحربة فيه "مجموعة ألفا" الضاربة. تحرك كاربوخين من فوره برفقة ضابط آخر لاجراء معاينة شخصية للحواجز حول "البيت الابيض،" فاكتشف أنها، على رغم مظهرها المهيب، سهلة الاختراق.

كانت خطته تقضي باقتحام المدخل الرقم ٢٠ حيث تجمع أقل عدد من الناس، بواسطة خراطيم ماء وجنود مسلحين بالهراوات الخاصة بقمع التظاهرات يشقون ممرا

لمجموعة ألفا، فيما يطلق آخرون النار على النوافذ لتحويل الانتباه عن العملية الرئيسية. وكانت مهمة الفرقة الهجومية احتلال مكتب يلتسين. وتقرر استخدام طوافات وقنابل غاز في الهجوم الذي عين موعده في الثالثة من فجر الاربعاء.

وقّع يلتسين في الخامسة والدقيقة العاشرة من مساء الاثنين مرسوما يضع كل الوحدات العسكرية في جمهورية روسيا الاتحادية في امرته. وانتشر أعضاء برلمانيون في المدينة لنقل الرسالة الى الجنود واقناعهم بالقاء سلاحهم.

وفي التاسعة مساء ظهرت "لجنة الطوارىء" المعينة ذاتياً في مؤتمر صحافي متلفز، ليعلن قادتها بحزن أن غورباتشيف يمضي فترة راحة لأنه "تعب جداً بعد كل هذه السنوات" ولا يمكنه الاستمرار في أداء مهماته الرئاسية. لكن ياناييف، الناطق باسمهم، هو الذي بدا مريضاً فعلاً، يتصبب العرق منه ويداه ترتجفان. وهو أبلغ الى المشاهدين غير المصدقين أن القيادة الجديدة – التي بدا على أعضائها جميعاً قلق يائس – ستنقذ البلاد على رغم أن الوضع أفلت من كل سيطرة.

كان للمؤتمر الصحافي تأثير معاكس لما سعى اليه الانقلابيون، فهو، بدلا من تهدئة الشعب، دفع ألوفاً جديدة من الروس الى الشوارع. وهم تدفقوا كالسيل من محطات المترو[٢] قرب "البيت الابيض" يحمل بعضهم أنابيب وحجار اسمنت التقطوها من ورشات بناء على الطريق.

سأل رجل امرأة مسنّة تجر قطعة من سياج خشبي: "الى أين أنت ذاهبة؟ سيبدأ اطلاق النار قريبا."

فأجابته المرأة من دون أن تتوقف: "ليطلقوا النار، فأنا لا أرغب في سماع مزيد من الاكاذيب."

وصل أعضاء من البرلمان ذلك المساء الى موقع الرائد سيرغي يفدوكيموف، قائد وحدة من عشر دبابات «T-72» و «T-80»الفضلى في ترسانة الجيش السوفييتي. كانت الدبابات مصطفة على الضفة الأخرى من نهر موسكو. وكغيره من الضباط الذين أرسلوا الى المنطقة، لم يكن الرائد يفدوكيموف يعي مهمته بوضوح، وأقلقه احتمال تلقي أوامر باطلاق النار على المواطنين. وهو أخذ قراراً فور قراءته مرسوم يلتسين، اذ استدار الى رجاله وأبلغهم أنهم سيعبرون النهر ويأخذون مواقع جديدة... للدفاع عن "البيت الابيض" وعن الناس الذين تجمعوا حوله.

أعلنت "اذاعة البيت الابيض" عبر مكبرات الصوت، فيما الدبابات تهدر عبر جسر كالينين وقد جلس نائب فوق كل واحدة، أن عشر دبابات هي في طريقها للمرابطة الى جانب الشعب، فطغى هتاف الجماهير على قرقعة سلاسل الدبابات ومحركاتها. وفتح لها

(٢) المترو هو القطار الجوفي (النفقي) في المدن الكبرى.

الناس طريقا وتحلقوا حولها لمصافحة الجنود، ثم أتوا بالزهور والطعام، ولفوا الدبابات بالاعلام الروسية ذات اللونين الابيض والازرق. وسرعان ما نقلت الاذاعات خبر تمرد الوحدة الى الداخل السوفييتي والى أنحاء العالم.

احتفظ الانقلابيون باليد الطولى على رغم أخطائهم الجسيمة.[3] فعشر دبابات ليست الجيش بكامله، وكل ما يحتاج اليه الانقلابيون لسحق المقاومة الشعبية وحدة عسكرية موثوق بها ومستعدة لاراقة دماء.

ناشدت بيلا كوركوفا الجماهير عبر "اذاعة البيت الابيض": "ابقوا حيث أنتم، رجاء، انكم خير وسيلة دفاع لدينا. لا تتركونا وحيدين خلال الليل."

"أمي هناك!"

في الدارة الرئاسية على البحر الاسود، سجّل غورباتشيف في ظلمة الليل شريط فيديو يثبت أنه ليس مريضاً ولا متعاوناً بارادته مع الانقلابيين. وهو أعد أربع نسخ من التسجيل عهد فيها الى أربعة من مساعديه الخلّص، آملا أن يتمكن أحدهم من ايصالها الى أيد صديقة في حال اغتياله. ثم خرج هو وزوجته الى الشاطىء حيث راحا يتمشيان جيئة وذهاباً. كانا يقصدان أن يراهما الناس أحياء وبصحة جيدة، ثم أنهما لم يكونا يجرؤان على الحديث بحرية الا خارج المنزل.

لكن رايسا غورباتشيف لم تعد تلك المرأة الواثقة بنفسها كما عرفها العالم. فقد جفاها النوم، وباتت تخاف أن تدع عائلتها تأكل ما يقدم اليها من طعام لئلا يكون مسموما. كما عانت رعباً دائماً من أن تعمد "لجنة الطوارىء" وقد أعلنت أن زوجها مصاب بمرض خطير، الى أخذ "الخطوات اللازمة لتحويل هذه الكذبة حقيقة."

قبل أن تمضي هذه الايام الحالكة، ستصاب رايسا غورباتشيف بسكتة دماغية (فالج).

لم يذق فالنتين بيرفيلييف، كبير مستشاري نائب الرئيس الروسي ألكسندر روتسكوي، طعم النوم في الليلة الاولى. كان قلقاً على الدفاعات الداخلية في "البيت الابيض"، فلا أحد يعرف عدد الموجودين داخل المبنى ولا من هم. وخلال تفقده القاعات، رأى أن الحرس أخذوا مواقع عند النوافذ بدلا من المداخل والمصاعد، وأن الناس يدخلون عشوائيا من غير ضابط.

أبلغ بيرفيلييف الامر الى روتسكوي الذي دعا الى اجتماع في السادسة صباحا أعدت خلاله خطة متكاملة للدفاع عن المبنى: ركزت الحراسة على السلالم والمصاعد،

(٣) من الغريب انهم لم يقفلوا طرق النقل المشترك ولم يقطعوا وسائل الاتصال، خصوصا من "البيت الابيض" واليه.

وأغلقت كل المداخل وحصّنت، الا ثلاثة منع عبورها الا لمن يملك سببا موجبا. فلم يكن سرا أن عملاء الـ"ك.ج.ب." اختلطوا بالجماهير. وأرسل رجال مسلحون ببنادق رشاشة الى سطح المبنى لاعاقة أي محاولة لهبوط الطوافات. كما أُقرت استراتيجية "القتال من طبقة الى طبقة" في حال اقتحام المبنى، لاجبار المهاجمين على شق طريقهم قتالا الى الطبقات العليا.

زحف الفجر رماديا ممطرا. واستقبل يلتسين اليوم الجديد بحلة نظيفة مكوية، اذ كان يحتفظ بخزانة ثياب في مكتبه. وصرح سكرتيره الصحافي بأن "الرئيس في خير حال. لقد عمل حتى الثالثة فجرا وأخلد الى النوم لفترة قصيرة ثم أفاق في الخامسة ليعود الى عمله."

جثم ألوف الناس في الخارج، حول البناء الابيض الذي بدا كشبح في رمادية الفجر، متقاربين تحت مظلات وخيم ارتجلت من أغطية وصفائح بلاستيك. وكانوا يصغون الى اشاعات سرت بينهم كالنار في الهشيم: "لقد سمعنا أن الرئيس غورباتشيف حي. ولا يزال محتجزا في دارته في القرم على أيدي رجال الـ"ك.ج.ب." وهم يعلنون أنهم لا يضمنون حياته إن حصلت محاولة لتحريره بالقوة."

أطلّت الشمس من بين الغيوم. ولم ينقطع سيل الناس لا في المطر ولا في الصحو. كانت الجموع تخرج من محطة المترو وتأخذ مواقع حول مبنى البرلمان. وحملت مجموعة من النساء لافتة كتب عليها: "أيها الجنود! لا تطلقوا النار على أمهاتكم وأخواتكم!" وحملت لافتات أخرى كلمة واحدة: "حرية!"

زرعت الحواجز والمتاريس على كل التقاطعات المؤدية الى المبنى. وأغلق معبر "كالينين بروسبكت" بحافلات أوقفت في عرض الطريق. توقف سائق سيارة مذهولا وسأل سائقي الحافلات الواقفين قرب الحاجز: "هل فعلتم ذلك من تلقائكم أم أن أحدا أمركم؟"

فرد أحد السائقين: "نحن الشعب! فلا نحتاج الى أوامر."

واصل أعضاء البرلمان تحركهم عبر المدينة متصلين بالوحدات العسكرية. ومع أن بعض قادة الوحدات رفضوا لقاءهم، فان الجنود لم يخفوا مشاعر التأييد. وعندما سأل نائب جنديا عما اذا كان يعتزم اطلاق النار على الناس، أجابه هذا: "أمجنون أنت؟ أمي هناك!"

التقت مجموعة من النواب ظهر الثلثاء قافلة من الشاحنات العسكرية في طريق منسك الرئيسية. كانت الشاحنات متجهة الى وسط موسكو حاملة مصابيح كاشفة ضخمة تستخدم لاضاءة السماء ليلا أثناء عمليات انزال مظليين. ولم يكن قائد القافلة

يعرف سبب ارسالها، فقال له أحد النواب: "سأخبرك أنا السبب، إنها لدعم هجوم على برلمان روسيا الذي انتخب شرعياً. عد من حيث أتيت، وقل لمن أرسلك إنك خُيِّرت بين أمرين: فاما العودة واما تحطيم هذه الاضواء الفخمة وتحويلها شظايا."

وبعد ثلاث ساعات من المفاوضات والاتصالات الهاتفية، قفل بعض الشاحنات. ذلك المساء ضاعفت تظاهرة ارتآها يلتسين أعداد الحشود حول البرلمان وفي الشوارع القريبة. وألقيت خلالها خطب في الجماهير. ثم ظهر ممثل كوميدي شهير على احدى الشرفات وأسعد الناس بنكاته اللاذعة عن "عصبة الثمانية." قال في احداها: "كنت أراقب يانابيف أثناء مؤتمره الصحافي. كيف يمكن أن يدار حكم نظيف بيدين قذرتين مرتجفتين؟"

ووزعت على الجماهير تقارير تفيد أن أعضاء في "لجنة الطوارىء" استقالوا لاصابتهم بأمراض لم تحدد.

بحر من الناس

جلست إيما بروك في بيتها مأخوذة بالمسرحية الجارية أمام عينيها قرب مبنى البرلمان. ثم سمعت ابن زوجها يقول انه سينضم الى الحشود هناك، فاستدارت نحوه. كان يوري في العشرين من عمره وطالبا في معهد موسكو، وهو قال لها: "ان مكاني هناك، بين الناس. أي حياة يمكن أن أتوقعها في هذه البلاد اذا انتصر الرجعيون؟"

وكانت إيما تعرف أن والده، المسافر في عمل، يريدها أن تثنيه عن المخاطرة، لكنها تأثرت بتصميمه على أخذ موقف. وفكرت في طُرُقها الاحتجاجية الواهية: قراءة الادب المحظور، والتفكير – من دون تنفيذ – في الانضمام الى حركة الانفصال. لقد أمضت حياتها مضطهدة من النظام الشيوعي، لكنها لم تفعل شيئاً لمحاربته.

كان يوري عند الباب عندما قررت إيما أن الوقت حان للاشتراك في النضال، فقالت له: "انتظر دقيقة، انني آتية معك."

عندما وصلت إيما بروك الى "البيت الابيض" ذلك المساء، بدا المنظر مثل لوحة تركيبية: عشرات من المشاهد الصغيرة الزاخرة بالحياة تثير كلها شعوراً انفعاليا مفرداً: أطفال يتسلقون دبابات متوقفة في الشارع المطل على النهر، فيما آباؤهم الفخورون يلتقطون لهم صوراً. أناس يقفون قرب نار مكشوفة يحتسون الشاي ويستدفئون وسط البرد والرطوبة. شاحنة تتوقف ويوزع سائقها شطائر همبرغر كبيرة من محلات "مكدونالد."

رأت إيما أناسا يتوجهون الى سائق دبابة ويسألونه: "لماذا لا تدير دبابتك وتدافع عن المبنى؟"

فأجاب الجندي: "انني أتلقى أوامري من وزير الدفاع."
فرد رجل قائلا: "لكن وزير الدفاع مجرم!" وحرّكت شجاعة الرجل مشاعر إيما.

أبلغت "لجنة الطوارىء" في الرابعة الا ربعا مساء انذاراً آخر الى يلتسين عبر الهاتف: "اسحب الحواجز والمتاريس واستسلم، أو واجه هجوما شاملا."
فأمر يلتسين بتوزيع الاسلحة والاقنعة الواقية من الغاز على الوزراء والنواب في مكتبه الخارجي.
وفي الرابعة والنصف خرج يلتسين لمصافحة الاشخاص الذين تجمعوا في المكتب، وكلهم من الذين عملوا معه لسنوات وهم الآن على استعداد للموت معه. واذ انتقل من واحد الى آخر بعزم وتصميم، كان يتوقف ليخاطب كل فرد منهم: "شكراً لكم لانكم قررتم البقاء. سوف نصمد مهما يكن الثمن."
وأتى المدد كذلك من بعيد، من لينينغراد، حيث ملأ بحر من الناس – ١٨٠ ألفا كما ذكر – ساحة القصر التي انطلقت منها شرارة ثورة ١٩١٧. وتحدى محافظ المدينة أناتولي سوبتشاك المتآمرين: "إننا لا نعترف بكم! نحن نريد حكم القانون!"
وحاول السفير السوفييتي في صوفيا عاصمة بلغاريا تأمين دعم لقادة الانقلاب، لكنه مس وتراً حساسا لدى الرئيس غير الشيوعي زيليو زيليف عندما حاول الضغط عليه، اذ تناول هذا سماعة الهاتف غاضبا واتصل بيلتسين معلنا دعمه اياه. فقال له الرئيس الروسي ممتنا: "انك أول زعيم أجنبي يتصل بي."
وتلقى يلتسين في السادسة والنصف مساء اتصالا من رئيس الوزراء البريطاني جون ميجور، وتباحثا في الضغوط التي يمكن أن يمارسها الغرب من أجل اطلاق غورباتشيف. وأخبر يلتسين رئيس الوزراء البريطاني أن الدبابات هي في طريقها الى مبنى البرلمان، وأضاف: "لا اظن أن لدي وقتاً كثيرا."
كان الجنرال كاربوخين أطلع ضباطه على خطة الاقتحام خلال اجتماعه واياهم ذلك المساء في القاعدة السرية لـ"مجموعة ألفا" في موسكو. كانت الخطة تقضي بالانتشار وأخذ المواقع في منتصف الليل، وبدء الهجوم في الثالثة صباحا.
سأله الضابط ميخائيل غولوفاتوف عن مصدر الأمر، فأجاب كاربوخين: "إنه أمر من الحكومة."
سأله الضابط ثانية: "أي حكومة؟"
فاحمر وجه الجنرال غضبا، لكن غولوفاتوف عاند، ووقف الضباط الباقون معه.
كان رجال "مجموعة ألفا" نخبة صغيرة فخورة بمهنتها. وهم عملوا على إنقاذ أبرياء، كثيرين، بمن فيهم أطفال، من قبضة ارهابيين ومجرمين. لكنهم، في يناير

(كانون الثاني) ١٩٩١، أرسلوا الى فيلنيوس من دون ابلاغهم طبيعة المهمة هناك. وأمروا بالهجوم على مبنى محطة التلفزيون، فقتل واحد منهم اضافة الى الليتوانيين الثلاثة عشر. وها هم الآن يؤمرون ثانية بمهاجمة مدنيين. لم يكن أي منهم يشك في قدرة المجموعة على تنفيذ المهمة، فبصرف النظر عن عدد المدافعين عن "البيت الابيض"، لن يتمكنوا من الصمود طويلا أمام محترفين مدربين كهؤلاء. ولكن هل الاوامر شرعية؟ وماذا لو هاجمهم الجمهور واضطروا الى شق طريقهم قتالا؟ وكم من الاشخاص قد يقتلون؟

مرت الدقائق متباطئة والضباط يتداولون الامر. وأخيراً أخبر غولوفاتوف الجنرال المتقد غضباً أن الجواب هو لا. وبقيت الـ"لا" قاطعة على رغم التهديد بمحاكمات عسكرية واعدامات. للمرة الاولى في تاريخها ترفض "مجموعة ألفا" أمراً مباشراً.

كان واضحا داخل "البيت الابيض" أن يأس الانقلابيين، بفعل أخطائهم التكتيكية والتمرد في صفوفهم، يدفعهم الى توجيه ضربة واحدة حاسمة: الاستيلاء على "البيت الابيض" بؤرة المقاومة، وعندئذ يفوزون بكل شيء.

كانت دلائل استعدادهم لاستخدام قوات كبيرة بدأت تتضح خلال الساعات القليلة الماضية. فالسلاح الذي كان يتحرك عشوائيا بدأ يتجه للاطباق على "البيت الابيض." وكشفت المناظير المقرِّبة أن الاشخاص "الغامضين" الذين يراقبون مبنى البرلمان عن سطوح الابنية المجاورة لم يكونوا سوى قناصين مزودين ببنادق متطورة.

استمر تدفق الجماهير، وأعلن نائب الرئيس روتسكوي أن هجوماً قد يشن تلك الليلة بالدبابات أو بالطائرات أو بالغازات. وناشد الناس ألا يغادروا، فالساعات العشر الآتية قد تكون حاسمة.

وأقيم مركز اسعاف أولي أمام "البيت الابيض" وعادت إيما الى منزلها لاحضار مناشف وشراشف يمكن استخدامها أقنعة واقية من الغاز بعد بلّها بالماء. ولاحظت لدى عودتها أن عدد الاطباء يفوق ما يستوعبه المركز، فتوجهت الى حافلة حيث كان بعض النسوة يعددن شطائر، وجلست تساعدهن. كان المطر ينقر سطح الحافلة بايقاع منتظم فيما إيما تقطع الخبز والنقانق وتضع الشطائر الجاهزة في سلال لتوزيعها على الناس. وكانت تغادر الحافلة بين فينة وأخرى للاستماع الى نشرات الاخبار تبثها مكبرات الصوت.

وتصاعد التوتر خارج "البيت الابيض" مع اقتراب الظلام. وبات المطر ينهمر كالسيل.

في الساعة ٨،٤٣ سمع المتحلقون حول أجهزة الراديو اعلانا لحظر التجول بدءاً بالحادية عشرة. وكان كثيرون أحضروا قوارير "ترموس" عازلة للحرارة وبطانيات ومظلات، في نية واضحة للبقاء طوال الليل، سواء أحظر التجول أم لم يحظر.

وتكررت التقارير عن دبابات تقترب، ورافقت كل تقرير موجة من القلق سرت بين الجماهير. ثم أعلنت "اذاعة البيت الابيض" أن جنوداً مغاوير في لباس مدني قد يقودون الهجوم، لذلك أخلى المدافعون "حزاماً أمنياً" حول المبنى بعرض حوالى ٤٥ متراً، محذرين من أنهم سيطلقون النار على كل من يحاول عبوره. ثم سمع صوت روتسكوي وهو يحضّ الامهات والاطفال على العودة الى منازلهم قائلاً: "لا تيأسوا اذا ما حدث أمر مأسوي هنا، فالنضال سيستمر."

التفتت إيما الى حيث وقف يوري، فلم تلمحه. فراحت تراقب شباناً آخرين وقفوا على مقربة منها، هادئين والعزم واضح في عيونهم، مستعدين للقتال من أجل مستقبلهم. أحست أن مستقبل الشعب الروسي كله معلق تلك الليلة على كف عفريت، فقررت البقاء وعادت الى مقعدها في الحافلة تقطّع الخبز والنقانق.

بعد قليل مد جندي رأسه داخل الحافلة وطلب من النسوة الرحيل.

فاحتجّت إيما: "لكننا نحضّر شطائر!"

فصرخ الجندي: "شطائر؟ اننا نتوقع هجوماً!"

مع مواطنيه

دعي يوري ايفانوف، ورشاش كلاشنيكوف معلق بكتفه، الى مكتب فالنتين بيرفيلييف. كان الشاب الحقوقي ابن التاسعة والعشرين والذي كلف الحراسة، على وشك أن يكلَّف مهمة خاصة. وحين دخل المكتب رأى بيرفيلييف واقفاً مع رجل أصلع محدودب قليلا بدت ملامحه مألوفة.

سأله بيرفيلييف: "هل تعرف هذا السيد؟"

فجمد ايفانوف وقد أخرسته المفاجأة، اذ أدرك أنه في حضرة مستيسلاف روستروبوفيتش أعظم عازف فيولونسيل[٤] في العالم وأشهر الموسيقيين الروس الاحياء.

صافحه روستروبوفيتش مبتسماً: "يوري، انني سعيد بلقائك."

وقال له بيرفيلييف: "لقد حضر المايسترو[٥] الى هذا المكان ليقف مع شعب روسيا. عليك أن تحمي حياته في كل الاحوال، وإن كلفتك حياتك. هل تعي ما أقول؟"

فأومأ ايفانوف ايجاباً.

(٤) الفيولونسيل (cello) كمان كبيرة.

(٥) المايسترو استاذ في فن ما، وخصوصا الموسيقى.

لكن روستروبوفيتش (٦٤ عاماً) طمأنه قائلا: "لا تأخذ الامر بجدية كبرى، اننا رفقاء سلاح! تعال، خذني في جولة."

لا يمكن صديقين أن يكونا أقرب. مشى الرجلان جنباً الى جنب في جولة على المبنى، فاتقد الامل في كل رأى ابن روسيا الشهير بين مواطنيه. وذات مرة كانا جالسين في غرفة الاذاعة وروسترو بوفيتش ينتظر دوره لمخاطبة الجماهير، فأغفى ايفانوف المنهك على كتف المايسترو تاركاً اياه يحمل الرشاش.

سمع ايفانوف أثناء جولته قصة روستروبوفيتش المثيرة عن عودته الى موسكو. فقد سمع المايسترو نبأ الانقلاب وهو في باريس، فقرر أن موقعه هو بين مواطنيه.

صرف المايسترو يوماً في اعداد وصيته الاخيرة وتدبير شؤونه، ثم ركب طائرة متجهة الى موسكو من دون أن يحصل على تأشيرة دخول ومن دون أن ينبىء زوجته شفهيا، وإنما ترك لها رسالة كتب فيها ان ذلك فرض عليه أن يؤديه. وفي مطار موسكو احتال للمرور عبر دائرة الهجرة، زاعما للمسؤولين أنه آت لحضور مؤتمر للروس "المغتربين." ثم ركب سيارة الى مبنى البرلمان.

عندما أعلنت "اذاعة البيت الابيض" أن مستيسلاف روستروبوفيتش عاد الى الوطن ليقف مع شعبه دفاعاً عن الحرية، ران على الجماهير صمت ذاهل للحظات، ثم تعالت الهتافات تشق عنان السماء. وفي الفجر سلطت أنوار كشافة على روستروبوفيتش وهو واقف تحت المطر على شرفة الطبقة الثانية، فشرع الناس يهتفون ويصفقون بايقاع واحد: "روس – ترو – بو – فيتش! روس – ترو – بو – فيتش!"

ردّ المايسترو بصوت عال: "شكراً يا أصدقائي، انني واقف معكم." كانت سلامته الشخصية آخر ما يفكر فيه. وعندما رافقه ايفانوف الى الطبقة السفلى، تحت الارض، باعتبارها أكثر أماناً، تحملها المايسترو عشر دقائق ثم طلب العودة الى الطبقات العليا ليكون مع شعبه. وعندما اقترح عليه ايفانوف الانتقال الى السفارة الامريكية القريبة، خرج روستروبوفيتش الى الجماهير وايفانوف يعدو محاولا اللحاق به. وراح عازف الفيولونسيل يتنقل من نار الى أخرى وهو يتحدث الى الناس ويعانقهم. لقد عاد الى روسيا ليشاركهم في مصيرهم، ووقف تحت المطر، في أخطر موقع في البلاد، يمنح الناس شجاعة.

التقى إليا كريتشفسكي صديقا وقررا أن يذهبا معا الى "البيت الابيض." ولما كان إليا يعرف أن عائلته ستقلق عليه، أخبر أمه أنه خارج ليتمشى، فهذا ما اعتاد أن يفعله كل ليلة.

أعجب إليا بالحواجز المقامة. فإذا سار من محطة المترو رأى الشوارع مسدودة

بسيارات وشاحنات وحافلات، والناس يحاورون سائقي الدبابات ومعظمهم شبان بدوا فزعين قليلا. لم يكن أحد مهتماً بقرار منع التجول.

تحركت مشاعر إليا أمام "البيت الابيض" لمشاهدته ألوف الناس وقد استعدوا للبقاء تحت المطر ومحاربة القامعين. وأراد أن يبقى معهم، اذ خامره أن هذه الليلة الثانية ستكون حاسمة. لكنه كان يعرف أن أهله سيقلقون إن لم يعد الى المنزل. وفي ساعة متقدمة من الليل مشى ورفيقه الى محطة المترو على الطريق الرئيسية. وسمعا في شارع جانبي صرير عربات مدرعة، فركضا بقية المسافة الى الطريق الرئيسية، وشاهدا ثماني ناقلات جند مدرعة كانت تتحرك في اتجاه "البيت الابيض" وقد علقت في معبر تحت الارض في نقطة "كالينين بروسبكت" التي سُد طرفاها بحافلات. كانت الناقلات اقتحمت الحاجز الاول لتفاجأ بالثاني، فاستدارت، لكن الجماهير أغلقت الحاجز خلفها وعززته.

لقد أصبح المسرح جاهزاً لفصول مأساة.

سمعت الطلقات الاولى بعيد منتصف الليل، وهي أتت من معبر "كالينين بروسبكت" حيث بدأ الجنود اطلاق النار في الهواء - كما أقسموا لاحقا - بقصد ابعاد الجمهور الذي أطبق عليهم من كل الجوانب. ولكن لم تذهب كل الرصاصات في الهواء، فسقط عدد من الناس وقد أصيبوا، ربما، بشظايا مرتدة من جدران المعبر وسقفه.

هرع إليا الى أسفل منحدر الطريق لمساعدة رجل أمسك معدته بكلتا يديه، وبعدما ساعد في نقله الى سيارة اسعاف في الجانب الآخر من الحاجز، أسرع عائداً الى المنحدر حيث كانت الناقلات تصدم الحافلات المنقلبة محاولة شق طريق. ووقف مستنداً الى حائط المعبر فيما تحركت احدى الناقلات خلفيا لتصدم حافلة.



يوري ايفانوف
نائماً على كتف مستيلاف روسترو بوفيتش.

فجأة قفز ديمتري كومار الى الناقلة، فانتزع الفتحة الخلفية وصرخ في أفراد الطاقم. ويقول شهود انه كان يحاول اقناعهم بالتوقف لأن الناس سيفتحون الحاجز ويسمحون لهم بالمرور، لكن الناقلة اندفعت خلفيا ملقية كومار على ظهره، فتوفي حالما اصطدم رأسه بالارض، وبقيت رجلاه عالقتين داخل الناقلة وهذه تندفع جيئة وذهابا جارّة رأس كومار وكتفيه على الارض والدم يسيل على الطريق.

توقفت الناقلة كأنما استعداداً لهجوم جديد على الحاجز. فاندفع عدد من الرجال محاولين تخليص الجثة، لكن الناقلة عادت تروح وتغدو. فقفز الرجال بعيداً، الا واحداً أصابته رصاصة فسقط ميتا تحت سلاسل الناقلة التي مرت فوق جسده.

أشعل واحد من الجمهور الغاضب فتيلة في زجاجة ملأى بالوقود، والقاها على الناقلة وارتفعت زجاجة ثانية في الهواء وانفجرت ملتهبة، وتبعتها ثالثة. فاشتعل جانب الناقلة وسرعان ما اضطرمت فيه النار.

ودب الذعر في المكان حيث علق جنود خائفون وسط جمهور معادٍ. فقفز أفراد الطاقم من الناقلة المشتعلة وركضوا في اتجاه ناقلة ثانية وهم يطلقون النار في الهواء.

تحرك إليا في اتجاه الناقلة الثانية، وسُمع يصرخ: "ماذا تفعلون أيها الاوغاد؟ لماذا تقتلون اخوانكم؟" وبعد لحظة أصابته رصاصة من رشاش فسقط ميتا.

ضربة أخيرة

حذرت "اذاعة البيت الابيض" الناس من الوقوف في وجه الدبابات، ونصحتهم بأن يفسحوا لها المجال: "لا تصرخوا ولا تستثيروهم. اذا كنتم تحملون سلاحا، القوه بعيداً. أنتم تحموننا بمجرد وجودكم هنا."

لعلع صوت بيلا كوركوفا عبر الراديو في الثانية والنصف صباحا: "اخوتي وأخواتي! رتل من الدبابات يتحرك في اتجاه البيت الابيض. اننا نتوقع هجوما خلال الدقائق العشر الآتية."

وصمتت "اذاعة البيت الابيض."

أطفئت الانوار داخل مبنى البرلمان، وبث مراسل "اذاعة الحرية" ما سماه "تقريري الاخير"، ولم يعد لدى الناس ما يفعلونه خلال الدقائق الحرجة التالية... سوى الانتظار.

جلس بوريس يلتسين في مكتبه في الطبقة الخامسة يستمع الى تقارير مساعديه عن الاوضاع في الخارج. بدا منهكا، وجهه تعب وعيناه حمراوان، لكنه بقي على اناقة الملبس، وكان صوته حازماً وأوامره لا تعرف التردد. وقال أحد مساعديه إن نظراته كانت نظرات رجل لا يَملك شيئا يأسف عليه.

سار فالنتين بيرفيلييف عبر الاروقة المظلمة في الطبقة الرابعة. ورأى أضواء في بيوت كثيرة عبر النهر على رغم تلك الساعة المتقدمة من الليل. كان الموسكوبيون يشاركون المدافعين عن "البيت الابيض" في انتظارهم. فمن يستطيع النوم والدبابات تتحرك ومصير روسيا متوقف على ما يحصل في الساعات القليلة المقبلة؟

توقف بيرفيلييف في مكتب روتسكوي. كان الحراس المنهكون نائمين في كراسيهم وهم يحتضنون رشاشاتهم. فقرر بيرفيلييف ألا يوقظهم الا لدى سماع الطلقة الاولى.

كانت الستائر مسدلة داخل مكتب نائب الرئيس. فوضع بيرفيلييف المصباح الوحيد المضاء على الارض مالئاً الغرفة بالظلال. كان روتسكوي جالساً الى طاولته يكتب ومسدسه الى جانبه. فطلب منه بيرفيلييف سلاحاً، فالتفت اليه روتسكوي قائلاً: "سلاحك الافضل عقلك وقلمك."

تابع بيرفيلييف سيره الى مكتبه تائقاً الى محادثة زوجته، لكنه خشي أن يوقظ رنين الهاتف أبناءه. لذلك اتصل بشقيق زوجته وقال له: "اننا نتوقع هجوماً في أي لحظة، ولا أعتقد أن كثيرين سينجون." وبعد صمت قصير تابع: "عليك الاهتمام بعائلتي."

كان جهاز استخبارات يلتسين في الطبقة الثالثة يتابع تحركات الوحدات العسكرية، اذ كانت مجموعات من المدافعين تطوف المدينة وتمد الجهاز بالاخبار، كما تابع مواطنون متيقظون الاتصال هاتفيا بـ"البيت الابيض" والافادة عما يرونه في الشوارع.

تركز اهتمام المدافعين على لواء متحرك من الـ"ك.ج.ب." مقره في قطاع جنوب غرب موسكو، فهذه الوحدة تملك العديد والعتاد اللازمين لانقاذ الانقلاب المتعثر. وقد اتصل أحد ضباط اللواء بمكتب يلتسين ليكشف أن المجموعة تعد لهجوم شامل على "البيت الابيض."

توجه بعض أعضاء البرلمان الى ذلك القطاع لاقناع وحدة الـ"ك.ج.ب." بأن الانقلاب غير مشروع، ولكن لم تُعرف نتيجة مفاوضاتهم.

ولم يلبث المسؤولون في "البيت الابيض" أن علموا أن وحدة الـ"ك.ج.ب." أتمت انتشارها وبدأت تتحرك في خط مستقيم نحو مبنى البرلمان. فانتظر بيرفيلييف مصغياً لسماع الطلقات الاولى التي تؤذن ببدء الهجوم.

فجأة دخل عليه أحد مساعديه حاملا رسالة من جهاز الاستخبارات تفيد أن دبابات الـ"ك.ج.ب." قطعت نصف المسافة الى "البيت الابيض" ثم... توقفت. أيمكن أن تكون وحدات الـ"ك.ج.ب." استجابت لنداءات أعضاء البرلمان؟ أيمكن أن تقف الى جانب الشعب؟



متظاهرون يحملون علمهم الجديد.

تطايرت المكالمات بين مكتب بيرفيلييف وعناصر جهاز الاستخبارات. لقد أوقف اللواء هجومه حقاً، وبدأ مفاوضون عنه يتصلون هاتفياً ليبلغوا الى "البيت الابيض" أن الدبابات لن تتقدم.

وقف بيرفيلييف يستمع الى صليل الدبابات المتراجعة من وسط موسكو، فيما خيوط الفجر الوردية تلوّن السماء خارج نافذته.

عندما بث "اذاعة البيت الابيض" أخبار هذه التطورات، بحثت إيما بروك عن إبن زوجها يوري، فنادته وقفلا عائدين الى المنزل. وهما شاهدا في الطريق رتلا من الدبابات يزحف شمالا، بعيداً عن وسط المدينة. فجأة هرع اليهما رجل صارخا: "غادرا هذا المكان. هذه ليست لعباً، ويمكن أن تقتلا."

كانت إيما لتسمع هذه النصيحة من قبل. أما الآن فقد هزت رأسها مبتسمة: "لا أظن ذلك، لقد انتهى كل شيء."

الاربعاء. كان الامل الاخير للانقلابيين بكسب الشرعية تصديق مشروع قانون لدى اللجنة التنفيذية الدائمة في مجلس السوفييت الاعلى. وكانت الخلفية السياسية لأعضاء اللجنة تكاد لا تميز عن خلفية زعماء الانقلاب، لذا لم يكن أحد متأكدا من نتيجة اقتراع اللجنة. فألقى ألس أداموفيتش خطابا رنانا أمام الجمعية خاتما بقوله: "كونوا رجالا مرة في حياتكم."

وسقط المشروع في النهاية.

عندما سمع يوري كرياكين النبأ قال لزملائه: "لقد ابتسم الحظ لروسيا للمرة الاولى في القرن العشرين."

وبعد الظهر ركب وفد، يرئسه روتسكوي، طائرة حملته الى القرم للقاء غورباتشيف والعودة به الى موسكو.

لكن الوقت لم يكن حان بعد للاحتفال بالنصر، فقد انتشرت تقارير في "البيت الابيض" تفيد أن عناصر من الـ"ك.ج.ب." تسللت داخل المبنى وهي تستعد لضربة يائسة أخيرة. فشدد المدافعون الاجراءات الامنية في المبنى تحسباً.

كان أداموفيتش نائماً على كراسيّ مصفوفة في أحد أروقة الطبقة الخامسة. فرنّ جرس الهاتف على مقربة منه. تناول السماعة، فأتاه صوت قال له: "انتبه، لقد كلفنا طلاب كلية الشرطة حراسة هذه الطبقة. اذا اضطررت الى التحرك من مكانك، فامش ببطء، ومهما فعلت فلا تضع يديك في جيوبك والا تعرضت لاطلاق النار."

استرجاع الكرملين

الخميس. وصلت الطائرة التي تقل غورباتشيف الى موسكو في الثانية صباحاً. لكن الرئيس عاد ناجيا، لا بطلا. وهو بدا على سلم الطائرة، بمعطفه الواقي المتغضن ووجهه المنهك، أبعد ما يكون عن الرجل القوي الذي غادر موسكو قبل أسبوعين.

انكشف المتآمرون الذين أوشكوا أن يجروا البلاد الى حرب أهلية تذهب بعشرات الالوف من الضحايا. وعندما استعاد الموالون لغورباتشيف قصر الكرملين، وجدوا ياناييف في مكتبه ثملا غير واعٍ ما حدث. وأرسل ١٤ متآمراً الى السجن في انتظار محاكمتهم بتهم عدة، منها الخيانة. وبعد أيام استعيدت الحقيبة التي تحتوي على الرموز الخاصة باطلاق الصواريخ النووية السوفييتية.

تحرك نحو "البيت الابيض" جمهور هائل ضم نحو ١٠٠ ألف مواطن للاحتفال بفشل الانقلاب. واقترح يلتسين، ملوحا لهم من شرفة الطبقة الثانية، تغيير اسم الساحة ليصبح "ساحة روسيا الحرة." فهدرت الجموع موافقة.

ثم ظهر المايسترو مستيسلاف روستروبوفيتش ليخاطبهم قائلا: "أيها الموسكوبيون، لقد منحتموني يومين من أسعد أيام حياتي." وفي الغد رافقه يوري ايفانوف الى المطار وسار معه نحو الطائرة المتجهة الى باريس. فشد المايسترو يدِ حارسه قائلا: "أخي يوري، عندما نمتَ حملتُ أنا بندقيتك. زرني في باريس، واذا نمتَ فاحمل أنت الفيولونسيل!"

الجمعة. علّق يلتسين نشاطات الحزب الشيوعي في روسيا.

السبت. ظلت السطيحة الفسيحة أمام "البيت الابيض" تحمل، مثل كل ساحة معركة، آثار متاريس وبقايا نار خبتْ. أما المشاعر المشتركة والشعور المفاجىء بالوحدة بين ألوف الروس فلا تزال متقدة باشراق.

١٠٠ ألف مواطن جاؤوا ليدفنوا ضحايا الانقلاب الثلاث: ديمتري كومار وإليا كريتشفسكي وفلاديمير أوزوف وهو محاسب في السابعة والثلاثين من عمره.

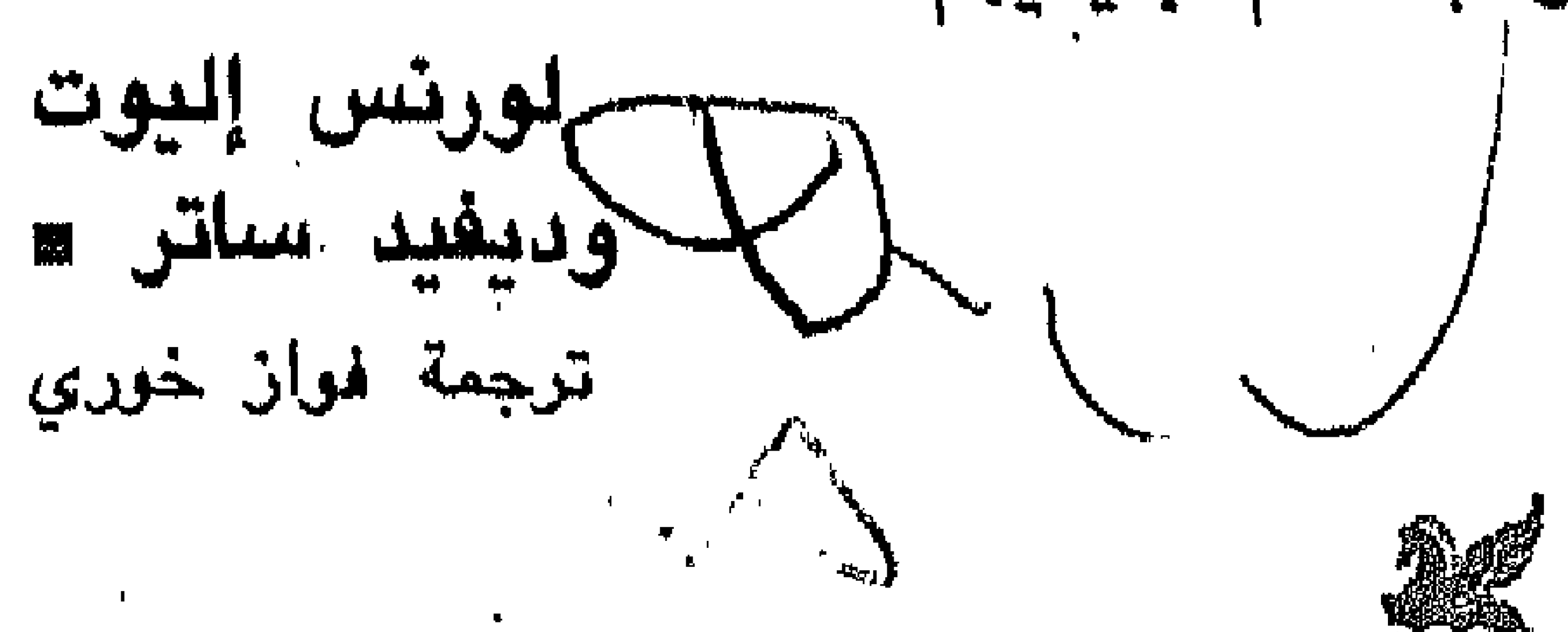
تجمع الناس خارج جدار الكرملين حول علم روسي يرمز الى ايمانهم العنيد بمستقبل أفضل. كانوا يلمسونه فيوحِّدهم أمل باشراقة فجر جديد.

ثم توجهوا الى "البيت الابيض" في مسيرة كئيبة رصينة تثير المشاعر. وعلى امتداد "كالينين بروسبكت" ترك التجار حوانيتهم وخرجوا لمشاهدة المسيرة. وراحت النسوة يدفعن الاطفال قُدُماً على جانبي الطريق، فهذه لحظات لا تثمن، وذكرى تختزن للغد.

أشاد يلتسين بالضحايا في كلمة عاطفية واصفاً اياهم بـ"أبطال الوطن" وطالبا الغفران من عائلاتهم، "لأنني أنا رئيس البلاد، لم أستطع انقاذهم."

خلال ثلاثة أيام هزت العالم تشبث الشعب الروسي بأحلامه الفتية ووقف المواطنون وقفة رجل واحد وهم يمسكون مستقبل بلادهم بأيديهم.

لورنس إليوت
وديفيد ساتر ■
ترجمة فواز خوري



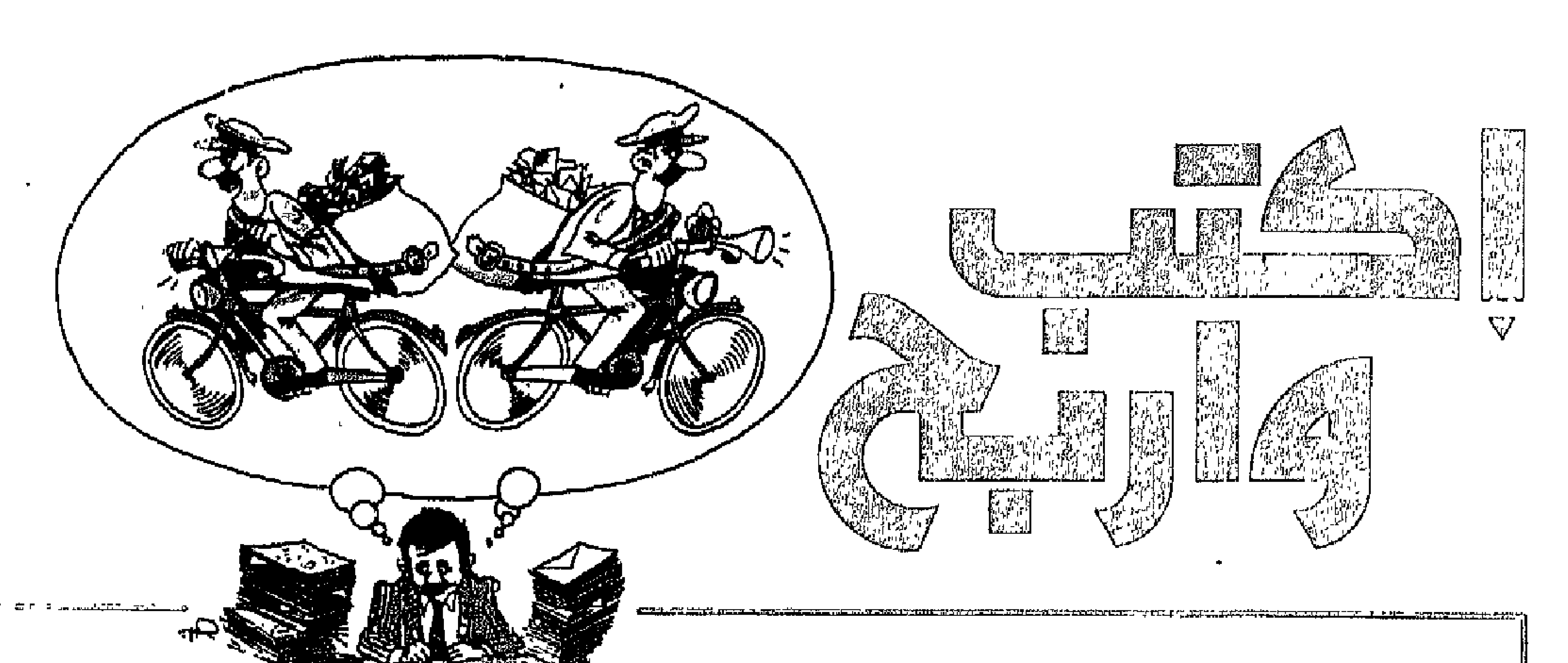
زهرة غاردينيا

اعجبت احدى الصديقات بزهرة غاردينيا متفتحة في بيتنا. فابدت رغبتها في ان تزين بها فستانها خلال حفلة تخرّج تلميذاتها بعد اربعة أيام. ولما كانت زهرة الغاردينيا المتفتّحة لا تعيش سوى يوم أو يومين، فكّرت زوجتي في البرعم اليتيم الباقي في النبتة، ولكن لم يبدُ انه سيتفتّح في غضون الأيام الأربعة التالية. الا ان زوجتي صممت على اهدائه الى صديقتها في الموعد زهرة كاملة. فراحت ترويه بماء المطر الدافىء المشبع بالفيتامينات، وترشّ أوراقه، وتنقل النبتة من مكان الى آخر في الغرفة لكي يبقى البرعم معرضا لنور الشمس، وتحدّثها برقّة على انغام موسيقى ناعمة.

وفي نهاية اليوم الثالث كان البرعم لا يزال مغلقا.

صبيحة اليوم الرابع نظرتُ الى نبتة الغاردينيا مذهولا: لقد تحوَّل البرعم، تحت مصباح كهربائي استمر مضاء فوقه طوال الليل، زهرة متفتحة ناصعة البياض جاهزة لحفلة تخرّج تلميذات صديقتنا.

ب.س.



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية
أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى
وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت. شارع المقدسي، بناية الشرتوني. ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



"رافع اثقال مغمور" - للفنان الامريكي - الايطالي أوسكار دي ميهو (١٩٨٩)